الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس –سيدي بلعباس

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللّغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د)

تخصّص: نقد ودراسات أدبية

عنوان الأطروحة:

الدّرس السيميائي في النقد المغاربي

ـ تمثّلات العلامة في أعمال أحمد يوسف وسعيد بنكراد ـ

تحت إشراف الدكتور: **غروسي قـــادة**

إعداد الطالبة: **سماش مختـارية**

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة	الجامعة	الصفة
لقجع جلول السايح نادية	أستاذ التعليم العالي	سيدي بلعباس	رئيـــسا
غروسي قـــــادة	أستاذ التعليم العالي	سيدي بلعباس	مشرفا ومقرّرا
زواوي مختـــار	أستاذ التعليم العالي	سيدي بلعباس	ممتحـــنا
بن مالك سيدي محمد	أستاذ التعليم العالي	مغنيـــــة	ممتحـــنا
قوتال فضيلـــــة	أستاذ التعليم العالي	تيـــارت	ممتحـــنا
هامل الشيـــــخ	أستاذ التعليم العالي	عين تموشنت	ممتحـــنا

السّنة الجامعية: 1445هـ – 1446هـ/2023 – 2024 م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــــداء

إلى

. والديّ الكريمين ... دائما وأبدا

. زوجي النّبيل الذي تحمّل معي

مشاق التكوين الدكتورالي ّ ومتاعب إنجاز الأطروحة

... عربون وفاء وامتنان

. مهجة القلب وبهجة البيت: أبنائي

ســـــارة

بشـــرى هبة الرحمن

عبد الكـــريم

وسعـد ضياء الدين.

.كلّ أحبّتي وأساتذتي وزملائي ...

إليكم جميعا دونما استثناء.

أهدي ثمرة هذا الجهد.

شكـــــــــر وتقديـــــــــر

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وإمام الأوّلين والآخرين.

الحمد لله الّذي وفّقنا لإتمام هذا العمل.

خالص شكري وامتناني إلى أستاذي الفاضل "**الدكتور قادة غروسي**" ـ حفظه الله تعالى ورعاه ـ الذي تفهّم ظروفي الخاصة، فلم يكلّفني بما لا أطيق، ولم يبخل عليّ بتوجيهاته وتصويباته وتطميناته وتحفيزاته التي لولاها لما كان لهذه الرسالة حضور وبصمة.

وكلّ عبارات التقدير والعرفان والامتنان أتقدّم بها إلى السّادة أعضاء لجنة المناقشة الذين وافقوا تكرّما منهم وتفضّلا تجشّم قراءة هذا البحث ومناقشته وإثرائه، تقييما وتقويما، وحسبهم في ذلك فضلا وفخرا أنّهم من أهل العلم وعلى هداه لمن استهدى أدلّاء.

ولا يفوتني أن أتقدّم بشكري وامتناني إلى كلّ من قدّم لي يد العون من أجل إتمام هذا البحث من أفراد أسرتي، وزملائي وأساتذتي.

فجزى الله الجميع عنّي كريم الجزاء

مقدّمة

أعلن النقد الأدبي العربي تحرّره من المناهج النقديّة التقليديّة الّتي تميّزت بطابعها الانطباعي وبأحكامها القيميّة وبدراستها لمحيط النص لا النص ذاته، وذلك بعد أن قرّر هذا النّقد تحديد منظور البحث لديه، بتبنّي المنهجية العلمية الموضوعية أثناء قراءته للنصوص على اختلاف أنواعها، و بظهور المناهج النقدية الحداثية اللّسانية التي دعت إلى ضرورة دراسة النصوص الأدبية انطلاقا من بنيتها الدّاخلية تراجع الاتكاء على المناهج السّياقية في قراءة الأعمال الإبداعية تاركا المجال مفتوحا للمناهج النّسقيّة التي دعت إلى الاعتناء بالنص في ذاته ولذاته، حيث تنطلق من داخله وتعود إليه، وذلك من خلال تركيزها على تحليل وحداته وبنياته الدالّة وبيان علاقاتها ببعضها البعض. فقد مسّ هذا التجديد طرق التعامل مع النّصوص وأحدث هذا التّغيير قطيعة مع ما كان سائدا من تصوّرات تقليديّة في مجال النقد الأدبي الغربي نظريّا وتطبيقيّا. فلم يبق النقد الأدبي العربي بمنأى عن هذه النّقلة النوعيّة في ميدان النقد، وعن هذه التحوّلات المعرفيّة الهامّة، فقد شهد الخطاب النقدي العربي هو الآخر تحوّلات كبرى بما خلّفته المناهج النقديّة النسقيّة متأثّرا بنظيره في الغرب. فاحتفى النّقد الأدبي العربي عامّة والمغاربي خاصّة على غراره نظيره في الغرب بالمنهج السّيميائي باعتباره أحد أبرز المناهج النصانيّة التي أسهمت في إحداث تلك القفزة النّوعية في مقاربة النصوص، فقد جمعت بين الصّرامة المنهجيّة من جهة والمرونة الإجرائيّة من جهة ثانية. فتوسّل طرائقها في تحليل النّصوص وسبرِ أغوارها العميقة، واستكشاف بنياتِها الدّاخليّة. لقد أصبحت السيميائيات منهجا نقديّا وأنموذجا تحليليّا حيويّا يستند على عدّة

إجرائيّة ومخزون مفاهيميّ ومصطلحيّ، أسعف الباحثين على مقاربة النّصوص كيفما كان جنسها ونوعها، ولا يمكن لنا أن نغفل ما حقّقته هذه النّظريّة إن على مستوى التّنظير أو التّطبيق من خلال ما تحوزه من وجاهة في الطرح وشموليّة في التعاطي مع النصوص والخطابات، ولم يكن لها أن تحقّق ذلك إلّا من خلال انفتاحها الواعي على مختلف العلوم والشّعب المعرفيّة من ناحية ومن خلال التطوير الدّوري لعدّتها الإجرائيّة ولمفاهيمها ومصطلحاتها.

تلقّى نقّادنا المغاربة هذه النظريّة بطرق متعدّدة، منها المباشِرة كالتّتلمذ على أيدي أعلامها في الغرب، ومنها غير المباشرة كالتّرجمة مثلا، فتبنّوا أطروحاتها النّظريّة وطرائقها في التّحليل، مكيّفين ذلك كلّه وفق متطلّبات النّص الأدبي العربي، محاولين تحميلها الخصوصيّة المغاربيّة. وعلى الرّغم من أنّ النّقد الأدبي المغاربي واجه جملة من العوائق في أثناء تعامله مع هذه النظريّة إن على صعيد المصطلح أو على صعيد المنهج ككل. إلّا أنّ النقّاد المغاربة حاولوا جاهدين إنشاء خطاب نقدي له القدرة على بناء تصوّر سيميائي عربي واضح الرؤى والحدود ومتفاعل مع خطابات النّقد الغربي. وجدير بالذّكر أنّ نقّادنا المغاربة تبنّوا هذه النّظريّة النّقديّة وأخذوا بجهازها المفاهيمي والمصطلحي وأدواته الإجرائيّة التّحليليّة، وعملوا على توطينها المشهد الثّقافي العربي، وتكييفها مع خصوصيّات النّقد المغاربي والثّقافة العربيّة.

لقد استطاع الخطاب النّقدي المغاربي أن يتبوّأ مكانة مرموقة في المشهد النّقدي العربي، بفضل جهود ثلّة ممّن تصدّوا بقناعة ووعيٍ لهذا الخطاب، ونخصّ بالذّكر النّاقدين: الجزائريّ أحمد

يوسف والمغربيّ سعيد بنكراد. إنّهما صوتان نقديّان متميّزان، عريقان في أصالتهما، ضليعان برصانة بحثهما واشتغالهما، ملمّان بأصول الحداثة ومتعاطيان مع موضوعاتها، فقد أخذا على عاتقهما مهمّة نقل النظريّة السّيميائية في نسختيها (الأوروبية والأمريكيّة) إلى السّاحة العربية، فتبنّيا هذه النظرية وروّجا لها تأليفا وترجمة، تنظيرا وممارسة، فأغنيا المكتبة العربيّة بكمّ هائل من الدّراسات والبحوث التي أصبحت مرجعا للقارئ العربيّ لا غنى له عنها.

يتّضح للمتصفّح للمنجز النّقدي والمساهمات المعرفيّة لهذين العلمين أنّهما قد تأثّرا ـ على غرار نظرائهما من الباحثين المغاربة ـ بالتنظيرات والبحوث اللّسانية لفرديناند دوسوسير، وبالتصوّرات الفلسفيّة المنطقيّة للفيلسوف الأمريكي بورس بوجه خاص، وبمختلف المدارس السيميائية الغربيّة. وقد تجلّى هذا التأثّر في أعمالهما التنظيرية والتطبيقية على السواء. إنّ تأثّر هذان العلمان بالمعطى السيميائي الغربي ووفاءَهما له لم يمنعهما من بلورة تصوّر سيميائيّ خاصّ بهما، ومن رسم ملامحهما الخاصّة في خطابهما النّقديّ فيما تعلّق بقضايا العلامة والمسائل التي تتقاطع معها. فقد خاضا عباب النظريّة السيميائيّة بتؤدة وبخطى متأنّية واثقة، وبرؤى طموحة حين تعاملا مع الخطاب النقدي الغربي تعاملا حذرا من دون ذوبان فيه أو انسلاخ عن هويّتهما الأصليّة، محصّنين نفسيهما بالرّافد التّراثي في سبيل مسايرة الوافد الحداثي. وبفضل هذه الرؤى وهذه الخطوات تمكّن النّقد المغاربي من أن يشيّد لنفسه مكانة مميّزة في السّاحة النّقديّة العربيّة على غرار المكانة التي حظي بها النقد المشرقي في العقود الماضية، وقد تجلّى ذلك من خلال

تلك الأسماء اللاّمعة التي تعدّ بمثابة أيقونات سطعت في سماء النقد العربي، وبفضل تلك المنجزات والمساهمات النقديّة الجديرة بالاهتمام والمتابعة.

ومن أجل معرفة كيفية تمثّل هذين الصّوتين النقديّين للعلامة السّيميائية، خضنا غمار هذا البحث ونحن نعي تمام الوعي صعوبة الإقبال على مجال نقد النّقد. وهنا نؤكّد أنّنا لم نُقبل على هذين العلمين متعالِين عليهما أو متخاصِمين معهما، بل قرأناهما مستفيدين من تجربتهما النّقدية ومفيدين منها، ناهلين من إسهاماتهما الغزيرة والمتفرّدة والرائدة، معترفين أنّنا لا نملك الملكة النقدية ولا المكنةَ الفلسفيّة لنتمكّن من الإحاطة بالمنهج السّيميائي وأصوله ومكوّناته ومصطلحاته من جهة ونلمّ كلّ الإلمام بالمنجز النقدي الغزير لبنكراد من ناحية، ونجاري أحمد يوسف في رقيّ لغته النقديّة وخصوصيّة صيَغِهِ الخطابيّة من حيث معجمها وبنياتها النحويّة وثقافته الغزيرة في شتّى المجالات من ناحية أخرى. لقد حاولنا مقاربة بعض أعمال النّاقدين وقراءتها وتحليلها لإضاءتها من جهة، ولإماطة اللّثام عن كيفيّة تمثّلهما للعلامة، بغية الكشف رؤيتهما النّقدية ومرجعيّاتهما الفكريّة ومنهجهما في التّعامل مع هذه المفاهيم والمفاتيح الإجرائية في مقاربة النصوص والخطابات على اختلاف أنواعها وأنماطها من جهة ثانية.

وعن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، فمنها ما هو ذاتيّ وهو المتمثّل في خوض غمار البحث في مجال النّقد السّيميائي استكمالا لما بدأناه في طور الماستر من جهة، وتلبية لرغبة أستاذنا المشرف المتمثّل في إنجاز عمل يحتفي بأعمال أستاذه الناقد الدكتور أحمد يوسف عربون وفاء منه

وامتنان على ما قدّمه من مجهودات جبّارة في سبيل تأطير جيل واسع من الطلبة في مرحلتي التدرّج وما بعد التدرّج، هذا التّأطير الذي يعدّه الباحثون حلقة من حلقات مشروعه النقديّ السيميائيّ المتكامل العناصر.

أمّا أسبابه الموضوعيّة فتكمن في رغبتنا في إنجاز دراسة نقديّة تحتفي بأعلام النّقد المغاربي، وبإنجازاتهم النقدية. فجاء بحثنا موسوما ب: **الدّرس السّيميائي في النقد المغاربي (تمثّلات العلامة في أعمال أحمد يوسف وسعيد بنكراد)**. فتوخّينا من خلاله تحقيق بعض الأهداف، نذكر منها:

. التّعرف على الأصول الفكريّة والفلسفيّة للعلامة في الخطاب النّقدي لدى الباحثين.

. اكتشاف مدى قدرة النّاقدين على التمثّل النّظري والإجرائي للعلامة في خطابهما النّقدي.

. مدارسة بعض النّماذج التّطبيقيّة بتحليلها ومساءلة أدواتها الإجرائيّة وتشكيلاتها المصطلحيّة.

. التعرّف على الرؤية المنهجية للناقدين في مقاربة النصوص.

ويأتي هذا العمل مواصلة لسلسلة الأعمال التي أخذت على عاتقها التّعريف بأحمد يوسف وسعيد بنكراد. ويمكننا في هذا المقام أن نذكر نماذج من تلك الأعمال الأكاديميّة التي قاربت المنجز النقدي لأحمد يوسف على غرار:

– إشكاليّة الخطاب السّيميائي في النقد الأدبي المغاربي (دراسة في نقد النقد)، أطروحة دكتوراه، إعداد هامل بن عيسى، 2013/2012م.

– في نقد الخطاب الشّعري الجزائري المعاصر من منظور الباحث أحمد يوسف (قراءة في الأصول والمناهج)، مذكرة ماجستير، إعداد سماح أوسعيد، جامعة سطيف، 2013/ 2014م.

– الجهود النقديّة عند أحمد يوسف من خلال كتبه (القراءة النسقيّة، السّيميائيات الواصفة، يتم النص)، مذكرة ماجستير إعداد حياة بن الشيخ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2015/2014م.

ـ المشروع النّقدي عند أحمد يوسف (كتاب القراءة النسقيّة، سلطة البنية ووهم المحايثة)، أطروحة دكتوراه LMD، إعداد ريمة خلدون، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2019/2018م.

ومن المقالات التي اشتغلت على أعمال الناقد أحمد يوسف ومشروعه النّقديّ، نجد:

. خطاب التأسيس السّيميائي في النقد الجزائري المعاصر (مقاربة في بعض أعمال أحمد يوسف)، وذناني بوداود، مجلّة الأثر، عدد خاص، 2011. ويمكننا أن نصنّف هذه المقالة بأنّها مصدر كلّ الأعمال التي احتفت بالمنجز النقدي لأحمد يوسف. ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان للدكتور وذناني بوداود على استقباله لنا وتوجيهاته التي أضاءت لنا سبل إنجاز هذا العمل.

ـ الجزائري أحمد يوسف أفق حداثيّ عانق منابع الفكر العالمي (إشراقات النقد)، لسعاد العنزي، مجلة الرأي، العدد 11229، الكويت، الثلاثاء 30 مارس 2010.

أمّا عن الأعمال التي قاربت المنجز النّقدي لسعيد بنكراد فنذكر منها بعض المقالات التي تناولت قراءات في بعض أعماله سواء هنا في الجزائر أو في المغرب الشّقيق. منها ما هو منشور على موقعه الإلكتروني أو في أعداد من مجلة علامات التي يرأسها. ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– في سيمياء الشخصية والجسد (مدخل لقراءة أعمال سعيد بنكراد)، إدريس جبري، موقع سعيد بنكراد، مجلة علامات، العدد 20 ـ 2003.

– جدل الذات والعلامات (قراءة في كتاب السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها لسعيد بنكراد)، محسن أعمار، مجلة علامات، العدد 20، 2003.

– النظرية التأويلية وتطبيقاتها في مشروع سعيد بنكراد، غالم عبد الصمد، مجلة المدوّنة، المجلد 5، العدد 2، 30 ديسمبر 2018.

وقد جاءت إشكالية بحثنا هذا لتنظر في **مدى تمثّل النّاقدين للعلامة السّميائية في أعمالهما تنظيرا وممارسة**، وقد تولّدت عنها جملة من الإشكاليات الفرعيّة نذكر منها:

– ما حجم الوفاء الذي اتّسم به الناقدان في تمثّل النظريّة السّيميائية الغربية؟

– هل تمكّن الباحثان من تطويع مفاهيم الدّرس السّيميائي وترويضه بما يتلاءم وخصوصيّة النصوص والثقافة العربية؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكالية وتلك التساؤلات وقصد بلوغ تلك الأهداف اعتمدنا على مجموعة من الأعمال التي تعتبر مصادر لهذا البحث، منها:

– كتاب الدلالات المفتوحة (مقاربة في فلسفة العلامة)، كتاب السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، كتاب علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، كتاب النظريّة السيميائية من العلامة إلى الخطاب، كتاب القراءة النسقيّة (سلطة البنية ووهم المحايثة)، كتاب يتم النص والجينالوجيا الضائعة. وكلّها أعمال أحمد يوسف.

أمّا أعمال سعيد بنكراد التي اعتمدنا عليها فنذكر منها: السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، السيميائيات والتّأويل (مدخل لسيميائيات ش. س. بورس)، النص السردي (نحو سيميائيات للأيديولوجيا)، مسالك المعنى (دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية)، شخصيات النص السردي (البناء الثقافي)، وعدد من المقالات المنشورة في مجلّة علامات لا يسع المقام لذكرها كلّها.

وقد تشكلت دراستنا في مبناها من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول:

مدخل: عنونّاه ب **التّلقي السّيميائي في الثّقافة النقدية المغاربيّة**، تناولنا في المبحث الأول منه: مسألة **التّمثّل المغاربي للنّظرية السيميائيّة الغربيّة**، من خلال عرض نماذج من الساحات

النقديّة المغاربيّة (الجزائر، تونس، المغرب وليبيا)، أمّا في المبحث الثّاني فقد تحدّثنا عن **معيقات انتقال النظرية السيميائيّة إلى المغرب العربي**، أين تطرّقنا إلى أبرز الإشكاليات التي اعترضت انتقال النظرية السيميائيّة إلى السّاحة المغاربيّة.

والفصل الأول: وسمناه ب: **العلامة في الخطاب النّقديّ الغربيّ**، قسّمناه إلى ثلاثة مباحث، الأول تناولنا فيه **التصوّر السّوسيري للعلامة**، فتطرّقنا إلى قضايا العلامة من خلال ما جاء في كتاب محاضرات في اللّسانيات العامة، ومن خلال ما استجدّ من مصادر ومخطوطات لدوسوسير في البحث اللّساني الحديث. والمبحث الثاني تناولنا فيه **التصوّر البورسي للعلامة** تحدّثنا فيه عن تعريف العلامة عند بورس وعن مكوّناتها وطرق اشتغالها. وعن أهمّ القضايا المرتبطة بها كقضايا التأويل وعلاقتها بالسّيميائيات. أما المبحث الثالث فتحدّثنا فيه عن تصوّر مختلف المدارس السيميائيّة المعاصرة للعلامة، فجاء تحت عنوان: **تصوّر الاتجاهات السّيميولوجيّة للعلامة**.

أمّا الفصل الثاني: فجاء موسوما ب **تمثّلات العلامة في أعمال أحمد يوسف**، تعرّضنا في مبحثه الأول الذي عنونّاه ب **تمثّلات العلامة في أعمال أحمد يوسف تنظيرا**، إلى بعض المفاهيم النظرية المتعلقة بمسألة العلامة وما جاورها من مفاهيم من منظور أحمد يوسف، وفي المبحث الثّاني الذي عنونّاه ب **تمثّلات العلامة عند أحمد يوسف ممارسة**، بحثنا تمثّل أحمد يوسف للعلامة، فتعرّضنا إلى بعض أنواع العلامات التي استثمرها الناقد أثناء ممارساته التطبيقيّة.

وجاء **الفصل الثالث** بعنوان: **العلامة وتمثّلاتها في أعمال سعيد بنكراد**، وقسّمناه بنفس طريقة تقسيم الفصل الثاني، إذ تعرّضنا في المبحث الأول إلى **المفهوم النّظري للعلامة عند بنكراد**، فقدّمنا فيه تعريفاته للعلامة ولبعض المصطلحات والمفاهيم ذات الصلة بها، أمّا المبحث الثّاني فعنونّاه ب **الاستثمار الإجرائي للعلامة عند سعيد بنكراد**، فتناولنا أنواع العلامات التي اعتمد عليها النّاقد في مقاربته لمختلف النّصوص التي اشتغل عليها. وقد حاولنا أن ننهي كلّ فصل بخاتمة مقتضبة لخّصنا من خلالها ما توصّلنا إليه في الفصل من نتائج.

وأنهينا البحث **بخاتمة** تضمّنت مجموعة من النتائج التي توصّلنا إليها من خلال الفصول الثلاث.

وقد استدعت إشكاليّة بحثنا أن نعتمد على المنهج الوصفي، مستعينين ببعض الأدوات التّحليليّة، للوقوف على أهمّ المسائل المتعلّقة بمصطلح العلامة وأصنافها وبمختلف الخلفيّات التي استند عليها هذا الخطاب النّقدي. وكما هو معلوم فإنّ كلّ بحث يتحرّى صاحبه الجديّة والتزام الموضوعيّة والأمانة العلميّة، إلّا وتواجهه صعوبات وعراقيل، وهو ما حدث معنا فقد تعرّضنا في خضمّ إنجازنا لهذا العمل إلى مجموعة من العراقيل أبرزها:

– الانقطاع المتكرّر وتعذّر الاشتغال المستمر والمتواصل الّذي طبع إنجازنا لهذا العمل، والّذي من شأنه أن يؤثّر سلبا على مردود البحث كمّا وكيفا.

– صعوبة الإلمام بالنظريّة السيميائية وخاصة في نسختها الأمريكية، وتعسّر فهم جهازها المصطلحي، نظرا للخلفيات الفلسفيّة التي انبثقت منها، والمنطلقات الفكريّة التي انبنت عليها.

– ضخامة المنجز النقدي للناقد سعيد بنكراد، فهو باحث غزير الإنتاج، لا يجاريه في هذا المجال باحث آخر.

– تشعّب أفكار أحمد يوسف الفلسفيّة ممّا عقّد من مهمة استجلاء المفاهيم المبثوثة في ثنايا كتبه.

– صعوبة الوصول إلى مؤلّفات أحمد يوسف، كونها طبعت طبعة واحدة فقط وقد نفدت من المكتبات الجزائريّة وحتّى دور النشر.

وفي الختام نؤكّد أنّ هذا العمل لا يدّعي الإحاطة الشاملة بموضوع البحث، ولا يدّعي أنّه طرق جديدا لم يُسبَق إليه، فهو لا يعدو أن يكون محاولة متواضعة اهتمّت بقراءة الممارسة النقديّة التي تميّز بها الخطاب النقدي العربي المعاصر. ومهما يكن فإنّنا نأمل أن يكون هذا البحث قد أضاء زاوية من زوايا النّقد الأدبي المتعدّدة. وأن نكون قد وفّقنا ولو قليلا في الإجابة عن إشكالية هذا البحث وعن التساؤلات التي رافقته. وأن نكون قد وفّينا علمينا حقّهما، وأن نكون قد التزمنا الأدب في تعاملنا معهما دون تقليل أو انتقاص من قيمتهما العلميّة ومكانتهما الفكرية جزاء ما أسهما به في إغناء المكتبة النقدية العربية وما جادا به للنقد المغاربيّ من أعمال رائدة

جمعت بين الأصالة والحداثة. وحسبنا أنّنا حاولنا ذلك، ونحن على وعي أنّه من رام التصنيف فقد عرّض نفسه للاستهداف ولكن عزاؤنا في المثل السائر القلم أبقى أثرا واللّسان أكثر هذرا.

وفي الأخير نجدّد شكرنا وامتناننا لأستاذنا المشرف الدكتور الفاضل " قادة غروسي " نظير تحمّله وصبره وسعة صدره علينا. داعين الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

فإن أصبنا فمن الله وحده وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

الطالبة: سمّاش مختارية

دائرة مغنيّة في: 05 / 08 / 2023.

ولاية تلمسان

مـــــدخـل:

التّلقي السيميائي في الثّقافة النقدية المغاربيّة

المبحث الأوّل: التمثّل المغاربي للنّظرية السيميائيّة الغربيّة

المبحث الثاني: معيقات انتقال النظرية السيميائيّة إلى المغرب العربي

تمهيـــــــــد:

وجد المنهج السيميائي إقبالا كبيرا في الساحة النقدية العربية عامّة والمغاربيّة خاصة. ويُرجع بعضهم هذا الإقبال الشّديد إلى تلك الألفة المستقاة من حضور ملامح هذا المنهج في التّراث العربي القديم والثقافة العربيّة.

وقد كان التأسيس الفعلي للمقاربة بالمنهج السيميائي في المغرب العربي مطلع ثمانينيات القرن العشرين، بينما كان بعض الباحثين يتوجّس خيفة من هذا المنهج النقديّ الوافد فقد أقرّ البعض الآخر بنجاعته وفعاليته في استقراء النصوص الأدبية. فالسيميائيات " تحتلّ مكانة هامة ضمن المناهج النقدية، ولئن كان البعض يعتبرها مجرّد موضة من الموضات، فإنّ هذا الوصف لم ينقص من قيمتها كمنهج نقديّ علميّ وإجرائيّ في الدراسات الأدبيّة وتحليل النصوص الأدبية بالدرجة الأولى، بل ولم يزد المشتغلين بها إلّا مقاومة لكل نزعة تبسيطية، ولذلك فهي في الاعتبار الصحيح منهج لا يمكن التّقليل من أهميته أو التقليص ممّا يمكن أن يفتحه من سبل وآفاق جديدة تنير مجاهل التعبير الأدبي والفنّيّ ..."[1]. حتّى أضحت السّيميائية وسيلة" تدعو إلى قراءة النص الأدبيّ بصفة متواصلة ومتجدّدة، يولد خلالها النص مع كل قراءة وتتضاعف دلالته"[2]. وقد حظيت النظريّة السيميائية بمكانة عالية داخل الخطابات باعتبارها نظريّة ومنهجا نقديّا،

1 جيرال دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامة، تر: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة النجاح الجديدة (البيضاء)، ط1، 2002، ص5.

2 مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي (دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد المالك مرتاض ومحمد مفتاح)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2005، ص 64.

وهو الأمر الذي جعل الدّارسين العرب يقبلون عليها إقبالاً منقطع النّظير لما وجدوا أنّ التحليل السيميائي أصبح " مفتاحا حداثيا وموضة لابدّ من الالتجاء إليها قصد عصرنة الفهم وآليات التأويل في القراءة "[1]. فكيف تمثّل النقّاد المغاربة النظرية السيميائية في منجزاتهم النقدية؟ وما هي أبرز الإشكالات التي واجهت هذه النظرية الوافدة أثناء تنقّلها إلى البيئة المغاربيّة؟

استقبل النقاد المغاربة الحداثيّون النظرية السيميائية عن طريق المثاقفة، والتّأليف والترجمة وكذا البعثات العلميّة، وقد تتلمذ بعضهم على أيدي كبار السيميائيين الغربيّين المتخصّصين في المجال. ولقد تأثّر نقادنا المغاربة بالمدارس السيميائية الرائدة في التحليل السيميائي فاستقوا منها آلياتها وإجراءاتها في قراءة الأعمال الأدبيّة، على غرار المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية والمدرسة الروسية، فقد تعدّدت المدارس والتيارات وانطلقت كلّها من التصورات التّأسيسية الأولى لهذا المنهج النقدي وبطبيعة الحال فإنّ هذا التنوّع مردّه إلى تباين الخلفيات المنهجيّة والمنطلقات الفكرية والفلسفية.

1 جميل حمداوي، مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، مكتبة المعارف، الرباط، ط 1، 2010، ص 111.

المبحث الأول: التّمثّل المغاربي للنّظرية السّيميائية الغربيّة.

يلفي الباحث في المكتبة النقدية العربيّة الكثير من المؤلفات التي عكفت على مقاربة الخطابات العربيّة السّرديّة والشعريّة، منطلقة من مختلف توجّهات التيارات السيميائية. وسنتعرف من خلال هذا المبحث على مختلف التجارب المغاربيّة التي تبنّت المنهج السّيميائي واختارت أدواته وسيلة لقراءة النصوص والخطابات بمختلف أنواعها.

1 . التّجربة الجزائرية:

أ . رشيد بن مالك: إنّ الجهد الكبير الذي صرفه بن مالك مبكّرا على السيميائيات السّردية تأليفا وترجمة، تنظيرا وتطبيقا هو ما جعله واحدا من أبرز النقّاد المتميّزين عربيّا، فتربّع على عرش السّيميائية العربية عامة والمغاربية خاصة. على الرغم من استشعاره الدّائم لصعوبة أمرين اثنين:

أولهما: صعوبة نظريّة غريماس السيميائية وتعقيداتها الكبيرة خاصة " وأنّنا لم نكن من المقدرة على تلقّي هذه المعرفة الغزيرة ذات الأصول الفكريّة المتنوعة من منطق ورياضيات ولسانيات وفيزياء وكيمياء"[1]، كما يعترف بذلك شخصيا.

1 ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائيات أصولها وقواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، ص 11.

وثانيهما: هو صعوبة فهم هذا المنهج والعمل به على المتلقّي العربي، فالقارئ العربي –في نظره– يواجه صعوبات عدّة في قراءة السّيميائيات وفهمها واستساغتها، فضلا عن تبنّي مفاهيمها وأسسها وتجسيدها على أرض الواقع ، وذلك راجع إلى أنّ المنجز النقدي السّيميائي العربي يقدّم هذه المعرفة مفصولة عن هويّتها وسياقاتها الثقافيّة، وعن أسسها المعرفيّة وكذا عن ملابسات وظروف نشأتها أول مرة [1].

لم يكن بإمكان بن مالك تقديم هذا الرأي لولا تمكّنه الشديد من ناصية السيميائيات وباطلاعه عليها في مواطن نشأتها وتلقّنه مناهجها على يد أقطابها ومنظّريها، فقد" تتلمذ رشيد بن مالك على يد أقطاب مدرسة باريس وحضر دروسهم وعقد صلات بهم، وأصبح ممثّلا لهم على مستوى البلاد العربيّة"[2].

تطلّع رشيد بن مالك إلى محاولة تأسيس" قراءة في النظريات الغربية"[3]، هذا المشروع الذي تعامل فيه مع نظرية غريماس وسعى إلى تقريب مفاهيمها إلى القارئ العربي، محاولا ترسيخ المصطلح السيميائي السّردي الغربي في الحقل النقدي العربي من خلال تذليل الصعاب أمام

1 ينظر: جون كلود كوكي، السيميائية (مدرسة باريس)، ترجمة: رشيد بن مالك / دار الغرب للنشر، د.ط، ص11–12.

2 سعيد بنكراد، حوار إلكتروني 04/ 2015/11.

3 عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، وهران، ص 98.

المتلقي العربي، بغية " تجاوز مصاعب الترجمة وتخطّي فوضى الاستعمالات المصطلحيّة الجاري العمل بها"[1]، كيف لا والمصطلح هو مفتاح الولوج لأيّ علم من العلوم أو فنّ من الفنون.

لقد زاوج رشيد بن مالك في مشروعه النقديّ الّذي يتمثّل فيه مبادئ النظرية السّيميائية بين التلقّي النظري والتحليل الإجرائي، بالإضافة إلى ترجمة المصطلح، من خلال مجموعة من المنجزات العلميّة أهمها:

– مقدمة في السيميائية السردية الذي أصدره سنة 2000م: وهو من بواكير مؤلفاته، والذي تتضّح من خلاله معالم فكره النقديّ، وتوجّهاته المنهجيّة في الطرح والتنظير والتطبيق والتحليل، وقد قام بن مالك بتخصيص الجزء الأول من هذا الكتاب إلى تتبّع أصول وخلفيات النظرية السيميائية وأهمّ المفاهيم التي بنيت عليها[2]، ليتناول بعدها أهم إجراءات وأدوات التحليل السيميائي السّردي كالمربع السيميائي والملفوظ السّردي والجملة البسيطة، والكفاءة والأداء الكلامي غيرها من المفاهيم[3].

أما الجزء الثاني من الكتاب فهو عبارة عن دراسة تطبيقية (قراءة سيميائية) لقصة **العروس** للروائي الفلسطيني غسان كنفاني، ثم أتبعه بتحليل سيميائي لقصة **غادة أم القرى** وبعض

1 رشيد بن مالك، قاموس مصطلح التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2000، ص07.

2 ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م، ص49.

3 ينظر: المرجع نفسه، ص 17 وما بعدها.

القصص الأخرى من المجموعة القصصية لأحمد رضا حوحو. ليختتم الفصل التطبيقي من الكتاب بقراءة في سيميائية الفضاء لرواية **ريح الجنوب** لعبد الحميد بن هدوقة.

– قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي، فرنسي، إنجليزي) الصادر في 2000م: ففي إطار اهتمامه بالمصطلح النقدي نقلا وترجمة حاول بن مالك من خلال هذا العمل القيّم والمبسّط الذي وجّهه خصيصا للطلبة المهتمين بدراسة السيميائيات ليسهل عليهم فهم البحوث الأصليّة في المجال. و" الموجّه لترسيخ المصطلح السيميائي السردي في النقد العربي وتسهيل عمليّة تلقّيه والقضاء على الصعوبات التي من شأنها أن تنجم عن سوء فهم المصطلح أو استخدامه الفوضويّ[1]. وممّا خلص إليه في هذا القاموس هو أنّ سبب فوضى المصطلح النقدي واضطرابه هو " غياب إجماعي يؤسس لخطاب نقدي جديد "[2].

– السيميائيات السرديّة سنة 2006م: وهو كتاب مقسّم إلى قسمين أيضا جزء نظري تطرّق فيه بالحديث إلى مستقبل الدّراسات السّيميائية في الوطن العربي، وواقع وآفاق السّيميائية في الفكر الأوروبي لينتقل إلى واقع وآفاق الدّراسات السّيميائية المعاصرة في الوطن العربي. ولا يخلو الكتاب من شرح وتحليل للكثير من مفاهيم السّيميائيات السّردية، بالإضافة إلى تطرّقه إلى إشكالية التّرجمة والمصطلح.

1 ينظر: قاموس مصطلح التحليل السيميائي للنصوص، ص07.

2 المرجع نفسه، ص11.

أما القسم التطبيقيّ فتطرّق فيه إلى عدد من النماذج التطبيقية من قبيل: رواية **كليلة ودمنة** لابن المقفع، ورواية **نوّار اللوز** لواسيني الاعرج، **والمطر والجراد** لجيلالي خلاّص.

ومن ضمن أهمّ مؤلفات بن مالك نجد:

– البنية السردية في النظرية السيميائية (2002م)، السيميائية أصولها وقواعدها (2002م)، تاريخ السيميائيات، من المعجميات إلى السيميائيات . فضلا عن ترجمته لعدد وفير من دراسات أعلام السّيميائية الغربيّين على غرار ترجمته لكتاب:"السِّيميائية أصولها وقواعدها" لميشال آريفيه وجوزيف كورتيس، جون كلود كوكي، ولوي بانييه وجان كلود جيرو وآن إينو(2002م). وكتاب تاريخ السيميائية لمؤلفته آن إينو (2004م). بالإضافة إلى كمّ هائل من الدّراسات المنشورة في المجلات العلمية.

وهكذا فقد أثرى الباحث المكتبة الجزائرية بمخزون ضخم من المؤلّفات في حقل السّيميائيات تأليفا وترجمة، تنظيرا وتطبيقا متمثّلا لمفاهيم مدرسة باريس الغريماسية السّردية.

ومن هذا المنطلق يحقّ لنا القول أن: "الجهد الكبير الذي قدمه رشيد بن مالك في السيميائية السردية على مستوى التّنظير والتطبيق قد جعله ناقدا متميزا، إذ يعدّ في طليعة النقاد العرب الذين أسّسوا السيميائية العربية بفضل الجهود التي قدمها تأليفاً وترجمةً للقارئ العربي"[1]، كما أنّ

1 محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر،2013 م، ص 190.

إخلاصه للمنهج السّيميائي وولاءه والتزامه بقواعده وآلياته يبدو واضحا جليّا من خلال عناوين كتبه ومحتوياتها عكس ما فعله غيره من النقاد على غرار عبد المالك مرتاض.

ب . عبد المالك مرتاض: ليس من الإنصاف ولا من الأمانة البتّة الخوض في أيّ حديث يتعلّق بالخطاب النّقدي الجزائري المعاصر دون البدئ بذكر شيخ النقّاد الجزائريين عبد المالك مرتاض. فهو أوّل من جازف بركوب عباب المناهج النّسقية الحديثة، وخوض هذا الانقلاب المنهجي في تجربة فريدة من نوعها عملت على وضع النقد الجزائري موضع النشاط الفعّال.

و يأتي هذا البحث متزامنا مع وفاة هذا النّاقد الكبير بتاريخ : 2023/11/03 عن عمر يناهز ثمانية وثمانين عاما.ويعدّ مرتاض من أغزر كتّاب الجزائر تأليفا وأكثرهم تنوّعا وثراء، فقد طرق أغلب الحقول الأدبيّة والمعرفيّة من تاريخ ونقد ورواية وقصة وشعر. ويتجلّى واضحا للقارئ العربيّ التوجّه السّيميائي لمرتاض من خلال مؤلفاته النقدية في هذا المجال على غرار :

– كتاب ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية **حمّال بغداد** الصادر في 1989م وفيه خاض تجربته السيميوتفكيكية، فقد بيّن مرتاض منهجه الذي زاوج فيه بين التراث والنظريات اللّسانية من جهة وبين المنهجين السّيميائي والتّفكيكي وهما منهجان يسيران في خطين متوازيين، بعيدين كلّ البعد عن بعضهما من الناحية النظرية، إذ يخوّل الأول منهما السلطة للنص بينما يخوّلها الثاني للقارئ.

–كتاب أ ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة " **أين ليلاي** "لمحمد العيد آل خليفة الذي ألفه سنة 1987م والصادر في 1992م، وقد أبرز فيه أهمّ الإجراءات التطبيقية لمنهجه السّيميوتفكيكي، والذي تبدو فيه تجربته هذه المرة أكثر نضجا، بحيث تخلىّ فيه عن الميكانيكية التي بدت بعض الشيء في دراساته السابقة[1]. ويشكّل هذا الكتاب جزءا من مشروع نقديّ ضخم... ونقلة نوعيّة في التّأسيس الفعلي للاتجاه السيميوتفكيكي، على الرغم ممّا شابه من تذبذب منهجيّ كبير خاصة أنّه تبنّى في عنوانه المنهج السيميائي، ضف إلى ذلك تطابق منهجية هذا الكتاب مع مؤلَّفه الآخر" بنية الخطاب الشعري"، سوى تطوير طفيف لبعض الإجراءات والاهتمام النوعي بالاستراتيجيات التفكيكية[2].

–كتاب شعريّة القصيدة ـ قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة "أشجان يمانيّة" الصادر في 1995م."هذه الدراسة تشكّل إحدى الممارسات العملية المتميزة، التي أنجزها الناقد وفق التّحليل السّيميائي، مستفيدا من بعض مقولات ومناهج المدارس النقدية الغربية المختلفة، ومحاولا تطويرها بما يخدم رؤاه النقدية"[3]، ومن خلاله يؤكد مرتاض تبنيه الصريح للمنهج السّيميائي

1 حفناوي بعلي (جامعة عنابة)، التجربة العربية في مجال السيمياء، الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي، د.ط.ص173 .

2 ينظر: مولاي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 72.

3 المرجع السابق، ص 78.

حيث يقول "لن يكون مسعانا في هذا الكتاب إلّا من أجل ترسيخ مفهوم القراءة بالمفهوم السّيميائي لهذه القراءة "[1].

– تحليل الخطاب السردي ـ معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق" الذي أصدره في 1995م، وبنفس المنهج المركّب قارب ناقدنا هذه الرواية، ويبدو من خلالها تأثّره الواضح بأفكار المدرسة الشّكلانية وأقطابها البارزين أمثال: رومان جاكوبسون وتوماشوفسكي وغيرهم.

وهكذا يمّم مرتاض وجهه شطر المناهج النقدية الغربية والمتح من آلياتها ومصطلحاتها وإجراءاتها النظرية والتطبيقية قصد سبر أغوار النصوص وفكّ شفراتها. مدركا ما وقعت فيه المناهج الغربية على اختلافها من إجحاف في حقّ النص الأدبيّ فانبرى إلى اعتماد منهج نقديّ يكون أكثر إنصافا وأكثر ملائمة منها إذ يقول:" أولى لنا أن نشدّ منهجا شموليّا تكون به القدرة على استكناه دقائق النص واستكشاف كوامنه، وتعريف مكامنه دون أن نقع لا في فخ البنيويين الرافضين للإنسان والتاريخ ...والاجتماعيين الذين يعلّلون كل شيء تعليلا طبقيّا، ولا في فخ النفسانيين وهم الذين يودون جهدهم تفسير سلوكات المبدع من خلال تفسير الإبداع"[2].

1 عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشعري دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانيّة، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط.، الجزائر، ص18.

2 عبد المالك مرتاض، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد ،. ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، 1993، ص13.

وزيادة على المنهج الشمولي الذي رام مرتاض تطبيقه فقد عمل على التوفيق بين التراث والنظريّات اللسانية الحديثة بما في ذلك الإجراءات السيميائية في العديد من أعماله ودراساته المنجزة مثل: (مقامات السيوطي)، (ألف ليلة وليلة)... وغيرها من الأعمال الأخرى التي زاوج فيها بين التراث النقدي العربي و معطيات المناهج النقدية الحداثية من غير تجاوز لخصوصيات النصوص التراثية.

ويستشف المتفحّص لمنجزات مرتاض "عمق ثقافة الباحث وسعة إلمامه بعناصر الدرس السيميائي، كما تدلّ على حضور ملامح النّظريات الغربية حضورا مستمرا في ذهنه "[1]. وممّا يبدلّ على تمكّنه من ناصية النظريّة السّيميائية اهتمامه المنقطع النظير بقضية صناعة المصطلح واهتمامه.

وممّا زاد من تمكّنه منه امتلاكه لثروة لغوية هائلة استمدّها من الموروث اللّغوي والبلاغي العربي القديم ومن أمثلة ذلك انفراده بوضع مصطلح (سيمائية) الذي استمده من صلب المعاجم العربيّة كبديل عن المصطلح الشائع (سيميائيات).

هذا بالإضافة إلى اصطناعه تقنية النحت كآلية لتوليد المصطلحات، وهي مصطلحات تواتر وجودها في مؤلَّفه (النص الأدبي من أين؟ والى أين؟ الصادر في 1983م)، وكتاب (شعرية القصيدة، قصيدة القراءة الصادر في 1994م).

1 مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص72.

ج ـ آمنة بلعلى: قلم نسويّ بارز، قامة علميّة متميّزة، ناقدة مقتدرة على ترويض المناهج النّقديّة. آمنة بلعلى باحثة أكاديميّة متخصّصة في مناهج تحليل الخطابات الأدبيّة والثقافية. لها إسهامات نقديّة غزيرة، تتنقّل فيها بين فيافي النصوص التراثيّة والمناهج النقديّة الحديثة، تستثمر آلياتها الإجرائية حينا وتنتقد هيمنة وسطوة المناهج والثقافة الغربية حينا آخر.واحدة من الأقلام الجادّة التي استثمرت المنهج السّيميائي في مقاربة النص الصوفي، ففي مؤلَّفها الموسوم:

– "تحليل الخطاب الصوفي" الذي عنونت فصله الثالث ب:"تمفصلات الحكي" احتكمت الباحثة إلى السّيميائيات السّرديّة التي ساعدتها في الكشف عن موجّهات الحكي وكيفية اتّساع دائرة الاتّصال بين المتصوّفة والآخرين[1]، وبدون اللّجوء إلى بسط نظريّ للسّيميائيات السّردية عكفت الباحثة بكفاءة متميّزة على مقاربة النص الصوفي مقاربة مباشرة. فجاءت الدّراسة تطبيقيّة أكثر منها نظريّة، فاستثمرت أهمّ الأدوات الإجرائية لنظريّة غريماس السّرديّة، على غرار " البنية العامليّة"، و" البرامج السّرديّة" ومفهوم "الفضاء" حيث رصدت الباحثة كلّ الأفضية الّتي ذكرت في مدوّنتها.

ولكنّ اللاّفت في هذه الدّراسة أنّ الباحثة لم تتقيّد بمنهج نقديّ محدّد بل راحت تزاوج في دراستها بين مختلف المناهج التي من شأنها إسعافها على مقاربة النص مقاربة موضوعيّة، فاستعملت مفهوم "البرازخ النصيّة" كآلية للقراءة وكبديل عن مفهوم" العتبات النصيّة" لجيرار

1 ينظر: آمنة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص10.

جينيت. وقد حضي العنوان باهتمام كبير في المدوّنة، حيث أخذ حصّة الأسد من البحث، لإيمان الباحثة أنّ العناوين الصوفية تحمل دلالات رمزيّة وإيحائية قابلة للتّأويل، "فالعنوان هو نص، إذا لم يكن هو النص ذاته لأنّه يستوحى من النص"[1].

-"سيمياء الأنساق": في إطار اعتنائها بالنصوص التّراثية قدّمت الباحثة منجزا متميّزا[2] من حيث المنهج والموضوع. وتبحث هذه الدّراسة في تشكّلات المعنى في الخطابات التّراثية، وسبل التعامل معها تعاملا سيميائيّا.

وانطلقت الباحثة في هذه الدّراسة من قناعة مفادها أنّ " التراث العربيّ رحم ولود، إلّا أنّه يفتقر إلى من يكشف عن خباياه وأسراره، وزعمنا هذا يتجلّى في أنّ أغلب المناهج النقديّة الحداثية لها مصداقيّتها في النّقد العربي القديم ...إنّ الحاجة الملحّة تتمثّل في استقراء هذا التراث بشكل دقيق...لا سيما أنّ الفكر العربي إبّان عصور ازدهار الثقافة العربيّة وصل إلى مراحل متقدّمة من النظر المعرفيّ في مباحث الفلسفة وعلم الكلام والمنطق والنّقد، ومن يبحث في هذا التّراث يجد ذلك جليّا "[3].

ومن المواضيع البارزة الّتي تناولتها هذه الدّراسة هي: العلامة في التّراث العربي. وقد كانت الباحثة أكثر تميّزا واقتدارا كعادتها في ممارساتها الإجرائية، فما ميّز هذا العمل هو تجاوزها للطريقة

1 المرجع السابق، ص267.

2 آمنة بلعلى، سيمياء الأنساق، تشكلات المعنى في الخطابات التّراثيّة، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

3 الاتّجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 14.

الآلية في تطبيق المنهج السيميائي على النصوص، بل جاءت ممارستها أكثر نضجا وتنوّعا[1]، فالمدوّنة التي اشتغلت عليها الناقدة هي مدوّنة مغايرة، تتميّز بلغتها الواصفة (نصوص نحويّة، بلاغية، علم الأصول).

ومن المفاهيم البارزة التي استثمرتها الباحثة نجد: العلامة بمنظوريها اللّساني والفلسفي. وممّا خلصت إليه الباحثة في هذا العمل أنّ التراث العربي كان سبّاقا للمعرفة السيميائية غير أنّ جهود قدمائنا لم تكن منظّمة بالقدر الكافي. ويعتبر كتاب الأنساق الثقافية عملا جديرا بالاطلاع والدارسة. وللباحثة مساهمات كثيرة في مجلاّت وطنية ودوليّة، في مختلف ميادين السيميائيات والتّداوليّة.

د. عبد القادر فهيم شيباني: واحد من الأقلام الشابّة الجادّة التي انبرت للنظريّة السيميائيّة تنظيرا وتطبيقا من خلال عدد من الإسهامات التي لا يستهان بها في هذا المجال. فالمتفحّص لكمّ الكتب والمقالات والبحوث التي نشرها شيباني يجدّ أنّها تسلّط الضوء على مقولات السيميائيات البورسيّة (بورس)، ومن جملة هذه البحوث كتاب:

-"معالم في السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها"، فضمن مشروعه للتأسيس للسيميائيات العامة، سعى عبد القادر شيباني إلى محاولة تحديد الأسس التي تقوم عليها السيميائيات العامة بوصفها فرعا من فروع المعرفة السيميائية، وبلورة المفاهيم المتعلقة بنظريّة

1 عباسي صالحة وعمر عيلان، تمثّلات المنهج السّيميائي في كتابات آمنة بلعلى، مجلّة الموروث، المجلّد 9، عدد خاص، 2021.

العلامة باعتبارها أهمّ مبحث تحوم في مداره السيميائيات وبلورتها داخل بوتقة منسجمة معرفيّا، كما" يحاول البحث تحديد المرجعية النظرية للسيميائية العامة، وتقديم تلك المقولات الأنموذجيّة التي من شأنها هيكلة المفاهيم المترامية لنظرية العلامة، إذ نسعى إلى بلورتها داخل بوتقة منسجمة معرفيّا"[1]. قسّم شيباني كتابه إلى فصلين: الأول بعنوان رهانات الأنموذج اللساني، والثاني بعنوان: الدلالة المفتوحة ومنطق الثالثانية، قدّم فيها للقارئ العربي العديد من القضايا بالشرح والبسط وفق منهج وصفيّ بأسلوب علميّ مباشر، ويمكن تصنيف الكتاب في دائرة البحوث الأكاديميّة التعليميّة لما جاء على منواله من بسط وتدليل وتمثيل ومقاربة.

-"السيميائيات وعلم الأفكار (مقولة العلامة. الفكرة بين أصول التفريع الثلاثي ومبادئ الانفتاح": وهو عبارة عن مقال ناقش من خلاله شيباني مسألة علم الأفكار La phanéroscopie باعتباره المرجعيّة العلمية للأورغانون السّيميائي الجديد الذي يتشيّع له بيرس كونه يستجيب من حيث المبدأ لقواعد البروتوكول الرياضي ويخضع لمسألة مراتب الوجود حيث تأخذ العلامة/ الفكرة، مرتبة المفهوم المتعالي التي تعتمدها نظرية بيرس السيميائية.

ومن أعماله أيضا: كتاب: شارل سيندرس بيرس، السيميوزيس ومنطق التراتبات، وسيميائيات المحكي المترابط، التّمثيل التوتّري للدّلالة (مقاربة سيميائية في الفيلم القصير زيرو)، السّيميائيات المنطقيّة والعلامة البصريّة (قراءة في فكر شارل سيندرس بيرس)، النسق

1 عبد القادر فهيم شيباني، معالم السيميائية العامة أسسها ومفاهيمها، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، ص06.

والسيميائيات، العلامة اللّسانية (قراءة في فكر فرديناند دوسوسير)، المحادثة الرقميّة ومنطق الأهواء، بحث في سيميائيات الكتابة الأيقونيّة، كتاب السّرديات الرقميّة، بحث في سيميائيات النص المترابط 2013م.

تعتبر إسهامات هؤلاء النقاد وغيرهم ممّن ساهموا في إرساء قواعد البحث السّيميائي في الجزائر وبلورة فكرة واضحة المعالم عنه، قصد تطوير الممارسة النّقدية مسايرة لنظيرتها في الساحة النقدية العالمية من جهة مواكبة لتطلعات النص الأدبي في تحوّله الدّائم، ممّن يتعذّر علينا ذكرهم في هذا المقام، من أمثال: عبد القادر فيدوح، عبد الحميد بورايو، مولاي علي بوخاتم، قادة عقاق، يوسف الأطرش، عبد المجيد حنون، نبيلة زويش، حسين خمري، مختار زواوي وغيرهم كثير ركائز حقيقية نحو التّأسيس لتجربة نقديّة جديدة وجريئة في عالم الخطاب النقديّ الجزائريّ الحديث.

2 : التجربة التونسيّة :

أ . علي العشّي: واحد من أبرز النقّاد في مجال السيميائيات في تونس الذين تصدّوا لهذا المنهج بالتطبيق والتحليل متأثّرا برائديها: غريماس وجوليا كريستيفا في تحليله لكتاب طه حسين. فتحتَ إشراف الأستاذ عبد السلام المسدّي قدّم علي العشّي سنة 1976م دراسته الموسومة ب" تحليل سيميائي للجزء الأول من كتاب الأيّام لطه حسين"، يعتقد بعض الدارسين أنّ دراسة العشّي تعدّ باكورة المحاولات التي توسلت بالمنهج السيميائي في قراءة النصوص في نقدنا العربي

المعاصر، على الرغم من حداثة المناهج النسقية في هذه الفترة وتداخلها بالمناهج السياقية من جهة وفي ظلّ غياب النماذج العربية المدروسة على ضوء السيميائيات من جهة ثانية. استهلّها العشّي بمقدمة أوضح فيها أسس كل من السيميائيات واللسانيات ثمّ أتبعها بعرض لأبرز مراحل تطورِ اللسانيات الحديثة فقسّمها إلى مرحلتين: مرحلة أولى بدئت بدراسات رولان بارث واهتمامه بالتركيب، ومرحلة ثانية ظهرت مع الإنشائية وتطبيق السيميائية على الأدب.

ب . محمد ناصر العجيمي: نظرا لاهتمامه بالبحث السيميائي في نظريته الفرنسية ووفق آليات نظرية غريماس السيميائية ألّفّ محمد ناصر العجيمي كتابه الموسوم ب"في الخطاب السردي: نظرية غريماس"، سنة 1993م، الذي احتوى في القسم الأول منه تمهيدا تضمن أسس وآليات نظرية غريماس السردية إضافة أهمّ دراساته النظرية والتطبيقية، أما القسم الثاني من الكتاب فقد جاء عبارة عن تطبيق عملي على إحدى قصص" كليلة ودمنة"، الموسومة ب"الأرانب والفيلة".

حاول الناقد محمد ناصر العجيمي تطبيق المنهج السّيميائي السّردي على هذه القصة وفق آليات غريماس، فقد تأسّس الكتاب على" تقديم نظرية غريماس الموسومة بالأنموذج العاملي مردّه إلى ما حظيت به من انتشار واسع في الغرب لما تتميّز به من قدرة على تفجير الموضوع المدروس ووصف آلية توليد المعنى"[1].

1 محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، د.ط.، 1993، ص15.

وقد أقرّ العجيمي في كتابه هذا بأهميّة هذه النظرية وكفاءتها في استنطاق النصوص والكشف عن مكنوناتها، قائلا:" ولما كنّا ننشد في دراستنا الإلمام بأهمّ جوانب المنهج نظريا وتطبيقيّا توفرنا على نص يحوي فيما نعتقد من الخاصيات ما يؤهلنا لبلوغ هذه الغاية في المستوى التطبيقي حريصين على الوفاء قدر المستطاع للأسس النظرية دون تعسف، آملين في الآن ذاته أن نسهم وإن بحظّ متواضع جدّا في قراءة نصوص من التراث من وجهة تأخذ بأسباب النقد الحديث لإيماننا بجدوى هذه التجربة"[1]. وفيما يخص العدّة المصطلحية التي وظفها فيرى رشيد بن مالك أنّ العجيمي حاول في إطار التوجه السيميائي وتحديدا نظرية غريماس أن يقدم دراسة تتوخّى الدقّة في ضبط المفاهيم الإجرائيّة والمصطلحيّة السيميائية العامة، فخصّص لذلك قسما نظريّا عرض فيه لمستويات التحليل في النظريّة السيميائية فنظر إليها على أساس حقائق ثابتة دون أن يلزم نفسه في ذلك مناقشة لبعض القضايا الجديرة بالطرح والمساءلة"[2].

يعبّر كتاب العجيمي عن "استيعاب نظريّة من أعقد نظريّات علم السّرد، فلطالما استعملت نظرية منها لدى نقّاد الاتجاهات الجديدة المتكونة وباحثيها... غير أنّه مثل بقيّة الباحثين والنقّاد اختزل بعض عناصر النظريّة وبسّطها"[3].

1 المرجع السابق، ص109-110.

2 رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006، ص38.

3 عبد الله أبو هيف، النقد الأدبي العربي الجديد (في القصة والرواية والسرد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، د.ط.، ص409.

ومن النماذج التي لها إسهامات كبيرة في النقد السيميائي التونسي نجد:

ج . جميل شاكر وسمير المرزوقي: من خلال جهدهما المميّز في مؤلفهما المشترك بعنوان "مدخل إلى نظريّة القصة" الصادر في 1985م، وهو جهد متميّز كذلك حاول من خلاله الباحثان تبسيط النظريّة السيميائية ووضعها تحت تصرف الباحث العربي بغية استنطاق النصوص وكلّهما ثقة بقدرتها على مجاراة النص العربي" نحن نؤمن بإمكانيّة توظيف غريماس وبروب وجينيت لقراءة أدبنا العربي"[1].

3 . التجربة المغربيّة:

تعدّ التجربة المغربية أغنى التجارب وأكثرها نضجا في مجال النقد السيميائي، لما شهدته من حركيّة واسعة في مجال التعريف والتأليف والتطبيق والترجمة.

أ . محمد مفتاح: يرى الدارسون أنّ "محمد مفتاح" واحد من النقاد العرب البارزين، بسبب مسيرته الحافلة بالإسهامات المهمة، كونه قدّم الكثير للنقد العربي على مستويي التنظير والتطبيق والتحليل، كما اشتغل على المصطلح والمفهوم، ليقدم عددا من الأطروحات التي أكسبت رؤاه وأفكاره شيئا من الخصوصية. وبهذا اعتبر صاحب مشروع نقدي نلمسه من خلال إنتاجاته المتتالية:

1 جميل شاكر وسمير المرزوقي، مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1985م، ص1.

–في سيمياء الشعر القديم: دراسة نظرية وتطبيقية (1982م)، تحليل الخطاب واستراتيجية التناص (1985م)، دينامية التناص تنظير وإنجاز(1987م)، وغيرها من المؤلفات التي اعتمد فيها على جملة من المرجعيّات الغربيّة (الأوروبية والأنجلوساكسونيّة) فقد" أعلن إفادته من الأفكار غريماس، وجيرار جينيت، وميتران ، وكان هذا مبرّرا كافيا له للأخذ بأطراف كل النظريّات والمفاهيم مجتمعة، معتبرا نموذج " غريماس" بإجراءاته وتصوراته أقرب إلى تصورات " فلاديمير بروب" و"كلود ليفي شتراوش" و"هلمسلف"، كما تأثّر بكبار الشكلانيين الروس"[1].

ولعلّ أهمّ ما يميّز مشروع محمد مفتاح النقدي هو حيازته قصب السّبق في مجال نقد الخطاب الشعري المغربي، من خلال عمليه الرائدين هما:

– في سيمياء الشعر القديم. دراسة نظريّة تطبيقية سنة 1982م، الذي قام فيه بتحليل "نونيّة أبي البقاء الرنديّ "، من منظور التعدّد المنهجي (الشعرية والسيميائية والتداولية والفيلولوجيّة) مستفيدا من نظريات "رومان ياكوبسون" و"فيليب هامون" في تحليل الخطاب الشعري.

1 مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيميائي (الإشكالية والأصول والامتداد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2005، ص 133.

– تحليل الخطاب الشعري –استراتيجيّة التناص–سنة 1985م، وفيه وظّف ما جاء به التيّار السيميوطيقي عند "غريماس" و"ريفاتير"، كما استثمر نظريات الأفعال الكلاميّة عند "كرايس" و"أوستن".

ب . عبد اللطيف محفوظ: الناقد والروائي المغربي، افتتح مشروعه النقدي بعنوان "آليات إنتاج النص الروائي"، باعتباره أفقا نظريّا متميّزا لسؤال النقد الروائي، انطلاقا من تصور سيميائيّ تشكّل بناء على نقاش نظريّ معمّق مع مختلف التصورات النظريّة والتحليليّة. أسّس الباحث كتابة مرتكزا على سيميائيات بورس.

ويواصل عبد اللطيف محفوظ مشروعه بمؤلَّف ثان بعنوان " المعنى وفرضيّات الإنتاج . مقاربة سيميائية في روايات نجيب محفوظ."، يتألّف العمل من إطار نظري دقيق يليه محور حول المدارات المحايثة والتي تتفرّع عنها عدّة محاور نظريّة وتحليليّة.

وعلى العموم فإنّ الكتاب يعمل على التأسيس لآليات إنتاج المعنى في روايات نجيب محفوظ. انطلاقا من التصور النظري الذي ارساه الباحث في كتابه السّابق، الّذي تأسّس على سيميائيات بورس الذريعيّة.

وممّا ميّز هذا العمل هو قدرة الباحث على تبسيط المفاهيم وتوضيحها إمّا بتعريفها تعريفات بسيطة أو استثمارها إجرائيّا ليسهل فهمها على المتلقّي.

وتتمثّل الحلقة الأخيرة في مشروع عبد اللطيف محفوظ في كتابه "سيميائيات التظهير"، وقد واصل الباحث في هذا المنجز الاشتغال على النص الروائي. وقد استثمر كعادته سيميائيات بورس من خلال تفعيله لنظرية المؤولات البورسية. وقد حرص الباحث من خلال هذا المنجز على التحديد النظري لكل الأدوات التي وظفها في التحليل، الشيء الذي من شأنه أن يجلي الغموض عن المفاهيم والمصطلحات، وللباحث أعمال متميّزة أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر" وظيفة الوصف في الرواية".

ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ الباحث اختار الاشتغال السردي، وانحاز إلى المرجعيّة السيميائية التداوليّة، شأنه في ذلك شأن الكثير من نظرائه المغاربة الّذين وجدوا في السيميائيات البورسيّة ضالّتهم، وقدرة كبيرة على استنطاق النصوص.

عمل الباحث أيضا على نحت المفاهيم السيميائية واستيعابها أوّلا ثمّ العمل على حسن تطبيقها على النص الروائي العربي، وهذا ما رأيناه يتجلّى في مختلف المنجزات النقديّة التي أغنى بها المكتبة النّقديّة، من خلال جمعه في دراساته هذه بين التنظير والتطبيق، مؤسّسا إيّاه على تصور سيميائيات بورس الذريعية.

سعى محفوظ إلى محاولة إيجاد منهج سيميائي يمكن اعتماده كآليات في دراسة النص الروائي. وهي محاولة لتوظيف المنجز السيميائي الغربي لبناء منهج سيميائي عربي، متخذا من نظرية بورس الذرائعية منطلقا له، ومستعينا ببعض وجهات نظر السيميائيين في استنباط هذا

التصور ومنهم غريماس. إلا أنه ليس من السهل بناء تصور سيميائي سردي عربي أصيل لدراسة النص الإبداعي العربي، وذلك لصعوبة الانفلات من المتراكم النقدي الغربي الذي أصبح مكونا رئيسيا لثقافة النقد العربي الحديث[1].

ج ـ المصطفى شادلي: باحث مغربيّ، تخصّص في البحث السّيميائي، من إسهاماته المعتبرة:

– أطروحة جامعيّة بمدرسة االدّراسات العليا في العلوم الاجتماعيّة بباريس تحت عنوان "التشاكلات السرديّة والتشاكلات الأكسيو– إيديولوجيّة": دراسة سيميائية لمتن حكائي مغربي.

– السيميوطيقا (نحو دلالة جديدة للنص، الإشكالية والرهانات والتطلّعات)، وهي عبارة عن دراسة من جانبين نظري وتطبيقي للنظرية السردية الغريماسيّة، أشار من خلالها الباحث إلى أنّ هذا الطرح يسير في ضوء التطور الذي عرفته النظريّات المفسرة لاشتغال الخطاب.

وقد كان للجانب النظري في الدراسة حصة الأسد، بحيث غلب عليها الطابع النظري، فبعد تقديمه لعرض موجز لمختلف المدارس السيميوطيقية، قام بإعادة تقويم النظريّة السيميوطيقيّة من خلال مبادئها ومسلّماتها، ومن خلال مفاهيمها ومفاتيحها، قبل الخوض في المسار التوليدي للمعنى، وفي النموذج التّأسيسي للدّلالة ومشاكل تمظهر الخطاب لننتهي بمناقشة الإشكالية التلفظيّة وأثرها في تطور الجهاز النظري السّيميوطيقي[2].

1 عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، ومنشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،2008، ص206.

2 ينظر: محسن أعمار، مدخل إلى الدراسات السيميائية بالمغرب (محاولة تركيبية)، مجلة علامات، العدد 02، ص 46.

وللباحث دراسة سيميائية لقصيدة "العصافير تموت في الجليل" للشاعر محمود درويش، ينطلق فيها من محاولة الإجابة عن سؤال مفاده، كيف يشتغل نص العصافير...؟ عبر تحديد المنظومة العلائقيّة المركبة والمتحكمة في النص والفاعلة فيه.

وللباحث عدّ مقالات منشورة في مجال السيميائيات (نظريّة العلامات).

د ـ عبد المجيد نوسي: يعدّ الناقد المغربي عبد المجيد نوسي من الأساتذة الباحثين والمدرّسين في مجال السيميائيات، يتميز بثقافة واسعة واجتهادات لافتة للنظر أهّلته لأن يصنع لنفسه مكانا في الساحة النقديّة المغربيّة. وهو أحد الباحثين المغاربة البارزين في مجال النقد الأدبي والمناهج والسيميائيات. تنبع أهميته من اطلاعه على مدارس وتيّارات نقديّة وسيميائيّة في لغتها الأصلية، وتعلّمه على يد بعض أصحابها ومنظّريها في جامعة السوربون.

عبد المجيد نوسي حاصل على دكتوراه الدولة في السيميائيات من جامعة محمد الخامس بالرباط (1994م)، ودكتوراه السلك الثالث في الآداب من جامعة السوربون الجديدة بفرنسا (1985م). يشتغل أستاذا للسيميائيات والأدب الحديث بالجامعة المغربية (جامعة شعيب الدكالي)، ومدير مختبر "التاريخ والعلم والمجتمع". له مجموعة من الدّراسات النّظرية والتّطبيقية في عدد من الدّوريات العربية المحكّمة.

من أبرز منجزاته: **التحليل السيميائي للخطاب الرّوائي**(2002م)، ومن ترجماته: **سيمياء الكون** ليوري لوتمان (2011م)، و**سيميائيات السّرد** لألجيرداس جوليان غريماس (2018م).

إنّ انفتاح الباحث على المقاربات المختلفة من خلال الحضور المباشر لمحاضرات روّاد المدارس النقدية والشعرية والسيميائية أمثال أ.ج. كريماس وجيرار جينيت وكلود بريمون ومحمد أركون وغيرهم. مكّنته من إنجاز تركيب نظري ومنهجي يقف عند النماذج المختلفة في مجال تحليل الخطاب وعند أدواتها وتطبيقاتها وأيضاً عند حدودها. وقد مكّن هذا التكوين المنهجي والفكري من بلورة مسار من الأبحاث جمع بين الدراسات التحليلية والترجمة[1].

كتاب التحليل السيميائي للخطاب الروائي:

يتّضح للمطّلع على هذا المنجز النّقدي الذي يستند فيه الباحث على المنهج السيميوطيقي نجاحه في استثمار كلّ المفاهيم والآراء الّتي أتى بها هذا المنهج من جهة، ويشي بأنّ الباحث قرأ الكثير عن السّيميائيات وتشبّع بهذا العلم في علاقته باللّسانيات عند دوسوسو وغيره من المهتمين بالدرس اللساني. وهذا يتضح من خلال كتابه هذا، وكذلك من خلال كتبه التي ترجمها، أو من خلال محاضراته التي يقدّمها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجديدة.

1 ينظر: محمود عبد الغني، الباحث السيميائي عبد المجيد نوسي: الرواية تزدهر في الأزمات، من خلال الرابط: https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/print//interviews/2016/10/5/، تاريخ الزيارة: 21 / 11/ 2023.

عمِل عبد المجيد نوسي في كتابه المتميّز " التحليل السيميائي للخطاب الروائي" على مقاربة هذا الموضوع وحاول أن يجيب عن هذا السؤال من خلال تحليل رواية " اللجنة " للروائي صنع الله إبراهيم، متبنّيا السيميوطيقا السردية عند غريماس ومستثمرا معطياتها في تعالق مكوّناتها، بدءا من المكوّن العميق إلى البنية الأولية للدلالة، إلى البنية التركيبية ثم الصوغ الخطابي.

استند المؤلف في كتابه هذا إلى مختلف الأعمال التي شيّدت هذه النظرية، وذلك بتحديد المستويات الأساسية للسيميوطيقا السردية في البنية الأوّلية للدلالة والمربع السيميائي، والتركيب العاملي، ومفاهيم العلاقة والحالة، والنحو السردي، والتسريد، والتحويل، والمسار التوليدي.

كتاب: سيميائيات الخطاب الاجتماعي دراسة نظريّة وتحليلية:

واحد من الكتب المهمّة التي أحاطت بالكامل بموضوع الكتاب وشملت دراسة كلّ جوانبه دراسة بحثيّة معمّقة ومنقّحة والّتي من شأنها إثارة اهتمام الباحثين والطلاّب المهتمّين بالدّراسات والبحوث في المجال.

يحاول المؤلّف من خلال هذا الكتاب إغناء الأنموذج السيميائيّ وتوسعته من خلال تحليل الخطاب الاجتماعي الذي يقدّم معرفة اجتماعية ويستحضر الإنسان موضوعًا له. يعتمد هذا الكتاب على منهجيّة منفتحة تقوم على استثمار نظريّة السيميائيات السرديّة والخطابيّة. ينقسم إلى قسمين اثنين، نظريّ وتحليليّ، يتناول القسم الأوّل المفاهيم الرئيسة مثل: الخطاب، والخطاب

الاجتماعي، والتلفّظ، والتّسخير، والخطاب المركّب، وآليات تحليل الخطاب الاجتماعي. أمّا القسم الثاني فيتناول استثمار عناصر الأنموذج في تحليل الخطاب الاجتماعي، والاستراتيجيات التي يستند إليها كلّ خطاب في توليد المعنى الاجتماعي الذي تجسّد في مقولات "التحرّر" في الخطاب السّياسي، أو" التّغيير" في الخطاب الاجتماعي المعرفي.

الترجمة عند عبد المجيد نوسي: إنّ هذه الفاعلية الفكريّة واللغويّة والثّقافية أساسيّة في تطوير النقد والفكر العربيّين كما كانت في الماضي ولا محيد عنها، وهو الأمر الّذي دفع بالنّاقد إلى ترجمة النصوص الرئيسة في السيميائيات السردية والمتعلقة بالجانب النظري والتحليلي. وتعدّ هذه العمليّة خطوة أساسية لأنّها أولاً، نقلت إلى القارئ العربي خلاصة التنظير في مجال السيميائيات، وثانيا، لأنها أغنت اللغة العربية بمصطلحات جديدة تجد مرجعيّتها في كثير من المدارس الفلسفية والمنطقية واللسانية. وممّا لا شكّ فيه أنّ عمليّة الترجمة هذه قد تعزّزت بالانفتاح على السيميائيات الروسية من خلال الاهتمام الكبير بها في العقود الأخيرة على مستوى السيميائيات الأوروبية والأنكلوساكسونية.

وفي هذا السياق قام الباحث بترجمة كتاب سيمياء الكون ليوري لوتمان الذي يقدم نظرية لموضوع محدّد هو النسق الثقافي بناء على مفاهيم وإبدالات علمية أساسية. ستشكل هذه السيميائيات نموذجاً مكملاً لسيميائيات الخطاب كما بلورتها السيميائيات الأوروبية[1].

يعكف عبد المجيد نوسي حاليّا على إنجاز أكثر من عمل في السيمياء والترجمة. أمّا بخصوص مشاريعه المستقبليّة فيشير الباحث إلى أنّ عمله سيستمرّ في اتجاهين: إنجاز دراسات سيميائية في مجال الخطابات الاجتماعية للوقوف من خلال أدوات الدرس السيميائي عند المعنى الاجتماعي في علاقته باشتغال هذه الخطابات. واتجاه الترجمة نظراً لأهميتها في نقل المناهج بلغتها الواصفة وبأبعادها الإبستيمولوجية. وسيقدّم، في هذا الاتجاه، الأعمال الجديدة لسيميائيات الثقافة الروسية التي نقلتها الترجمات الفرنسية وخاصة كتاب: الانفجار والثقافة[2].

4 . التجربة الليبيّة:

محمد عبد الحميد المالكي: يتميّز الدرس السيميائي في ليبيا بالبساطة والتّواضع الكمّي مقارنة بنظيره في الدول المغاربيّة المجاورة (المغرب والجزائر وتونس)، نظرا لعدّة اعتبارات ثقافيّة

1 ينظر: محمود عبد الغني، الباحث السيميائي عبد المجيد نوسي: الرواية تزدهر في الأزمات، من خلال الرابط: https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/print//interviews/2016/10/5/، تاريخ الزيارة: 21 / 11/ 2023

2 ينظر: المرجع نفسه.

وسياسيّة وتاريخيّة *، باستثناء التجربة الفريدة للباحث محمد عبد الحميد المالكي الذي يعدّ نموذجا سيميائيّا بارزا في الساحة النقديّة المغاربيّة والعربيّة.

إنّ تقلّد المالكي لمنصب أستاذ للتعليم العالي بجامعة بنغازي وإشرافه المباشر على مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، هو سبب اهتمامه الرّصين بالمجال السيميائي، وهو الأمر الذي مكّنه من الخروج بالنّقد الليبيّ المعاصر من "بؤرة المقاربات التقليديّة والرّطن النقديّ الكلاسيكيّ، التي خيّمت على عدد من الدّراسات النقديّة، بتركيزها على الكمّ والدّراسات السّياقيّة بدل المقاربات النصانيّة المحاورة للنصّ"[1].

إنّ اشتغال المالكي على النظريّة السيميائيّة بمختلف تياراتها ولا سيما ما تعلّق بالسيميوطيقا البورسيّة أثمر عدّة إصدارات تنوّعت بين بحوث وكتب ودراسات نقديّة، يتصدّرها كتابه الموسوم "سلطة الكلام: إرادة القوة مشروع بيان السيميائيات السرديّة"[2]، و" من إستراتيجيات خطاب الكلامنجيّة (كيفيّة الاختيار وارغامات الحريّة)"[3]، ودراسته النقديّة "ما وراء لوغوس الكلامنجيّة، في نقد مثقّف القدسنة وقدسنة المثقّف" [4].

* الحكم العثماني، الاستعمار البريطاني، ظروف سياسية معقدة في ليبيا، عدم وجود تراكم نقدي، وجود ممارسات نقديّة معزولة ومستقلّة.

1 محمد الكرافس، الدراسات السيميائيّة وفلسفة المعنى في ليبيا، محمد عبد الحميد المالكي أنموذجا، صحيفة المثقّف الإلكترونيّة، نشر بتاريخ: 28 آب أغسطس2022، عبر الرابط: https://www.almothaqaf.com/readings-5/964710- تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2023.

2 صدر عن دار البيان للنّشر والتوزيع والإعلان، ببنغازي، ليبيا، سنة 2005.

3 صدر عن دار البيان للنّشر والتوزيع والإعلان، ببنغازي، سنة 2005.

4 مجلّة سيميائيات، مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب بوهران، الجزائر، العدد4، سنة 2013.

كما أشرف الباحث على عدّة أطاريح ورسائل علميّة بجامعة بنغازي، وعلى مجموعة ملتقيات وندوات دوليّة، أهمّها النّدوة الضخمة بطرابلس سنة 2008م، والتي حضرها ثلّة من الباحثين من مختلف أنحاء العالم، على رأسهم الحضور الشّخصي لأمبرتو إيكو.

وقد شارك الباحث في عدّة ملتقيات دوليّة، تتقدّمها مشاركته المميّزة في الملتقى الدّولي حول السيميائيات والبلاغة الذي نظّم بجامعة وهران سنة 2008م، والنّدوة العلميّة التي نظّمت في المعهد العالي للفنون بصفاقس التونسيّة أيّام12، 13، 14 أبريل 2016م.

الخلفيّة السيميائيّة لدى المالكي:

إنّ الوقوف على طبيعة المشروع السيميائي للمالكي يقودنا إلى الإيغال في جزء من كتابه "سلطة الكلام وإرادة القوّة مشروع بيان السيميائيات السرديّة "، حيث يحاور فيه الباحث النظريّة الغريماسيّة وتيّار مدرسة باريس منطلقا من خلفيّة إبستيمولوجيّة وفلسفيّة يستعصي معها على القارئ العادي هضم مجموعة من المصطلحات والمفاهيم التي تتطلّب معرفة سابقة واطّلاعا مبدئيّا قبل الخوض في ثنايا مشروعه النّقديّ [1].

وعلى غرار سابقيه من أعلام التيّار السيميائي في المغرب العربي من أمثال: سعيد بنكراد وعبد المجيد نوسي ورشيد بنمالك والعجيمي، سطّر المالكي أولى ملاحظاته على مستوى التنظير في مجال سيميائيات غريماس، حيث أقرّ بوجود بعض الفوضى المصطلحيّة والاختلافات (في

1 ينظر: الدراسات السيميائيّة وفلسفة المعنى في ليبيا، محمد عبد الحميد المالكي أنموذجا، مرجع سابق.

الترجمة) بين النقاد، حيث يطبع الاغتراب الجزئي بعض الانشغالات الإجرائيّة، حين قال: "ويشكو المشتغلون بالنّقد والفكر من الفوضى والتسيّب في الاستخدام العشوائي عند ترجمة المصطلحات والمفاهيم، أو ما يعرف بهجرة المصطلح، فضلا عن أسباب عديدة أخرى...ممّا يجعل القارئ عاجزا عن إدراك الفروقات والاختلافات بين هذه النظريّة أو تلك، أو بين هذا المفهوم أو ذاك، كما لا يدرك كيف أنّ المصطح الواحد قد ينتمي إلى مدارس متعدّدة، حاملا مضامين ودلالات...ممّا يجعل القارئ في حيرة وارتباك إلى حدود التنفير من العلم وأخذ الأمر على أنّه مدعاة للسخرية والتندّر وأن لا يعدو أن يكون مجرّد لعب عبثيّ لا طائل من ورائه"[1].

إنّ تصفّحا خاطفا لطبيعة تجلية الدّلالة عند المالكي يبيّن لنا بوضوح " الخلفيّة السيميوطيقيّة البورسيّة التي تغذّي اهتمام هذا الباحث الرّصين بالمنطق في تعامله مع المتون المدروسة، حيث يسافر بنا في دهاليز الإبستيمولوجيا والأنثروبولوجيا، متّخذا لنفسه زاوية مغايرة للتوجّه السيميولوجي التّقليدي المألوف" [2].

1 محمد عبد الحميد المالكي، سلطة الكلام: إرادة الكلام مشروع بيان السيميائيات السرديّة، البيان للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ليبيا، 2005، ص125.

2 الدراسات السيميائيّة وفلسفة المعنى في ليبيا، محمد عبد الحميد المالكي أنموذجا، مرجع سابق.

قام الباحث في بعض دراساته * بمهمّتين أساسيّتين اتجاه النظريّة السيميائيّة السرديّة، تتعلّق الأولى بتعريب العدّة المفاهيميّة لسيميائيات غريماس، متنقّلا من المعطى الوصفي إلى المعطى التّنظيري عبر محاورة المنهج السّيميائي السردي والإنصات إلى بنيته الداخليّة. وتتعلّق الثانية بممارسة نقد النّقد (الميتا ـ نقد) من زاوية منطقيّة فلسفيّة، من خلال الانفتاح على بعض الحقول المعرفيّة المغايرة للسيميائيات من قبيل الأنثروبولوجيا والإبستيمولوجيا، واستدراجها في قالب تنظيريّ خالص مسلّطا معاول التّنقيب والمقاربة على كيفيّة تموقع المثقّف العربي اتجاهها [1].

ومن القضايا التي طرحها الباحث في كتابه السابق ودراساته حول السيميائيات السرديّة (الغريماسيّة) قضيّة المعيقات التي تعتور تطبيق هذه النظريّة على المستوى العربي، وهنا يرى بأنّه من الواجب الإنصات إلى ما يقوله النص مقابل المنهج. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ المالكي ليس واحدا من أولئك الّذين يلوون عنق النّصوص استجابة لآليات المناهج الغربيّة المختلفة والمخالِفة (لطبيعة النص العربي).

وبسبب ما يضطلع به المصطلح من مكانة في الدّراسات والممارسات النّقدية يرى المالكي أنّ "هجرة المصطلح تشكّل عائقا إبستيميّا أمام مجموعة من الباحثين الّذين يسمهم بسمة

*كتاب سلطة الكلام، إرادة القوة، بحث: في علوم السيميائيات السرديّة: الاستيراتيجيّة المفاهيميّة ل " علوم علم تركيب سيميائية الجهات" المنشور ضمن العدد4 مجلة سيميائيات، 2013، والذي شارك به الباحث كمداخلة في ندوة دولية حول السيميائيات، عقدت بجامعة وهران في نفس السنة.

1 ينظر: الدراسات السيميائيّة وفلسفة المعنى في ليبيا، محمد عبد الحميد المالكي أنموذجا، مرجع سابق.

التّهافت وراء النجوميّة والنشر وتركهم الرهان العلمي جانبا" [1]وسبب ذلك في نظر الباحث مردّه إلى التسرّع في استعمال الألفاظ (المصطلحات) بطريقة عبثيّة وعشوائيّة وبدون تمييز، فليس السّبب في نظر المالكي هو اختلاف الرؤية وتعدّد التّأويل وتنوّع العدّة المنهجيّة وتقنيّات التحليل، بل سببه التّكاسل والاستسهال، أو أنّ هذه المصطلحات قد أنتجت باستراتيجيّة انعدام القارئ الافتراضي لدى منتجي هذه النّصوص [2].

ومن أبرز المباحث الّتي أثارها المالكي في كتابه، حديثه عن مشروع المدرسة السيميائية المغاربيّة، حين طرح بخصوصها عدّة تساؤلات من قبيل: "هل نغامر مرة أخرى ونقترح تأسيسا على المغامرة وحدها، بدون مبرّرات أو مقدّمات، تسمية مدرسة السيميائيات المغاربيّة؟ ولكن ستكون هناك عدة أسئلة مثل: كيف تكوّنت؟ وما هي الأسس المعرفيّة (المرجعيّة) لهذه المدرسة؟ وما تمظهراتها؟ وماذا أنجزت؟ أو ما تطمع لإنجازه؟ وما هي مكانتها وموقعها في الخطاب العربي المعاصر؟ وماذا نعني بكلمة مدرسة؟"[3].

إنّ طرح الباحث لهذه الأسئلة لم يمنعه من محاولة الإجابة عنها تاركا في الآن نفسه للقارئ فرصة الحكم على مدى مصداقيّتها، ومن ذلك قوله: "مؤسسة نقديّة عربيّة ومدرسة السيميائيات

1 المرجع السابق.

2 ينظر: محمد عبد الحميد المالكي، في علوم السيميائيات السرديّة، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، وهران، الجزائر، العدد4، سنة 2013، ص 123.

3 سلطة الكلام: إرادة القوة مشروع بيان السيميائيات السردية، ص 77.

المغاربيّة، كما نعتقد أن هذا التّوصيف يبرز الفارق فيما نحن بصدد التّعاقد حوله من مفاهيم، إذ أنّهما حقلان مختلفان، لهما حضورهما الثّقافي والفكري، وليس أحدهما مقابلا للأخر"[1]. وبخصوص هذه التّسمية يقول: " لأنّ اقتراح " مدرسة" ليس بدعة أو اختراعا أو نتيجة لتحليل ورؤية ...بل لأنّها مدرسة موجودة بالفعل رغم التّعتيم المتعمّد" [2] .

لقد استطاع المالكي من خلال إسهاماته المتميّزة في مجال السيميائيات بمختلف تياراتها ومرجعيّاتها أن يرسم لنفسه معالم مشروع سيميائيّ فريد وثريّ، وتبقى تجربته النّقديّة الرّائدة تثير فينا شغف البحث والاطّلاع أكثر على طروحاته ونظراته ومساءلتهما.

وفي ختام القول فإننا نقرّ بفضل الكثير من الأقلام النقديّة في محاولاتها التّنظيرية أو التّطبيقية لتوطين النّظرية السّيميائية ضمن المشهد النقديّ المغاربيّ، طامحة بإسهاماتها إلى ترسيخ الوعي بالخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي من أمثال: محمد السرغيني وإدريس بلمليح وسعيد يقطين وعبد الكبير الخطيبي وغيرهم كثير.

1 المصدر السابق، ص ن.

2 سلطة الكلام: إرادة القوة مشروع بيان السيميائيات السردية، ص 78.

المبحث الثاني : معيقات انتقال النظرية السيميائيات إلى المغرب العربي:

إنّ السيميائيات العربية "ظهرت في ظروف تختلف اختلافا يكاد يكون جذريا عن تلك التي رافقت ولادتها في البحوث الأوروبية، وهو اختلاف نلمسه على جميع الأصعدة"[1]، وقد لاقى استقبال السيميائيات عدة إشكالات لا تختلف عن إشكالات استقبال المناهج الأخرى، أهمّها:

1 . إشكالية القارئ العربي:

لاقى البحث السيميائي في منطقة المغرب العربي في بداياتها الأولى إلى غاية العقد الأول من ثمانينيات القرن الماضي، وكأيّ جديد مقاومة عنيفة من أولئك الذين ران على عقولهم جمود الفكر[2]. فالمحاولات الأولى في هذا المجال ظهرت في ظروف عصيبة جدّا، لم تكن تسمح بوجود دراسات مستحدثة في ظل هيمنة التيار التقليدي على الساحة النقدية العربية، وقد دعا عبد المالك مرتاض إلى ضرورة مواكبة المناهج الحداثية ومسايرة التطوّرات الحاصلة في الساحة النقدية الأدبية العالمية، وأبدى امتعاضه من أولئك الذين ينبذون كلّ جديد ووافد حين قال:" ألفينا بعض النقاد...لا يستحيي من الباطل أن يدعو جهارا إلى تبنّي. في جامعتنا اليوم. وفي أواخر

1 مجموعة من المؤلفين، السيميائية (الأصول والقواعد والتاريخ)، تر: رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008 (مقدمة المترجم)، ص15.

2 ينظر: رشيد بن مالك، إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة، مجلة علامات السعودية، ج 15، م 14، 1995.

القرن العشرين، بعض المناهج التي كانت سائدة في أوروبا منذ قرن أو أكثر من قرن، ولم يعد اليوم أحد من النقاد الحقيقيين يتقبّلها في أي شكل من أشكالها"[1]، وأرجع مرتاض هذا الامتعاض والانزعاج من هؤلاء التقليديين إلى ضعف المناهج السياقية القديمة إذ "ممّا لا ينبغي أن نختلف فيه أن المناهج التقليدية بقصورها وانطباعيتها وفجاجتها وأفقيتها، لا تستطيع أبدا وما ينبغي لها أن ترقى إلى مستوى النص الأدبي من أمره المعقد المعتاص شيئا ذا بال، فلنكن ما نشاء، ومن نشاء في منهجنا، ولكن لا نكون فقط تقليديين، ذلك ولو أننا تسامحنا مع أنفسنا وسقطنا في أوحال التقليدية الفجة نعب منها ونكرع، فلن نصبح قادرين على بلوغ بعض ما نريد من أمر النص الأدبي"[2]، فالمناهج السياقية حسب مرتاض مناهج قاصرة عن مواكبة طموحات النصوص الأدبية الجديدة.

ويرجع آراء عابد الجرماني أسباب التقصير في مواكبة المناهج العلمية والمعرفية والنقدية وعدم تقبّلها إلى "القارئ العربي الراهن ذاته، الذي لم يستطع تمثل تلك الثقافة، على عكس الأجيال السابقة التي كانت لها قدرات عقلية تركيبية هاضمة أهّلتها إلى التوفيق بين القديم والجديد وبين الأصيل والوافد"[3]. في حين أنّنا نرى أنّ المسألة هنا ليست مسألة قدرات عقلية إنّما هي مسألة

1 عبد المالك مرتاض، أ، ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، ديوان م ج، 1992م، ص 18.

2 آراء عابد الجرماني، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، دار الأمان، المغرب، منشورات الضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012م، ص28.

3 ينظر: المرجع نفسه، ص73.

وفاء للتراث العربي القديم من جهة، والتوجّس من كل ما يمتّ بصلة إلى تلك الدول التي ظلّت جاثمة على صدر الأمة العربية ردحا غير يسير من الزمن خاصة ما تعلّق منها بقضايا اللغة والثقافة والهوية، التي كادت تمحى من الذّاكرة وتزول في زحام الثقافات والمعارف، بالإضافة إلى شيوع الفرنسية بين الفئات المختلفة من المجتمع وظهور اللهجات البربرية"[1]. وعلى الرغم من هذا وذاك إلاّ أنّ الدراسات والبحوث السيميائية بدأت تتتالى وتسير بخطى متسارعة بعد هذه الفترة، ويظهر ذلك جليّا من خلال الأعمال المتنوعة على شكل رسائل جامعية أو مقاربات تطبيقية أو ترجمات ظهرت بقوة نهاية الثمانينات وبداية تسعينيات القرن العشرين.

2 . إشكاليّة التقبّل:

إنّه وعلى الرغم من الاطمئنان الذي شعر به الباحثون العرب اتجاه النظرية السيميائية بسبب حضورها في الثقافة العربية والتراث العربي القديم إذ أنّه خفّف وطأة حداثة هذا المنهج على المستقبل العربي، فكان الناقد العربي يتعامل مع هذا المنهج وكأنّه جزء من الثقافة العربيّة، إلّا أنّ السيميائيات عانت أثناء انتقالها إلى المغرب العربي من مشكل "تقبّل وجودها بصفتها معرفة لها استقلاليتها، ومنهجا نقديا يمكن تطبيقه إجرائيّا في النقد العربي الحديث، مع أنّ بذورا منها موجودة في التّراث العربي القديم، إلاّ أنّ هناك تباينا بين مفهوميها في النظريات الغربية والتراث العربي، وهذا التباين جعل النقّاد يقفون محتارين بين الرغبة في خوض تجربة فكرية ومفهومية

1 مفتاح محمد عبد الجليل، نظرية الشعر المعاصر في المغرب العربي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص17.

حديثة كليّا من جهة، والتخوف من الانسياق وراء النظريات الغربية من جهة أخرى"[1]. لذلك نجد أنّ معظم كتابات النقاد العرب الذين طبّقوا هذه النظرية لم تخل من الإشارة إلى حضور ملامح لهذا المنهج في التراث العربي القديم خوفا من التقصير في الوفاء له، ورغبة منهم في إعطاءه حقه الكامل من الدراسة. وهكذا فقد اصطدمت النظرية السيميائية كغيرها من النظريات والمفاهيم النقدية الغربيّة عند وفودها إلى المغرب العربي بالعراك الفكري الذي ساد الساحة النقدية العربيّة منذ عصر النهضة والذي نتج عنه ما عرف بتيّاري المحافظة والتجديد، أو الأصالة والمعاصرة، وبقي الفكر العربي الحديث تتنازعه رغبتان: رغبة الاتصال بالحضارة الغربية والإقبال عليها، ورغبة البحث عن الذّات وبعث روح التحرّر من قيود الآخر، وفي خضم احتدام الصراع بين هاتين الرّغبتين ظهرت عدّة دراسات نقدية اهتمت بالمنهج السيميائي في شكل ترجمات وكتب ومقالات و...

3 . إشكاليّة ضعف الترجمة:

تعدّ الترجمة من أهمّ الطرق لتلقي المعرفة وتطوير المفاهيم وتحسين المستوى الثقافي، كما أنّها تلعب دور الوسيط بين مختلف الشعوب والحضارات، إذ بواسطتها تبنى الجسور العلميّة بين الجماعات البشريّة وتنتقل العلوم والمعارف من بيئة إلى أخرى. ونظرا لما تكتسيه من أهمّيّة بالغة عدّها بعض المهتمّين معيارا لقياس التقدّم الحضاري، فالشعوب التي تعتمدها بشكل كبير هي

1 آراء عابد الجرماني، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، ص 71.

أكثر الشعوب تقدّما وتطوّرا. لذلك فإنّه "من الضروري تكثيف حضورها عبر وجود مؤسسات منهجية تنظّم عمليّات الترجمة وتعدّد مسارها بحسب حاجة الثقافة العربية، ومن ثمّ تتداول الإنتاج المترجم ضمن هيئات تختص بالحوار في مضمون النصوص المترجمة وتضعه في خانات المعرفة العربية بشكل يتناسب معها"[1].

ولما كانت الترجمة مفتاحا للحداثة ومبتدأَ كل تطور حقيقي يتيح للّغة أن تثبت وجودها وتتحول من أداة للتّواصل إلى مصدر فكري وثقافي هام كان لزاما إيلاؤها أهمية بالغة لأنّها الوسيلة الأساسية لتفادي كل تضارب معرفيّ وتنافر فكريّ. وللتّرجمة والانفتاح فضل كبير على الأدب العربي الحديث والمعاصر، إذ بواسطتها ظهرت العديد من الأجناس الأدبيّة النثريّة كالرواية والقصة والمسرحيّة، كما تأثّر الشعر العربي بالمذاهب الغربيّة واقتفى طريقها، وواكب النقد العربيّ مختلف التيّارات النقديّة الغربيّة فطبّقت الكثير من المناهج النقدية الغربية على النصوص العربيّة، والسيميائيات كمنهج نقدي شأنها شأن جميع المناهج النقدية الوافدة والعلوم والنظريات الغربيّة لم يكن لها أن تنتقل إلى العالم العربي بدون ترجمة، باعتبار أنّها نشأت في أمريكا وأوروبا.غير أنّ عمليّة انتقالها لم تكن يسيرة هيّنة، فقد كانت الترجمة في حدّ ذاتها أهمّ مشكلاتها وعوائقها. ومن أبرز العوائق التي واجهتها النظريّة السيميائية في رحلتها هو" تبنّي الدول العربيّة الترجمة عن لغة واحدة وإهمال ما عداها (دول المغرب العربي تتبنّى الترجمة عن اللغة الفرنسية عكس دول المشرق

1 علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2008، ص75.

العربي التي تتبنّى الترجمة عن اللغة الإنجليزية)، بسبب القرب الجغرافي من جهة والعلاقات التاريخية من جهة أخرى، خاصة وأنّ أغلب الدول المغاربيّة كانت مستعمرات أوروبيّة، والشيء نفسه بالنسبة لدول المشرق العربي فمصر مثلا كانت مستعمرة بريطانيّة.

وجلّ مشاكل الترجمة التي اعترضت السيميائيات تتعلّق بالمترجِم العربي في حدّ ذاته ومنها "عدم كفاءة المترجم خاصة في مجال الأدب والنقد، والافتقاد إلى التنظيم وغياب جهود المؤسسات بالموازاة مع كثرة الجهود الفردية الارتجالية، زيادة على مشكلة كثرة أخطاء الترجمة المقصودة وغير المقصودة"[1]، فنقص التنظيم واللامسؤوليّة والنزعة الأنانية وغياب الروح الجماعية لدى المترجم العربيّ كلها صفات كانت ولازالت لصيقة بالرجل العربيّ بصفة عامّة أيّا كانت وظيفته ومنزلته.

ولما كان كل نص يخضع لمرجعيات معيّنة وخلفيات نظرية وسياقات تاريخية محدّدة فإنّه يلزم على المترجم الإلمام بهذه المرجعيات والاطلاع على تلك الخلفيات والسّياقات التي نشأ في ظلها هذا النص وانبثق عنها من خلال "المعرفة الواسعة بلغة الأم ولغة الناقد، يضاف إلى ذلك الإلمام النقديّ التامّ بكل هذه المناهج في منابعها الغربية...والإلمام بالفكر النقدي الذي ينتمي إليه الناقد فضلا عن الفكر النقدي العربيّ"[2]، زد عليها جملة أخرى من الشروط أهمّها:" خفة الروح

1 ينظر: عبود عبدة، هجرة النصوص، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995، ط1، ص14.

2 الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص149.

وحضور البال، واتساع مجاري الخيال، مع القدرة على السّبك والحبك، والتعبير الفصيح السليم، والمطالعة المستمرة، والمران الذي لا يعرف الكلل ولا الملل"[1].

بالإضافة إلى هذه العوائق فإنّ تأخّر ترجمة أمّهات الكتب في مجال السيميائيات قد ضاعف من أزمة السيميائيات في الوطن العربيّ بحيث أننا نجد تباعدا زمنيا بين تأليف الكتاب وترجمته تصل إلى عشرين عاما أحيانا ممّا انعكس سلبا على الثقافة العربية، فقد تأخرت على سبيل المثال لا الحصر ترجمة كتاب (مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية) للمؤلف (جوزيف كورتيس) الصادر بلغته الأم في 1976م إلى العربية في سنة 2007م. كما تأخرت ترجمة معظم كتب (أمبرتو إيكو) إلى العربية حيث ترجم كتاب (السيميائيات وفلسفة اللغة) الصادر في 1989م سنة 2005م، وترجم كتاب (العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه) الصادر في 1973 سنة 2007...

4 . إشكاليّة المصطلح:

المصطلح النقدي هو " ذلك الرمز الذي تواضعت عليه نخبة من النقاد للدّلالة على مفهوم ما"[2]، وهو الذي يساهم في التنفيذ الدقيق للإجراءات النقدية ويبيّن بدقّة توجّه الناقد، ومدى

1 محمد ديداوي، علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر (سوسة)، ط1، 1992، ص 162.

2 فاطمة الصغير، المصطلح اللّساني واضطراب الترجمة، ضمن كتاب السرديات والترجمة العربية، مجموعة من الباحثين، تنسيق: سيدي محمد بن مالك، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 49 .

جديّة استيعابه لمادته العلمية. وعلى الرغم من أهمية المصطلح إلاّ أنّ الخطاب النقدي العربي المعاصر يعاني "قصورا واضحا في وعي المصطلح أو المصطلحات التي يستخدمها"[1].

ويعزو بعض الدارسين والمتتبعين للشأن النقدي المعاصر أنّ "مشكلة نقدنا المعاصر مع اتجاهات النقد الأدبي الحديث هي بالأساس مشكلة الاستيعاب الواضح والمتكامل والدقيق لأسسها وأدواتها ومصطلحاتها"[2]، بمعنى أنّ الناقد العربي يعتمد المصطلحات النقدية دون وعي بحيثياتها ولا بكيفية تشكلها ولا بأصولها العلمية وسياقاتها الفكريّة وظروف نشأتها. ويسجّل الدرس السّيميائي الغربي شبه إجماع مصطلحيّ واتفاق مفهوماتيّ" بدليل الإجماع المسجّل في المعجم المعقل لنظرية الكلام للباحثين غريماس وكورتيس"[3].

وتنفي آمنة بلعلى وجود ماله علاقة بفوضى المصطلح لدى الغرب فتقول: "منذ تدريسي للمناهج النقديّة، من الشكلانيين الروس إلى البنيوية إلى السيميائية إلى التداوليّة، إلى البلاغة الجديدة، لم ألاحظ ماله علاقة بفوضى المصطلح، وذلك راجع لأنّهم منتجو المفاهيم التي يضعون لها المصطلحات المناسبة، ويراجعون المفهوم، فإذا تبيّن لهم أنّ هذا المفهوم أضيفت له حمولة معرفيّة جديدة يعيدون صياغة مصطلح آخر لا يناقض المصطلح السابق كما نتوهّم نحن، ولكنّه يعبّر عن فهم أكثر تطوّرا. وبمراجعة بسيطة للمصطلحات في المعاجم المعروفة...نجد بأن لا

1 الصالح نضال، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، إ الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص19.
2 مجموعة من المؤلفين، مفهومات في بنية النص، ترجمة: وائل بركات، دار معد للنشر، سوريا، ط1، 1996، ص4.
3 رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، ص 71 .

تناقض بينها، وإن وجد مصطلح واحد مشترك، فهو يعني كذا عند فلان، وكذا عند آخر أو في مدرسة أخرى، وهكذا "[1].

في حين تكشف الدّراسات السيميائية العربية "عن فوضى عارمة في تلقّي المصطلح السيميائي الذي صارت تعوزه العلمية والدقّة في ضبط المفاهيم، نتيجة التباين الكبير والهائل بين الباحثين العرب"[2]، وهو الأمر الذي نجم عنه وجود كمّ هائل من الرموز والمصطلحات المتناثرة بين ثنايا الكتب التي من شأنها خلق التباس في المفاهيم وحجب حقيقة المعرفة السيميائيّة عن المتلقي العربي. ونظرا لما يكتسبه المصطلح النقدي من أهمية بالغة فقد أولى النقاد المغاربة اهتماما كبيرا بالمصطلح من حيث توليده وتأصيله وتوطينه مثلما اهتموا بالتّحديث المنهجي، وذلك إيمانا منهم بأنه يسيّر البحث ويرسم المعالم رسما مختصرا.

كما أنّ أهمية المصطلح تكمن في أنّه يكشف عن مدى قدرة الباحث على الإحاطة بحيثيات النظرية والمنهج المعتمدان في دراساته، ويبرهن على مدى تمكّنه من ناصيتهما معا، ضف إلى ذلك فهو يكشف العدّة المصطلحية التي يمتلكها الباحث باعتبار أنّ المصطلح هو أساس المنهج ومفتاحه. ولهذه الأهمية عمد الباحثون إلى محاولة استدعائه واستحضاره في دراساتهم استدعاء واستحضارا واعيين إذ أنّ أيّ تغييب له "سيؤدي إلى إنشائية في اللغة الشارحة، وربما

1 آمنة بلعلى، النقد العربي لم يساير التحوّلات، مجلة الدوحة الإلكترونيّة عبر الرابط https:// www.dohamagazine.qa/ يوم 2021/05/24.

2 المصطلح اللساني واضطراب الترجمة، ص 50.

يؤدي إلى غياب المنهجية، وسيضع الباحث في خان الضعف"[1]. والمصطلح السيميائي الوافد لم يسلم من الاضطراب وعدم الاستقرار وذلك لأنّه لم يستقرّ في منبته أصلا وليس أدلّ على ذلك من المصطلح الرئيسي (السيميائية) الذي كان ولا زال يتخبّط بين(sémiologie) و(sémiotique). وإشكالية المصطلح هي ظاهرة لصيقة بالنقد العربي المعاصر فقط، إذ أنّه "على الرغم من الجدل الذي وقع بين النقاد حول تبنّي المناهج الغربيّة كالتاريخي والنفسي والنقد الجديد إلّا أنّ ذلك لم يخلّف إشكاليّة في المصطلح، لاعتبارات مختلفة قد يرجع بعضها إلى ارتباط هؤلاء بالمدوّنة التراثيّة، أو لكون هذه المناهج كانت تركّز على المضامين أكثر من الشكل، كما قد تعود إلى محدوديّة المناهج الرّافدة آنذاك، وقلّة المصطلحات مقارنة بالثورة المنهجيّة التي حدثت مع المناهج النّسقيّة ، لذلك يبدو وكأنّ الفوضى والإشكالات لا تحدث إلاّ مع التعدّد والكثرة والتنوّع والاختلاف"[2].

ويعزو المهتمون بالخطاب النقدي المعاصر أسباب الفوضى التي تسم المصطلح السيميائي إلى جملة من الأسباب، من بينها: غياب التنسيق الفعّال بين النقاد فضعف" التنسيق هو العلامة المميزة بين هذه الجهات والمؤسسات العلمية والثقافية المختلفة، أضف إلى ذلك اختلاف مشارب الأفراد الذين يساهمون في وضع المصطلحات وميل معظمهم إلى الفرديّة ومخالفة جهود

1 اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربيّة، ص76.

2 النقد العربي لم يساير التحوّلات، مجلة الدوحة الإلكترونيّة. عبر الرابط https:// www.dohamagazine.qa/ يوم 2021/05/24.

الآخرين"[1]، فالنزعة الفرديّة لكل مترجم وناقد هي أيضا إحدى أسباب تفاقم فوضى المصطلح السيميائي، إضافة إلى تباين المشارب الثقافية للمترجمين إذ أنّ نظرة خاطفة على المنجز النقدي العربي عامة يستشفّ من خلالها المطّلع وجود اضطراب مصطلحي ولّدته في كثير من الأحيان فوضى التأليف والتّرجمات المتباينة الشّكل والمضمون بين النقاد بسبب اختلاف مشاربهم الثقافية الفرنسية والأنجلوساكسونية.

ففي حين أنّه ينبغي أن يوضع لكل مصطلح أجنبي مقابل عربيّ وحيد خاص ودقيق إلاّ أنّ واقع المصطلح النقدي العربي اليوم يوحي عكس ذلك، إذ ترجم مصطلح "السيميائية" أكثر من 36 ترجمة عربية في مواجهة مصطلحين أجنبيّين ها (السيميائية sémiotique، والسيميولوجيا sémiologie)[2]، وهذا أقوى برهان على الفوضى العارمة التي وسمت المصطلح السيميائي في الوطن العربي.

وأيّا تكن أسباب مشكلة فوضى المصطلح السيميائي فإنّه يجب العمل على توحيد الجهود لتجاوزها في أقرب وقت ممكن من خلال توحيد المعنى والمفهوم للمصطلح النقدي العربي الواحد ولن يتمّ ذلك إلّا من خلال وضع استراتيجيات واضحة المعالم من شأنها الخروج بالمصطلح السيميائي من الأزمة التي يتخبط فيها. فالاختلاف في وضع المصطلح وفي فهم المعنى المقصود

1 عبد الله خلخال، السيميائية في البحث اللساني العربي الحديث، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، 1995، ص 74.

2 ينظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص 108.

من المصطلح الواحد من شأنه أن يسفر عن تضارب كبير في الآراء واختلاف في الأهداف والنتائج. كما أنّه يجب وضع حد لأولئك الذين يستهويهم الابتكار الفردي ويتحمسون له غير مدركين بأنّ "المطّرد في الاستعمال والشائع على الألسنة والدّارج في الكتابة أفضل من المبتكر من حيث الجانب الوظيفي بالرغم من سلامة إجراءات وضعه الفنيّة"[1]. تجنّبا للوقوع في مآزق المصطلح النقدي.

وخلاصة القول أنّ النظرية السيميائية كغيرها من المناهج النقدية الغربيّة الحديثة لاقت إقبالا منقطع النّظير في البيئة المغاربيّة بسبب الخصوصيّة التي تتمتّع بها، باعتبار أنّ لها ملامح في التراث العربي القديم، ما أدّى إلى استئناس نقّادنا بها واطمئنانهم إليها، وعلى الرغم من تعدّد اتجاهاتها ومدارسها نظرا لتعدّد الخلفيّات المرجعيّة لروّادها وتباينها (إذ ظهرت مدارس كبرى من قبيل المدرسة الأمريكية التي يتزعّمها **بيرس** والمدرسة الفرنسية التي يمثّلها رائد الدرس اللساني **سوسير** وبعض المدارس الأخرى كالمدرسة الروسية والإيطالية)، إلّا أنّ هذه النظرية قد اصطدمت أثناء انتقالها إلى البيئة المغاربيّة بجملة من المعوّقات التي جعلت من استقبالها أمرا ليس باليسير، أهمّها:

-ذهنية القارئ العربي صعبة المراس.

-صعوبة تقبّل السيميائيات كمنهج جديد ومعرفة مستقلّة.

1 أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2001، ص27.

-إشكالية ضعف التّرجمة وتأخّرها.

-إشكاليّة الفوضى المصطلحيّة بسبب تباين مشارب المترجمين، وغلبة النّزعة الفرديّة على الروح الجماعيّة أثناء نقل المصطلح، وغياب التنسيق بين النقّاد في هذا المجال وغيرها من الأسباب الأخرى التي لن يتمّ تجاوزها والقضاء عليها دون وجود وعي بالمشكل وجديّة في التعاطي معه والتحلّي بالمسؤولية الكاملة في هذا الإطار.

الفصـــل الأوّل

العلامة في الخطاب النّقدي الغربي المعاصر

المبحث الأول: التصوّر السوسيري للعلامة

المبحث الثّاني: التصوّر البورســي للعلامة

المبحث الثالث: تصوّر الاتجاهات السيميولوجيّة للعلامة

تمهيد:

تبنّت الكثير من الميادين كالأنتروبولوجيا والسوسيولوجيا والتحليل النفسي والتاريخ، والخطاب الحقوقي وكل ما له صلة بالآداب والفنون البصرية وغيرها، النتائج النظرية والتطبيقية للسيميائيات بعد ظهورها باعتبارها علما جديدا أشاع على يد مؤسّسَيه (دوسوسير وبيرس) حالة وعي معرفيّ جديد لا حدّ لامتداداته على الرغم من اختلاف تسمية هذا العلم عندهما من جهة، وعلى الرغم من تباين منطلقاته الإبستيمولوجيّة لديهما، من جهة أخرى.

فكما هو معلوم لدى كل الباحثين في مجالات النقد أنّ عالم اللسانيات السويسري فرديناند دوسوسير قد بشّر في مطلع القرن الماضي بميلاد علم جديد سمّاه "السيميولوجيا "، هذا العلم الذي ستعزى إليه مهمّة " دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعيّة"، كما جاء في كتابه الذي نشر بعد وفاته (محاضرات في اللسانيات العامّة) وفي ذات الفترة الزّمنيّة تقريبا، كان الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس، يدعو إلى تبنّي رؤية جديدة في التّعاطي مع التجربة الإنسانيّة وقضايا المعنى، أطلق عليها اسم " السيميوطيقا".

وبتبنّي هذا التوجّه الجديد في التعاطي مع قضايا المعنى، نستطيع القول أنّ السيميائيات ساهمت بشكل لافت للانتباه في تجديد الوعي النقديّ، فتحوّلت العملية النّقديّة من عمليّة قائمة على الانطباع والانفعال العرضي والكلام الإنشائي إلى عمليّة تحليل علمي مؤسّس معرفيّا وجماليّا.

فالنّصوص. كما يرى سعيد بنكراد كيفما كانت مواد تعبيرها ولغتها وشكل تجلّيها، يجب أن ينظر إليها باعتبارها إجراء دلاليّا لا تجميعا لعلامات متنافرة[1].

لقد شغل التفكير في العلامة اهتمام الفلاسفة والمفكرين منذ القدم لأنّها تشكّل محور دراسات متعدّدة ومتنوعة، وقد كان الاهتمام بها ضاربا بجذوره في عمق التاريخ الفلسفي. فدراسة نظام العلامات قديم قدم الحياة ذاتها، غير أنّ المنطلقات النظرية لهذه الدراسة اختلفت من عصر إلى عصر، ومن أمة إلى أخرى، وذلك لاختلاف الحقب التاريخية، واختلاف الحضارات، وقد وصلت بعض الأفكار السيميائية من حضارات قديمة كالحضارة اليونانية والعربية، غير أنّ تلك الأفكار السيميائية ظلّت في إطار التجربة الذّاتية، ولم تدخل إطار التجربة العلمية الموضوعية[2]. وعليه فإنّ تأمّل العلامات والمعنى ليس شيئا جديدا فالفلاسفة ودارسو اللغة قد درسوا العلامات دوما بطريقة أو بأخرى. اختلفت المنطلقات النظرية لدراسة هذا المفهوم من أمة لأخرى ومن ثقافة لأخرى ومن مرحلة زمنية لأخرى، غير أن هذا الاهتمام وتلكم التأمّلات لم ترق إلى مستوى التّجربة العلمية وإنّما بقيت رهينة التجربة الذاتية لا غير.

1 ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات النشأة والموضوع، (صفحة المؤلفات. المقالات)، ص 2، عبر الرابط http://saidbengrad.free.fr/ar/art9.htm تاريخ الزيارة: 2023/07/20.

2 ينظر: مازن الوعر، مقدمة كتاب علم الإشارة. السيميولوجيا. لبيير جيرو، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1 ،1988، ص 10.

وقد تباينت تعاريف هذا المفهوم بتباين المنطلقات ووجهات النظر المتعدّدة لأصحابها، ممّا جعل تحديد ماهيته أمرا مستعصيا، كونه لا يعنى بالكيانات اللغوية فقط بل يهتم أيضا بالكيانات غير اللغوية[1].

تبلورت السيميائيات بوصفها علما في القرن العشرين. وهي العلم الذي يعنى **بالعلامة**، ويهتمّ بها على مستويين: المستوى الأول. وهو المستوى الأنطولوجي. وهو الذي يبحث في ماهية العلامة أي في وجودها وطبيعتها وعلاقتها بالموجودات الأخرى التي تشبهها والتي تختلف عنها. أمّا المستوى الثاني. ويمكن أن نطلق عليه اسم المستوى البراغماتي. وهو الذي يهتمّ بفاعليّة العلامة وبتوظيفها في الحياة العمليّة.

وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق فإنّنا نجد أنّ السيميائيات اتجهت اتجاهين اثنين، يسعى الأول إلى تحديد ماهية العلامة ودرس مقوّماتها ويمثّله شارل ساندرس بورس (1839م/1914م)، ويسعى الثاني إلى دراسة توظيف العلامة في عمليّات الاتصال ونقل المعلومات ويمثّله عالم اللّغويات فرديناند دوسوسير (1857م/1913م). وعنهما تتفرّع كلّ الأبحاث المعاصرة حول العلامة. وكلاهما قد توخّى الوصول إلى علم شامل للعلامات.

1 ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط3، 2012، المقدّمة.

المبحث الأوّل: التصوّر السّوسيري للعلامـة

لقد أصبح من المسلّمات الاعتراف بأنّ دوسوسير هو أب اللّسانيات الحديثة، ورائد البحث اللّغوي في العصر الحديث بلا منازع، بفضل ما قدّمه من طروحات وأفكار جديدة تعتمد المنهج الوصفيّ الذي لا تحتكم قوانينه إلى العوامل التّاريخيّة أو الخارجيّة الأخرى. بل إنّ اللّغة في إطار هذا التصوّر منهج مغلق لا يؤمن بما يقع خارجه من عوامل[1]، وهي طبعا أفكار مغايرة تجاوزت كل الدّراسات اللّغوية الكلاسيكيّة، الفيلولوجيّة التي كانت تعتمد على المنهج التاريخي.

أحدثت أفكار دوسوسير ثورة عارمة في مجال اللّغة والبحث اللّساني، فأصبحت مرجعا أساسيّا لمختلف الدّارسين في مجال الأدب واللغويات، وعديد التخصّصات والمعارف ذات الصّلة كعلم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والتّاريخ وغيرها من العلوم الإنسانيّة المختلفة.

وذلك بفضل غنى مفاهيمها وتصوّراتها. ومن أسباب هذا الاحتفاء بأفكار دوسوسير أنّه " تناول اللّغة بوصفها أداة اتّصال فحاول الوقوف على ماهية تكوّن اللّغة ذاتها وفقا للثّنائيات المطروحة في نظريّته"[2]، من قبيل: اللسان/ الكلام، الدال/ المدلول، الدّياكروني/ التزامني، المحور الاستبدالي/ المحور التركيبي وغيرها.

1 ينظر: فيصل الأحمر، معجم السّيميائيّات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، بيروت 2010، ط1، ص:40

2 الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي، ص 52.

يعدّ دوسوسير أول من تطلّع إلى ضرورة إيجاد علم يعنى بدراسة العلامات والقوانين التي تضبطها داخل المجتمعات، تحت مسمّى السيميولوجيا (Sémiologie)، حين رأى بأنّ اللّغة هي نسق من العلامات، يعبّر عن أفكار، ومنه فهي مشابهة للكتابة، وأبجديّة الصم البكم، والطّقوس الرّمزيّة، وأشكال المجاملة والإشارات العسكريّة، إلاّ أنّها أهمُّ هذه الأنساق. وأنّه من الممكن تصوّر علم يدرس دور العلامة في كنف الحياة الاجتماعيّة. ويكون هذا العلم فرعا من علم النفس العام، نطلق عليه السيميولوجيا، وهو يدرس طبيعة الإشارات والقوانين التي تحكمها.

وبما أنّ هذا العلم لما يوجد، ولا يمكن الجزم بأنّه سيوجد، لكن يجوز له أن يوجد، يوجد له سلفا مكان، وما اللّسانيات إلّا فرع من فروع هذا العلم العام. وتكون القوانين التي تكتشفها السّيميولوجيا قوانينا تطبق في اللسانيّات، فيكون بذلك للّسانيات مكانها المحدّد والواضح في حقل المعرفة البشريّة [1].

لكنّ نبوءة دوسوسير بولادة هذا العلم مبكّرة عكس ما جاء في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة المنسوب إليه، فقد عدّ أندري نافيل سنة 1901م، علم السّيميولوجيات ضمن تصنيفه الجديد للعلوم، ضمن كتابه " تصنيف جديد العلوم "، فقال:" لقد ألحّ السيد سوسير على أهميّة علم شامل سمّاه السيميولوجيّات موضوعه قوانين إنتاج العلامات ومعانيها وتحوّلاتهما.

1 ينظر: فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، د.ط.، 1985، ص 37. 38.

وهي جزء من علم الاجتماع، ولما كانت اللّغة " langage " أهم أنساق العلامات، فإنّ العلم السّيميولوجياتي، أو علم القوانين الخاصة بحياة اللّغة، الأكثر تطورا هي اللّسانيات"[1].

من خلال التعريف السّابق نجد أنّ دوسوسير قد وصف اللّغة من خلال مكوّناتها (العلامات)، والعلامات في نظر سوسير إمّا لغويّة أو غير لغويّة، كألفبائية الصم البكم، أو الطقوس الرمزية، وصور آداب السلوك والإشارات الحربية وغيرها. والسّيميولوجيا في نظره هي علم يعنى بدراسة حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعيّة.

ولقد أوضح دوسوسير العلاقة المتينة التي تربط بين اللّسانيات التي اعتبرها تمثّل الجزء، وعلم السّيميولوجيا الذي يمثّل الكلّ. وعلى الرغم من عدم تحديده لمعالم وأطر هذا العلم الجديد حسب ما أخبر به تلميذاه شارل بالي وألبير سشهاي في كتابهما المشترك (محاضرات في اللسانيات العامة)، إلاّ أنّ تنبّؤه بهذه الولادة يعدّ سبقا معرفيّا كبيرا على الرّغم من عدم تحديده للحدود المعرفيّة التي ينهض عليها.

وقد أسهمت المفاهيم والتصوّرات التي طرحها سوسير وبالأخص مفهوم العلامة في تقديم توجّه جديد للبحوث اللغويّة، ابتدأها بنقده للمزاعم التقليدية لأفلاطون والرّامية إلى أنّ اللّغة ليست سوى لائحة من المفردات المقابلة لعدد مماثل من الأشياء، وأنّ هناك علاقة طبيعيّة بين

1 A .Naville , Nouvelle classification des siences , Etude philosophique ,Paris,1901,pp 103 – 106.

نقلا عن: مختار زواوي، دوسوسير من جديد (مدخل الى اللسانيات)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، لبنان، ط1، 2018، ص 99 .

الأسماء ومسمّياتها، فحدّ الكلمة هو ذلك الرابط الجامع بين اسم وشيء، ومن هذا المنطلق فقد كانت الأسماء في أدبيّات التفكير اللّغوي قبل سوسير تأتي للدّلالة على الأشياء، ووظيفتها تمثيل الموجودات الخارجيّة.

لقد " أصبح لسوسير تأثير قويّ، ناتج جزئيّا عن أنّ برنامج علم العلامات الذي رسم خطوطه الرئيسيّة كان برنامجا يسهل فهمه، إذ ستلعب اللغويّات دور النّموذج وستطبّق مفاهيمها الأساسيّة على مجالات الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة، ويحاول علم اللغة أن يكشف بوضوح عن النّظام (اللّغة)، وهو النّظام الّذي يصنع الأحداث ذات المعنى (الكلام) ويجعلها ممكنة وسوسير معنيّ بالنظام باعتبار أنّه مفهوم كليّ له وظيفته"[1].

1 . العلامة اللّغوية ومكوّناتها من خلال كتاب محاضرات في اللّسانيات العامة:

عدَّ دوسوسير اللّغة نسقا ومستودعا من العلامات، وتتأسّس العلامة اللغوية في نظره على أنّ ما يقوم به الذهن من اقتران بين شيئين مختلفين هما صورة سمعيّة (image acoustique) مرتبطة بتصور (concept) لكنّهما معا نفسيّان psychique يقعان في ذهن الفرد. وليست الصورة السمعية هي الصوت المادي، وإنّما هي الأثر النفسي للصوت. إنّها ليست الصورة الصوتيّة

1 جوناثان كلر، مطاردة العلامات (علم العلامات، والأدب، والتفكيك)، ترجمة: خيري دومة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2018، ص 52.

الماديّة الفيزيائية وحسب، وإنّما الانطباع أو الأثر empreinte الّذي تثيره في أنفسنا هذه الصورة السمعيّة[1].

ومن جهة أخرى يرى دوسوسير أنّ العلامة " لا تجمع اسما إزاء مسمى ولا تربط الشيء باللفظ بل العلامة توحد تصورا مع صورة سمعية ، وليست الصورة السمعية صوتا ماديا ونعني بذلك شيئا محض فيزيائي بل إنها أثر سيكولوجي ناتج عن الصوت أي التمثل الذي تعطيه إيانا شهادة حواسنا فالصورة السمعية ناتجة عن أعضائنا وقدراتنا الحية"[2]، فالعلامة اللغوية إذا لا تكمن في اقتران اللفظ بالشيء الموجود في العالم الخارجي اقترانا مباشرا، أي أنّها لا تربط الشيء المسمى باسمه، وإنّما تسند إلى الشيء الموجود في العالم الخارجي صورة سمعيّة تقابلها صورة تصوريّة. إنّها تربط تصورا بصورة سمعيّة كما سبقت إلى ذلك الإشارة.

ومن خلال هذا الطرح يتضح لنا أنّ العلامة اللّسانية هي ترابط بين طرفين هما: الصورة الصوتية والمفهوم. ومن هنا تتضح لنا الطبيعة النفسية التي تميّز العلامة اللّسانية عند دوسوسير فهي عبارة عن كيان سيكولوجيّ له وجهان هما التصوّر والصورة السّمعية. كما أنّ المقصود

1 F de sausure, Cours de linguistique générale édition critique par Rudolph Engler , weispaden,Otto Harrowitz, tom 2 ,1974- 1967, p149 . نقلا عن: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2017، ص 274.

2 فرديناند دوسوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ص 104.

بالصوت هو ذلك الأثر النّفسي الذي يتولّد في الذّات والممثّل في الحواس المختلفة، وللمفهوم أيضا طبيعة نفسيّة وإن كانت أكثر تجريدا من الصوت.

ومن المفاهيم التي قدّمها كتاب محاضرات في اللّسانيات العامة للعلامة، هي أنّها تعدّ وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، وتتألّف من جانبين أساسيين هما: الدال (signifiant) والمدلول (signifie). فالدال هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما أو تعيّنه ككلمة شجرة مثلا، أما المدلول فهو التصور أو الشيء المعني كالفكرة الذهنية التي نحملها حول الشجرة[1]. ويشبّه دوسوسير العلامة بالقطعة النقدية المؤلفة من وجهين اثنين لا يمكن فصلهما عن بعضهما، وباقترانهما تنشأ العلامة. أمّا العلاقة التي تربط بينهما فتسمى الدّلالة (Signification)، حيث لا وجود للمعنى إلّا بهذه العلاقة، كما لا يمكن الحديث عن أسبقية أحدهما عن الآخر، فهما ينبثقان في آن واحد. وتقسيم دوسوسير للعلامة إلى شطرين (دال ومدلول)، لا يقصد أنّهما في حالة انفصال، فهذين العنصرين لا يوجدان إلّا بوصفهما مكوّنين للعلامة اللّسانية.

عدّ دوسوسير العلامة اللّسانية مثالا لجميع العلامات السّيميائيّة. فعلى الرغم من أنّه كما سبقت إلى ذلك الإشارة جعل اللّسانيات جزءا من السّيميولوجيا، إلّا أنّ السّيميولوجيا " لا

1 أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5 ،2005، ص 127.

تستطيع أن تعيّن الوقائع الدالّة موضوعا لها إلّا انطلاقا من مفهوم العلامة اللّسانيّة"[1]، وهذا ما يجعل من اللّسانيات ذات قيمة عالية في ميدان السّيميائيات.

ومن هنا يتجلّى لنا احتفاء دوسوسير باللّسان، الّذي أرسى معالمه النظريّة بوصفه نظاما من العلامات، واعتبر أنّ أصل العلامة اللّسانية إنّما هو اللّسان.

2 . خصائص العلامة اللّسانية:

أحصى كتاب محاضرات في اللسانيات العامة مجموعة من السّمات التي تميّز العلامة اللّسانية كما يلي:

أ . الاعتباطية: وهي طبيعة العلاقة التي تربط بين طرفي العلامة (الدال والمدلول). يرى دوسوسير أنّ العلاقة القائمة بين الدال والمدلول قائمة على الاصطلاح غير المعلّل، فالعلامة اللغوية تقوم على الاتفاق بين أفراد مجتمع معيّن. إذ أنّ الإنسان لا يمكنه التعرّف على المعنى الذي تشير إليه الأصوات عن طريق إيحائها، فلا وجود لأيّة علاقة ضرورية بين الأصوات وما توحي إليه[2].

وانطلاقا من هذا يرى دوسوسير بأنّ العلاقة التي تربط بين وجهي العلامة علاقة غير مبرّرة وغير ضرورية، وأنّ اختلاف الألسن في تسمية الأشياء هو خير دليل على ذلك، فلا علاقة

1 عبد الواحد مرابط، السّيمياء العامّة وسيمياء الأدب (من أجل تصوّر شامل)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، المغرب، الجزائر، لبنان، ط1، 2010، ص 37.

2 ينظر، محاضرات في علم اللسان العام، ص105.

داخلية تربط الدال بالمدلول في نظر سوسير. ولا تعني الاعتباطية في عرف دوسوسير البتّة أنّ للمتكلّم حرية التصرف في الدوال كما يشاء، وذلك لأنّها مفروضة عليه من قبل الجماعة التي ينتمي إليها[1].

ب ـ خطيّة الدّال: يرى دوسوسير أنّه " لما كان الدال ذو طبيعة سمعية فإنه يمتد منتشرا في الزمان ويجري فيه فقط. ثم إنّ خصائصه مستعارة من الزمان، فالدال يمتاز بكونه ممتدا وهذا الامتداد يمكن أن يقاس من بعد واحد وهو خط طولي"[2]. يميّز دوسوسير بين خاصيّتين للدال، أولهما هي: امتداده في الزمن، أي أنّه عبارة عن متتالية من الأصوات المسموعة أو المكتوبة، وثانيهما امتداده على خطّ طوليّ، أي امتداده بالتّتابع والتّوالي دونما إخلال بالنظام الذي يحكم الدال بصفة مطلقة. وممّا يمكن أن نستشفّه من ثنايا ما تقدّم أنّ دوسوسير يقدّم اللغة المسموعة على اللغة المكتوبة.

3 ـ مبعَثُ دوسوسير (السّوسيرية الجديدة):

وبعدما أشرنا إليه من أفكار عن علم السّيميولوجيا وعن العلامة باعتبارها أهمّ محور يدور حوله هذا العلم الجديد حسب ما جاء في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة. تجدر بنا الإشارة إلى ذلك التحوّل الجذري الذي يشهده المجتمع العلمي الحديث بسبب مخطوطات جديدة

1 ينظر: مختار زواوي، سيميائيات (ترجمة النص القرآني)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ـ ناشرون ـ، لبنان، ط1، 2015، ص 155.

2 المرجع نفسه، ص 103.

لدوسوسير، تم العثور عليها في منزله حوالي سنة 1996 م المنشورة سنة 2002 م. وهي منشورات أعادت إحياء دوسوسير وبعثه بعد قرابة قرن من تاريخ وفاته.

لا يقتصر مضمون المخطوطات الجديدة هذه على بحوث وإسهامات دوسوسير في اللسانيات فقط، بل إنّها تحتوي أيضا جوانب أخرى من فكره كثيرا ما كانت مجهولة ومغيّبة، منذ أن أودعت عائلته إرثه العلمي والفكري بمكتبتي جامعتي جنيف وهارفرد. وقد كشف تحقيق هذه المخطوطات عن فكر دوسوسير الأصيل في الفلسفة واللسانيات.

لقد أفرز هذا الاكتشاف العلمي إضافات نوعيّة في حقل الدراسات السوسيرية، لا سيما ما اتصل منها بمشروعه السيميائي. فقد أحدثت مخطوطاته هذه ثورة في تاريخ اللسانيات الحديث بعدما ظهر جليّا بأنّ كتاب محاضرات في اللسانيات العامة الذي نشر بعد وفاته (سنة 1916م) مباشرة ونسب له ما هو له.

كما أنّ ما تمّ الترويج له من خلال هذا الكتاب من جهة، وبواسطة الكثير من النظريات اللسانية التي تغذّت على أفكاره والتي بلورت مفاهيمها وتصوراتها انطلاقا منه من جهة أخرى من مسائل وقضايا لا يعبر تعبيرا صادقا عن فكر دوسوسير الأصيل[1].

وانطلاقا مما استجد في ساحة البحث اللسانياتي المعاصر يرى مختار زواوي بأننا أمام مرحلة مفصلية في تاريخ اللسانيات تستدعي فعلا إعادة النظر في موقفنا من كتاب محاضرات في

1 ينظر: دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، ص 11-12.

اللسانيات العامة المنسوب الى دوسوسير والذي ألّفه من بعد موته تلميذاه شارل بالي وألبير سشهاي، استنادا إلى ما كتباه وجمعاه من محاضراته واعتمادا على وثائق تفصلها عن فكر دوسوسير الأصيل مسافة معتبرة.

أسفرت المقارنات التي قام بها بعض الباحثين بين كتاب محاضرات في اللسانيات العامة وما كتبه بعض طلبته مما أملاه عليهم دوسوسير في محاضراته خلال السنوات الثلاث التي شغل فيها منصب أستاذ بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة جونيف، بالإضافة إلى موروثه اللّسانياتي المودع في مذكّراته ودكتوراه، عن أنّ كتاب محاضرات في اللسانيات العامة يحجب حقائق كثيرة وقضايا متعددة عن فكره وتصوراته واكتشافاته ومطارحاته، ويكشف الكثير من الخلل الذي طال هذا الكتاب.

لقد قزّم هذا الكتاب معرفتنا بدوسوسير وجعلها لا تتجاوز صفحاته المحدودة، فإلى جانب إخلال كاتبيه بالترتيب الذي انتهجه دوسوسير في التعبير عن آراءه وأفكاره اللّسانياتيّة أثناء إلقاءه لدروسه بجامعة جونيف، وعدم إفصاحهما كلّ الإفصاح عن تلكم الآراء والأفكار التي عبّر عنها في محاضراته، فإنّهما قد لجآ إلى اختزالها تارة وإلى الإضافة عليها تارة أخرى وهو الأمر الذي من شأنه الإخلال بفكره الأصيل[1].

1 ينظر: المرجع السابق، ص 12. 13.

لقد أبانت النقود التي وجّهها الناقد مختار زواوي لكتاب محاضرات في اللسانيات العامة، وفحصه الذي طال كراسات طلبة دوسوسير على وجود تضارب كبير للعديد من المواقف والقضايا المتعلقة بفكر دوسوسير، وهذا ما يفسّر تلك التناقضات التي حملها الكتاب ولا أدلّ على ذلك ممّا حملته آخر جملة فيه والتي تقرّر بأنّ الموضوع الوحيد والحقيقي للسانيات إنّما هو اللسان، بينما لم يكن كذلك الأمر أبدا في فكر دوسوسير حسب رأي الباحث. إنّ هذه التناقضات والتضاربات التي تقلّص فكر العالم وتختزله بإمكانها أيضا أن تقوّض مشروعه في مجال اللسانيات برمّته.

إنّ هذه الخطوة الجريئة التي أقدم عليها الباحث مختار زواوي لإعادة قراءة دوسوسير من جديد من خلال كتابه الموسوم ب: **"دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)"**، بهدف إعادة التعريف بدوسوسير، وقصد تقليص الهوّة بين ما كتبه طلبته في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، وبين ما تمّ اكتشافه في مخطوطاته الجديدة، من شأنها أن تفتح آفاق بحث جديدة أمام الباحثين والمهتمين بشؤون اللسانيات عامّة.

لقد استطاع الباحث بعد عناء شديد من البحث والاطلاع المباشر وغير المباشر في تركة دوسوسير الفكرية، المبثوثة في عشرة آلاف ورقة والتي لا يعتبر الوصول إليها أمرا هيّنا، ضف إلى ذلك قلّة التحقيقات والمراجعات التي تناولت هذه المخطوطات الجديدة أن يعيد النظر في العديد من المسائل والقضايا التي اعتنى بها دوسوسير، خاصة ما تعلّق منها بتصوراته اللّسانية التي لم تلق

حقّها الكافي من العناية، وكذا مصطلح السيميائيات ودلالتها ومجالاتها، والقضايا المتعلقة بالعلامة وغيرها من المسائل الأخرى ذات الصلة والتي لا يمكن الحصول على أجوبة عليها إلّا من خلال ما خطّه دوسوسير بخطّ يده. وسنقتصر في هذا المبحث على ما يهمّنا في بحثنا هذا فقط، وهي آراء دوسوسير حول العلامة والسيميائيات.

إنّ الدعوة إلى إعادة النظر فيما استجدّ في أدبيات اللسانيات وفق ما نشر من كتابات جديدة لدوسوسير والإقبال عليها ليس بالأمر اليسير البتّة، إذ كيف لمن آمن ببعض قضايا اللسانيات. التي أصبحت على مدار قرن من الزمن من المسلمات واليقينيات. إيمانا قاطعا أن يكفر بما آمن به ردحا غير يسير من الزمن؟ وكيف له أن يتحلّل مما طبع في ذهنه ورسخ فيه؟

على الرغم من أنّ الدعوة إلى الإقبال على ما استجدّ في فكر دوسوسير بعد ما تمّ اكتشافه من مخطوطات ليس بالأمر الهيّن، على الباحثين والدّارسين ممّن أصبحت لديه بعض القضايا والمسائل في مجال اللسانيات من قبيل المسلّمات والبديهيّات، فكيف لهذا وغيره أن يكفر بما آمن به ردحا غير يسير من الزمن؟ أو أن يتحلّل ممّا انطبع في ذهنه وترسّخ في ذاكرته زهاء قرن من الزمن. إلّا أنّ تلبية هذه الدعوة أصبح أمرا واجبا على كل باحث مهتمّ ينشد الحقيقة ويتحرّاها.

يقرّ الباحث مختار زواوي بأنّ مخطوطات دوسوسير الجديدة تمكّنت تدريجيّا من مَحوِ تلك الصورة النمطيّة التي رُسِمت لدوسوسير من خلال كتابه المزعوم سالف الذّكر، والتي استطاعت

أن تختزل فكره في بعض الفروق والثنائيات على غرار ثنائية: اللسان/الكلام، الآنية/ الدياكرونية، الدال/ المدلول وغيرها من الفروق. وبعض التعريفات القليلة من قبيل تعريف العلامة اللّسانية، القيمة اللّسانية وغيرها من المسائل اللّسانية، فقد مكّنت هذه الوثائق والمخطوطات من التعرّف على فكر دوسوسير الأصيل والموسوعي الذي نبغ في حقول معرفيّة لم يأت على ذكرها الكتاب المنسوب إليه، وهي حقول: الإبستيمولوجيات، فلسفة اللغة، والإبستيمولوجيات المبرمجَة[1].

وبهذا لم تعد عبارة " اللّسانيات العامة" تدل على ما كان مألوفا منها استنادا إلى كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، وإنّما أصبحت دلالتها تمتدّ لتشمل هذه الحقول المعرفيّة الثلاث.

من أهمّ المسائل التي لاشكّ أنّها ستعيد النظر من جديد في كثير من الأفكار التي نسبت إلى دوسوسير والتي ستمكّننا من تمثّل تصور لسانيات دوسوسير الجديدة للخطاب، نجد:

أوّلا: عدم تمييز دوسوسير. إن في محاضراته أو في كتاباته. بين لسانيات للّسان ولسانيات للكلام.

ثانيا: تتّخذ لسانيات دوسوسير الوقائع اللسانية المدرَكة من قبل المتكلّم موضوعا لها، أمّا ما عداها فلا يعتبرها دوسوسير موضوعا للسانيات.

ثالثا: الخطاب هو المادة التي تشتغل عليها فهي لسانيات للخطاب بامتياز.

رابعا: المعنى في أبجديات لسانيات دوسوسير يحدّده استعمال الفرد للّسان.

1 ينظر: دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، ص 92.

ومن أهمّ القضايا التي اهتدت إليها القراءات الجديدة لفكر دوسوسير هي مسألة الفصل بين اللّسان والكلام وإزاحة هذا الأخير من مجال اللّسانيات تماما[1].

4- جديد العلامة وموقعها من سيميائيات دوسوسير:

من المفاهيم التي استجدّت في حقل السيميائيات المعاصرة وفي لسانيات دوسوسير الجديدة، استنادا إلى ما كتبه فعلا، هو مفهوم السيميولوجيا الذي كشفت عنه المخطوطات الجديدة والذي جاء في شكل معادلة على النحو الذي يلي: "السيميولوجيا = المورفولوجيا، النحو، التركيبيات، الترادف، البلاغة، الأسلوبيّات، المعجميّات، إلخ، الكل متصل"[2].

يتّضح لنا من خلال هذا التعريف أنّ النظرية السيميائية عند دوسوسير ذات بعد لساني خالص. ويقودنا هذا التعريف إلى استشعار صحّة المقولة التي ورثناها عن كتاب محاضرات في اللسانيات العامة والتي مفادها أنّ لسانيات دوسوسير هي لسانيات تعنى بدراسة اللّسان ولا تهتم بدراسة الكلام. في حين أنّ المتأمّل في هذه المعادلة يجد بأنّ سيميولوجيا دوسوسير ذات البعد اللّساني بالدرجة الأولى، هي سيميولوجيا لسانية تجمع بالإضافة إلى العلوم التي تعنى بدراسة اللّسان من مولفولوجيات ومرادفات وتركيبات و ... علوم أخرى تهتمّ بدراسة الكلام من بلاغة

1 ينظر: دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، ص 148.

2 S,Bouquet, D 'une théorie delaréférence à une linguistique du texte :Saussure contre Saussure ?,Cahiers Ferdinand de Saussure,N°52,1999,p.42 . نقلا عن: دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، ص 167.

وأسلوبيات و ... ومن خلال هذه المعادلة يتجلّى لنا تصور دوسوسير للّسانيات والتي لا يمكن فيها الفصل بين لسانيات للّسان وأخرى للكلام، وبالتالي فهي لسانيات للنص كما أرشد إلى ذلك فرانسوا راسيتي.

إنّ ممّا أفضت إليه البحوث الجديدة في كتابات دوسوسير أنّ اللّسان بوصفه نسيجا من العلاقات، يعدّ في تصوره نسقا من العلامات، ينماز عن باقي أنساق العلامات الأخرى. ويؤسس لسيميولوجيا خاصة باللغة ويؤكد على الطابع الخطي للعلامة اللسانية وهي صفة تميّزها عن بقية أنماط العلامات الأخرى[1].

ومن الفاهيم السوسيرية التي لم تنج من التّقصير في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة هو مفهوم العلامة، غير أنّ " لبس لفظ العلامة ليست مرتبطة بفترة إلقاء الدروس في اللسانيات أثناء دروس العام الثالث (1910م/1911م)، وإنّما وردت إشارات دوسوسير الصريحة إلى غموض لفظ العلامة في بعض فقرات مؤلّفه (**في الماهية المزدوجة في اللغة**) * التي نبّه فيها إلى الصعوبات الناجمة عن استعمال لفظ العلامة في اللّسانيات. ويتجاوز الالتباس الذي يتضمّنه لفظ العلامة حدود المسألة الاصطلاحيّة ذاتها لأنّه يعكس الطبيعة الحقيقيّة للأشياء التي تدلّ عليها كلمة (علامة) نفسها. وتحدّث سوسير عن تعدّد دلالة العلامة وتنوعها انطلاقا ممّا نلاحظه عادة من

1 ينظر: دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، ص 170.

*هو مخطوط ظهر مؤخرا لدوسوسير، وهو يعدّ من أوائل ما كتب قبل محاضرات 1916. لكنه لم يظهر إلاّ في الآونة الأخيرة،

أنّ العلامة المتنوعة قد يكون لها تصوّر ذهنيّ واحد concept، وأنّ العديد من التصورات أو المفاهيم يمكن أن تعبّر عنها علامة واحدة"[1].

وانطلاقا ممّا سبق فإنّ الغموض الذي اكتنف مفهوم العلامة كان بوعي من سوسير وإن لم يظهر في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة، ومن خلاله يتضح لنا أن العلامة يمكن لها أن تدل على معنى أو مفهوم ذهني واحد. كما يمكن أن يكون لمفاهيم ذهنية متعدّدة علامة واحدة. وفي موضع آخر كان سوسير يقرّ بالدلالة الثنائية للفظ العلامة، فهي إمّا الصوت وحده، وإمّا الصوت والدلالة معا. غير أنّه كان يرجّح الاستعمال الثاني أي أنّها صوت ومعنى[2]. وهذا الترجيح يؤكّد أحد مبادئ سوسير الأساسية وهو مبدأ الثنائيّة.

والعلامة اللّسانية بوصفها كيانا مستقلا عن باقي العلامات المجاورة، سواء كانت المجاورة خطيّة أم استبداليّة، وأنّها تتكون من وجهين دال ومدلول، زيادة على كونها تقوم على مبدأين اثنين هما الاعتباطية وخطية الدال، هو تصور مختزل ولا يخلو من ضبابية، روّج له كتاب محاضرات في اللسانيات العامة لبالي وسشهاي اللّذان فضلا عن تقديمهما للعلامة على أنّها " مستقلة عن باقي العلامات المجاورة لها، وتجريدها عن وجودها الخطابي، جرّداها من ميزة ثانية تكاد تكون جوهريّة، هي خاصيّة تبليغها (transmission)"[3]. والمقصود بهذه الخاصية إنمّا هو حركيّتها عبر

1 اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 324.

2 المرجع نفسه، ص 325.

3 دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، ص 181.

الزمن وقدرتها على الانتقال من جيل إلى جيل آخر، وهي خصيصة جوهريّة في العلامة مؤسِّسة لها وغير منضافة إليها.

وفضلا عن تقصير الكتاب في بيان طبيعة العلامة اللّسانية وبعض المفاهيم المتعلّقة بها، وعدم إيراده لكل مكوناتها، فقد كان هو السّبب فيما شاب بعض المفاهيم السوسيرية من التباس وتعدّد دلالي، وهاهنا يمكننا إدراج ما " تبيّن لسيمون بوكي... أنّ دوسوسير كان يستعمل مصطلح العلامة دالاّ تارة على الوحدة القائمة بين المفهوم والصورة الصوتية، وتارة أخرى يقتصر مدلوله على الصورة السمعية "image acoustique" "[1] غير مقترنة بالمفهوم الذي تعبّر عنه.

فالعلامة اللغوية ليست كيانا بسيطا، إنّها اتحاد بين تصوّر وصورة سمعيّة، أو لنقل إنّ العلامة صورة سمعيّة تحمل تصوّرا. وتفاديا للّبس الذي يصاحب التسميات المتداولة عادة بشأن العلامة اللغوية وأطرافها، اقترح سوسير إبدال المصطلحات القديمة بأخرى أكثر وضوحا ودقّة، للتعبير عن تصوّره الجديد عن العلامة اللغويّة وطرفيها. فعوّض مصطلحي " الصورة السمعيّة " و" التصوّر"، بالدال والمدلول.

وتجدر هنا الإشارة إلى أنّ مصطلحي الدال والمدلول كانا قد وردا في كتاب اللسانيات العامة، وكانا حاضرين عند سوسير منذ بداية إلقاء الدروس، لكنّ المصادر الأصول (المخطوطات

1 S.Bouquet, Benveniste et la représtation du sens : de l'arbitraire du signe à l'objet extra-linguistique ,Linux, n° 9, 1997, p,117 . نقلا عن كتاب دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، ص 182

الجديدة) تبيّن أنّ اللّجوء إلى هذين المصطلحين جاء متأخّرا جدّا[1]. وهكذا فإنّ مفهوم العلامة عند سوسير تراوح بين معنيين اثنين، فتارة هو " الكلّ المركب من الصورة الصوتية والمفهوم، والاقتصار به تارة أخرى على الصورة الصوتيّة"[2] فقط.

ويرى مختار زواوي أنّ العلامة بينما كانت تبرز من خلال كتاب المحاضرات معزولة عن علاقاتها مع العلامات الأخرى، واقتصاره بوصفها كلّا مكوّنا من دال ومدلول، تجتهد كتابات دوسوسير الجديدة وخاصة في كتاب **في جوهري اللّغة** في التوكيد على هذه العلاقات التي تنعقد بين العلامات. بل والتوكيد على عدم أسبقية العلامات على هذه العلاقات[3]، وعليه فالعلامة في المخطوطات الجديدة تتجاوز فكرة العلاقة بين الدال والمدلول، وتخرج من دائرة العزلة التي اتّسمت بها قبل ذلك. وتتجلّى في مجموع العلاقات التي تحصل بين طرفيها مع التأكيد على أسبقيّة هذه العلاقات.

ويتعدّى تصور العلامة عند دوسوسير إلى مجال آخر من مجالات الفكر الإنساني، ونعني به مجال التّأويليات وتفسير النصوص، إذ أنّ اعتبار العلامة لحظة من لحظات التّأويل يؤدي إلى التوّكيد على أوّلية الكليّ (النص) على المحليّ (العلامة). كما أنّ التعرّف على العلامة لا يتمّ إلّا

1 ينظر: اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 275، 276.

2 فرديناند دو سوسير، في جوهري اللغة، ترجمة: مختار زواوي، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية. ناشرون . 2019، ص 109.

3 ينظر: المصدر نفسه، ص 116.

في أثناء القراءة، التي تحدث تغييرا في النص. وانطلاقا ممّا سبق فإنّ المعنى يتحدّد بواسطة انصهار العلامة والقراءة والتّأويل والتفسير معا، مع ضرورة أسبقيّة النص على العلامات كما سبقت إلى ذلك الإشارة[1].

أ . مفهوم الاعتباطية: تتكون العلامة اللّسانية من دال ومدلول، أما الدال فهو الصورة السمعية أو الأثر النفسي للصوت (الصورة الحسيّة). وأهمّ ما يميز اتحاد الدال بالمدلول (العلامة)، إنّما هو اعتباطية العلاقة التي تربط بينهما، إذ لا علاقة داخليّة تربط بين وجهي العلامة.

واعتباطية العلامة اللّسانية هي أحد المفاهيم المركزية في لسانيات دوسوسير والتي أسالت الكثير من الحبر واحتدم حولها النقاش منذ صدور كتاب محاضرات في اللسانيات العامة. وقد وجّهت إلى دوسوسير بسبب هذا المفهوم الكثير من الانتقادات التي كان مردّها إلى ضبابيّة مفهوم العلامة وتعدّد دلالاته من جهة، وإلى غموض موقف دوسوسير من الواقع وعدم وضوحه في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة من جهة ثانية.

وليس فقط مفهوم الواقع ومشكلة علاقته باللغة هو المفهوم السّوسيري الوحيد الذي يشوبه الغموض ويعتريه العور، وإنّما هناك مصطلحات أخرى عديدة لم يحسن مؤلّفا الكتاب استعمالها استعمالا دقيقا أحيانا ولم يجيدا التعبير عن معانيها تعبيرا دقيقا بسبب اختلاف الأسيقة التي وردت فيها أحيانا أخرى، من قبيل: اعتباطية الدال، اعتباطية الرابطة، اللسان –الشمول، اللسان

1 ينظر: في جوهري اللغة، ص 117.

. الآنية، اللسان الخاص، الموضوع، الأشياء، سلسلة الأصوات، الصورة السمعيّة، الفكر، المفهوم، وغيرها من المفاهيم السوسيرية[1].

وهكذا خلص بعض المحدثين في مجال علوم اللغة ومن بينهم إيميل بنفنست إلى أنّ تقرير مبدأ الاعتباطية تفكير يعتريه عدم التجانس لعدم التحام المفاهيم التي يستدعيها قصد التعبير عنه، ويفضي به إلى التناقض. وسبب هذا التناقض. كما سبقت الإشارة إليه. راجع إلى التعدّد الدلالي لمفهوم العلامة في فكر دوسوسير، وإلى سوء تقديم المؤلِّفَين وتعبيرهما عن مفهوم الاعتباطية تعبيرا فاسدا، ومردّ ذلك إلى عدم فهمهما لعلاقة الواقع باللغة في فكر دوسوسير كما أشار إلى ذلك مختار زواوي في كتابه.

فتعريف العلامة اللّسانية عند دوسوسير هي اتحاد بين الدال والمدلول، غير أنّ شارل بالي وألبير سشهاي أشارا إلى أنّه يمكن أن يتسلّل الشيء المحال إليه في الواقع إلى تعريف العلامة، وهو أمر يجعل مسألة انتفاء وجود علاقة بين الدال والمدلول مسألة فيها نظر وهو ما تفطّن إليه بنفنيست. وهذه حجّة أخرى تنضاف إلى مجموع الحجج التي تؤكّد براءة دوسوسير ممّا نسب إليه في الكتاب السابق.

1 Voir ,R . Engler,théorie et critique d'un principe saussurien : L'arbitraire du signe, Cahier Firdinande de Saussure,n°19,1962,p 41 نقلا عن دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، ص 185.

وبخصوص هذه المسألة يرى مصطفى غلفان أنّ كتاب المحاضرات قدّم فهما غير دقيق لخاصية الاعتباطية، بحيث جعلها تختصّ بالعلامة اللغوية ككل، أي باعتبار أنّها تتألّف من دال ومدلول، بينما كان دوسوسير يقصد باعتباطيّة الدال في علاقته بالمدلول، أنّ الدال لا يرتبط بأيّ صلة بالمدلول، فلا رابط بين الدال والمدلول الذي يمثله حسب التّأويل المزدوج لاعتباطية العلامة. فما سمّاه الناشران اعتباطية العلامة كان ينبغي أن يطلق عليه اعتباطية الدال[1].

ومن خلال هذا يتّضح لنا جليّا أنّ عدم الضبط الدقيق لمصطلحات (الدال، المدلول، العلامة) في العديد من استعمالات دوسوسير هو سبب هذا اللّبس والغموض والتعارض في تقديم المفاهيم والتعريفات السّوسيرية.

ب ـ خطية الدال: على الرغم من عدم حضور مصطلح (خطية الدال) في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة حضورا بارزا إلّا أنّه يعدّ من المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها دوسوسير لتمييز سيميائيات اللسان، أو النسق اللساني عن غيره من الأنساق السيميائية الأخرى. ونظرا للغياب اللاّفت لهذا المصطلح بسبب عرضه الموجز وتعريفه المختزل فيما أسنده شارل بالي وألبير سشهاي إلى دوسوسير من ناحية، وبسبب طبيعة هذا المفهوم الذي كان يبدو مفهوما بديهيا في أذهان الناس لا يحتاج إلى توضيح، فإنّه لم يحظ بنفس الاهتمام الذي حظيت به الكثير من المفاهيم المتّصلة بالعلامة وفي مقدّمتها مفهوم الاعتباطية من لدن اللّغويين المحدثين.

1 ينظر: اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 130.

وبتطور الدراسات الفونولوجية لتحليل الفونيم تعرّض مفهوم الخطية إلى الانتقاد والمساءلة، ما جعله يطفو إلى سطح البحوث اللغوية الحديثة ويطرح العديد من الأسئلة، التي خلصت الإجابات عنها إلى أنّ طرح دوسير له جاء في أسيقة معيّنة. رأى بأنّه من السذاجة التذكير به لاستحالة النطق بعنصرين (حرفين) لغويين في الآن ذاته[1].

ج - الواقع: إنّ غموض كثير من المسائل والقضايا السوسيرية وعدم وضوحها راجع بالدّرجة الأولى إلى قلّة كتاباته ومنشوراته، فما وصل إلينا من أفكاره حول اللسانيات يعود الفضل فيه إلى ما دوّنه طلبته أثناء إلقاءه لمحاضراته في الجامعة خلال سنوات ثلاث، وهو الأمر الذي لم يسلم من الإضافات والزيادات والتركيب أحيانا ومن التحوير والبتر والاختزال وعدم الفهم أحيانا أخرى. وهو ما أدّى إلى مجانبة حقيقة فكره الأصيل ولباب أفكاره الخالصة. ومن أبرز القضايا التي ساهمت في تعقيد بعض التصورات السوسيرية هي قضية العلاقة بين اللغة والفكر، فهي قضية تنبني عليها الكثير من التصورات والمفاهيم على غرار مفهوم الاعتباطية، وهو ما أشرنا إليه في الصفحات السابقة.

إنّ العلاقة بين العلامة (اللغة) والواقع ليست وليدة الفكر اللّسانياتي الحديث بل هي مسألة متجذّرة في الفكر الفلسفي الغربي القديم. فعلاقة اللغة بما تحيل إليه من أفكار في عالم الأشياء تمثل جانبا مكوّنا للعلامة وهو ما يجعلها غير مكتفية بذاتها، وغير مستغنية عن الواقع.

1 للاستزادة في الموضوع، ينظر: دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيّات)، ص 186 . 190.

إنّ المقابلة بين ما جاء في كتاب المحاضرات وبين ما وُجد في مخطوطات دوسوسير المودعة في مكتبة جونيف، يوحي بوجود تناقض في مسألة علاقة اللغة بالواقع في تصور دوسوسير، إذ أنّ استعماله لمصطلح العلامة المستقلة في مقاله عن ويتني سنة 1894م، ينبئ عن توجّهه نحو استقلالية العلامة عن الواقع. والمقصود بالعلامة المستقلة أصناف العلامات ذات الخاصية التي تتمثل في افتقادها لكل رابطة مع الشيء المراد الإشارة إليه. ومبرّر هذا التصور في نظر مختار زواوي يعود للميزتين الرئيسيتين للغة، فهي في الآن ذاته مواضعة وإرث تاريخي[1].

ممّا أصبح يعدّ من المسلّمات في الفكر السوسيري أنّ النظرية السيميائية هي مجرد مشروع يعنى بدراسة العلامات داخل الحياة الاجتماعية تنبّأ دوسوسير بأحقّيّته في الوجود إلّا أنّ هذا المشروع. في نظر مختار زواوي يعدّ أكثر نضجا. استنادا إلى ما استجدّ من تحقيقات لمخطوطاته سالفة الذّكر.

وممّا اتّكأ عليه مختار زواوي للإدلاء بهذا التصريح إنّما هي أبحاث سيمون بوكي التي كشفت عن جوانب بالغة الأهميّة في مشروع دوسوسير ترتبط أساسا بطبيعة العلامة اللّسانية، وتصنيفه للوحدات السّيميائية. فاللّسانيات في نظر دوسوسير كما جاء في كتاب المحاضرات هي أكثر الأنساق السيميائية ارتباطا بالسيميولوجيا وأحسنها دلالة على البعد السيميولوجي. وتعدّ العلامات اللّسانية الاعتباطية أكثر أنواع العلامات التي تحقّق المنوال السيميولوجياتي.

1 ينظر: دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، ص 192.

ومن هذا المنطلق فإنّ اللّسانيات هي النموذج الأمثل لكل السيميولوجيّات، وهي (اللّسانيات) في نظر دوسوسير سيميائيات خاصّة تعنى بوصف قواعد لغة بعينها، وهدفها الأساسي هو صياغة نحو خاص بها يختلف عن نظيره في اللغات الأخرى بميزات تضمن له التفرّد والاستقلالية. أمّا السيميائيات العامة التي غايتها إبراز الصّلات التي تربط مختلف الأنساق الدالة فيما بينها، فقد عجزت عن بلوغ ما بلغته السيميائيات اللسانية وسبب ذلك راجع إلى أنّ " الاختلافات الكثيرة التي تميز الأنساق الدلاليّة غير اللّسانية عن نسق اللغة البشريّة حال دون صياغة سيميائيات قادرة على استيعاب هذه الفروق "[1].

6 ـ مجال السيميائيات:

لقد مكّن التطور السريع لجهاز السيميائيات النظري والمنهجي من تنويع مجالات استكشافاتها وارتياد حقول جديدة لم تعهدها من قبل. وكان هذا التوسّع، بادئ الأمر، قد اتجه نحو المجال الأدبي والشعري، لكنّه ما لبث أن امتدّ إلى الخطابات الأخرى غير الأدبيّة، سواء أكانت خطابات دينية، فلسفيّة، قانونيّة أو سياسيّة اجتماعيّة، أو تعلّق الأمر بدراسة الأنساق الدّلاليّة غير اللسانيّة. وإنّ دواعي توسيع السيميائيات لرقعة اهتماماتها لتشمل وقائع نصية وثقافيّة جدّ متنافرة وغير متجانسة، سببه جنوحها نحو تأسيس ذاتها كنظريّة (أو منهجيّة) من شأنها أن تكشف عن أكبر تشكيلة ممكنة من أشكال الإنتاج الاجتماعي للدّلالة.

1 دوسوسير من جديد (مدخل إلى اللسانيات)، 172. 173.

وعلى الرغم من تمكّن عدد كبير من الباحثين والمهتمّين العرب من تمثّل البحث السيميائي الغربي تمثّلا واعيا بالأصول التي أسّس عليها والمنابع الفكريّة التي ارتوى منها إلّا أنّ هذا التلقّي العربي تجاهل كثيرا سيميولوجيا دوسوسير، واكتفى في جلّ أحاينه بالإشارة إلى البحث السيميولوجيّاتي الفرنسي إشارة موجزة لا تستعيد من فكر دوسوسير في هذا المجال إلّا ما شاع منه، في حين نجد أنّ هذا البحث العربيّ قد أولى عناية واهتماما بالغين بسيميائيات بورس، وغريماس ومدرسة باريس، وسيميائيات إيكو، وإن كانت كلّها قد استندت إلى تصوّرات دوسوسير السيميولوجيّة. إلّا أنّه لم يكلّف نفسه عناء البحث فيما استجدّ في أدبيات السيميائيات الأوروبيّة حول سيميولوجيات دوسوسير[1]. فقد ظلّ فكر دوسوسير السيميولوجي غائبا في كثير من المحاولات الجادّة.

المبحث الثاني: التصوّر البورسي للعلامــة

لقد دعا بورس إلى "بناء نظرية عامة للعلامات تستوعب الواقع في كليته، سواء أكان مدركا أم مبنيا، ولا تحظى فيها اللّغة بأي أهمية خاصة؛ لاسيما أن علاماتها لا تنتمي إلى نوع مميّز ولا حتّى إلى جنس قار"[2]، إنّ هذا التصوّر الطّموح الذي يستوعب كافّة الظّواهر الطبيعيّة في الكون يعدّ مشروعا علاماتيّا ضخما نادى به بورس وسعى من خلاله إلى تأسيس السّيميائيات

1 ينظر: المرجع السابق، ص 137.

2 محمد التهامي العماري :حقول سيميائية- السّيميائيّات الاجتماعية، سيميائيات المسرح، سيميائيات التلقي- ، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب(فاس)،2007 ، ص 06.

بوصفها علم العلامات، الذي يتناول بالدراسة كل الظواهر الطبيعية. كما أنّه العلم الذي لا ينفصل عن المنطق باعتباره يمثّل القواعد الأساسية للتفكير والحصول على الدّلالات المتنوعة، كما ولا ينفصل من جهة ثانية عن الفينومينولوجيا باعتبارها منطلقا صلبا لتحديد الإدراك وسيرورته ولحظاته[1]، ضف إلى ذلك أنّه لا ينفصل عن الرياضيات، والأنثروبولوجيا، السلوكية... وغيرها.

يرى بورس أن العلامة هي أساس الكون كلّه معترفا بأنّه " لم يكن باستطاعته دراسة أي شيء كان – رياضيات، أخلاق، ميتافيزيقا، جاذبية أرضية، دينامية حرارية، بصريات، كيمياء، علم التشريح المقارن، علم الفلك، علم النفس، الاقتصاد، تاريخ العلوم، لعبة الورق، الرجال والنساء، الخمور، علم القياسات إلّا بوصفها دراسة سيميائية " [2]، وعليه فالمجال السيميائي في نظره شامل وواسع. وبهذا الطرح يعدّ بورس كلّ نشاط إنسانيّ نشاطا سيميائيا.

وتقدّم السيميوطيقا نفسها بأنّها منطق عام يستوعب كلّ الظواهر ويعمل على صياغة قواعد مجرّدة للتفريق بين سليمها وسقيمها، حيث يقرّ أنّ السيميوطيقا ما هي إلّا وجه آخر للمنطق حين يقول:"إنّ المنطق بالمعنى الواسع للكلمة، ليس إلّا تسمية أخرى للسيميائية(Sémiotique) "[3]. وهكذا عمل بورس على إرساء قواعد نظريّة عامة تعنى بدراسة

1 سعيد بنكراد، السّيميائيّات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 58.

2 C,s,Peirce,écrits sur signe,Tra :gérard Deledalle, , Paris éd Seuil1978,p : 56

3 Ibid, p : 120

كافّة الأنساق الدّلالية على اختلاف أنواعها، وتدرس العلامات بجميع تمفصلاتها في الفكر الإنساني، فكان بذلك " أول من ارتاد هذا الموضوع المتمثّل في تفسير وكشف ما سمّيته السيميوطيقا أي نظرية الطبيعة الجوهريّة والأصناف الأساسية لكل سيميوزيس ممكن، ونظرية تنوعاته الأساسية "[1].

" تؤكد سيميائيات بورس أن وجود التّجربة الإنسانية ووجود العلامة المصاحبة لها، مبنيّان على أساس الوساطة التّأويلية، فلكي تتحقق التجربة؛ أي لكي نمرَّ من وجود الإمكان الذي تمثّله الأوّلانية إلى الوجود المتحقّق في مستوى الثانياتية، ينبغي الرجوع إلى مقولة التوسط أو الثالثاتيّة لإجراء نوع من التّخصيص والتّأويل داخلها...فالماثول يشتغل بشكل جزئي تبعا للسياق المتواجد به، والموضوع متعدد بتعدد المعارف التي اكتسبها طيلة تاريخ تداوله .والمؤول هو العنصر الذي يحاول جعل العلاقة ما بين التعدّد والتجزيء مستساغة دون أن تخلو هذه العملية من الانتقاء الذي يرجح قيما على أخرى أو جهة على أخرى أو فكرا على آخر"[2].

إنّ اتساع المجالات المعرفية التي طرقها بورس جعلت من مشروعه السيميائي مشروعا شاسعا غطّى بنظريته جميع أنواع العلامات، فبورس لم يترك أيّ مجال معرفي إلاّ وتطرق إليه فعرض فيه

1 مارسيلو داسكال: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة: حميد لحميداني وآخرون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط.، 1987، ص 16.

2 حبيبة الصافي، سيميائيات إيديولوجية، –دراسة– النايا للدراسات والنشر والتوزيع، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2011، ص 80.

أصول مذهبه وهو ما أدّى حتما إلى صعوبة فهم أطروحاته الفكرية ومشروعه السيميائي. حتى أصبحت العلامة علما مستقلا على يد هذا الفيلسوف حيث يرى أنّ أغلب العلوم تندرج تحت علم العلامة.

لقد استقى بورس تصوّراته وأفكاره عن العلامة من الطروحات الفلسفية لمن سبقة من الفلاسفة (اليونانيين وفلاسفة العصر الحديث)، على غرار أفلاطون (400 ق.م)، وأرسطو (35ق.م)، والرّواقيّين (250ق.م)، والقديس الجزائري أوغسطين (354 . 430 م) ، ثمّ " إيمانويل كانت "و"دافيد هيوم "و"هيغل "و"هوسرل " حيث بنى تصوّراته وإن اختلفت عمّا طرحوه " بعض الشيء، وهذا الفهم الثلاثي لم يتبنّ العلامة بوصفها موضوعا دراسيا مستقلا، وإنّما استُنبِط من تصور فلسفي لطبيعة الوجود ثلاثي الأبعاد: الإمكان والوجود والقانون، وما هذه الأبعاد إلا تشريح لطبيعة إدراك الأشياء والوعي بها "[1].

إنّ بورس حالة مختلفة تماما، " عبقريّة فلسفيّة مستعصية... كرّس جهده كله لما هو سيميوطيقي كما سمّاه، وهو ما سيصير علم العلامات" إذ يحتشد الكون كلّه بالعلامات إن لم يكن مؤلّفا كلّه من علامات. وإذا كان الكون مؤلّفا كلّه من علامات (وهو يؤكد أنّ الإنسان علامة)، فإنّ السؤال الذي يطرح نفسه على الفور، هو ما أنواع العلامات؟ وما الفروق المهمة

1 محمد فليح جبوري: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، منشورات الضفاف، دار الأمان، الرباط، الجزائر، ط1، 2013م، ص 44.

بينها؟ ... وقد قرّر أنّ هناك عشر تقسيمات ثلاثية يمكن من خلالها تصنيف العلامات (واحد منها فقط كان له تأثيره، وهو التقسيم إلى علامة أيقونية، وعلامة إشاريّة، وعلامة رمزيّة)"[1]. أي تصنيف العلامة بحسب علاقتها بالموضوع.

واستنادا إلى " نظريّة المقولات " (Théorie des catégoriese) عند كلّ من أرسطو وكانت وهيغل، التي هي عبارة عن ظاهراتية خاصة لها مفاهيمها وطرائقها المبتكرة " تدرس حال وجود الإمكان الكيفي والإيجابي، وحال وجود الواقعية الفعليّة، وحال وجود القانون الذي سيحكم في الواقع مستقبلا"[2]. أسّس بورس سيميائيته وبنى مفهومه الخاص للعلامة وفق مشروع فلسفي أطلق عليه الذرائعيّة (pragmatism)، التي صاغ من خلالها نظريّته العامة حول العلامات من خلال تصنيف علمي لها، وصرح بفرضيته حول وجود ثلاثة أنماط للوجود هي: الأولانية وتمثل الممثّل (représentimant)، الثّانيانية وتتمثّل في الموضوع (objet) والثّالثانية وتمثّل المؤوّل (interprétant) وهو ما يسمى ب"المقولات الفينومينولوجية (La phanéroscpie)[3]. وانصهار هذه الأبعاد الثلاثة للعلامة الممثل، الموضوع، المؤول، يمثل سيرورة العلامة أو ما يعرف ب "السيميوزيس"؛ حيث ينبثق مفهوم العلامة من منظور بورس انطلاقا من السيميوزيس الذي

1 مطاردة العلامات (علم العلامات، والأدب، والتفكيك)، ص52 .53.

2. C ,s,Peirce,écrits sur signe,Tra :gérard Deledalle, p 253 .

3 ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل (مدخل إلى سيميائيات شارل سيندرس بيرس)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2005، ص 41.

" يغدو في تصور بورس فعل العلامة وعملها ،وبهذا تحظى الوظيفة الرمزية بمنزلة خاصة في سيميائيات بورس؛ لأنها تحافظ على الطبيعة المنطقية العليا للنشاط السيميائي وسيرورته الذي يستدعي المؤول الضامن لربط الموضوع بالعلامة،... فلا غرو أن يصبح نشاط الدلالات المفتوحة موضوع السيميائيات المركزي في أبحاث السيميائيات البورسية وبقية الدراسات التي استهلكت أفكاره في هذا الشأن "[1].

إنّ هذا التّوجه الفلسفي للعلامة لدى بورس جاء بسبب نزعته الرياضية المنطقية القائمة على الاستدلالات وانسياقه وراء البروتوكول الرياضي القائم على أساس عددي. تربط بين هذه المقولات علاقات استلزامية، إذ تستدعي كل مقولة وجود سابقتها، ماعدا المقولة الأولانية (Primité) التي هي مقولة فانيروسكوبيّة لا ترتبط بأي سابق. بل لها وجود في ذاتها سابق على تجسيدها في موضوعات مستحدثة[2]. فهي نمط من العلامات المجرّدة والمبهمة والمستقلّة في ذاتها عن أيّ شيء آخر، تحيل " للإمكانية الكيفية الإيجابيّة. إنّها مقولة الإحساس"[3]، فتشمل كل نوع من العلامات التي تحيل على سلسلة من الانفعالات والأحاسيس أو النوعيات كالألوان وغيرها فاللون الأزرق مثلا له وجود أولي مسبق دون ارتباطه بسابق، وقبل وجود أي شيء فقد

1 أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي جبر العلامات)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص56 .

2 ينظر: أحمد يوسف الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)، منشورات الإختلاف، ط1، 2005، ص 135.

3 جيرار دولودال بالتعاون مع جويل ريطوري، السيميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2004، ص 33.

كانت نوعية لا وجود لها إلّا في ذاتها منفصلة عن الوقائع التي تمنحها هويّة محدّدة. وما يسري على هذه النوعيات، ينسحب أيضا على الأحاسيس كالفرح والحزن وغيرهما، إذ الأحاسيس هي كما هي، في ذاتها، خارج أيّ تجسّد وأيّ تحديد.

أمّا الثانيانية (Secendeité): وتمثل "عالم الموضوعات التي ترتبط بالوقائع "[1]، إنّها مقولة الفعل الواقع، أي الوجود الفعلي والمتحقّق للأوّلانية. إنّها مرتبة غير مستقلة إذ يرتبط وجودها بالأولانية، فتتحوّل النّوعيات والأحاسيس إلى عالم التجسيد إذ تنتقل من الكينونة اللاّمحدّدة إلى الكينونة المحدّدة في إطار الزمكانيّة[2].

أما الثالثانيّة (Tiercité): وهي مقولة فانيروسكوبيّة "مقولة الفكر والضرورة والقانون الذي يحكم الوقائع، ومن خلال وضعه هذا فإنّه لا يستند إلى حدث ولا إلى نوعيّات، أو أحاسيس كي يوجد، بل يكتفي بالإشارة إلى القانون والضرورة التي بموجبهما يحيل شيئا ما على شيء آخر[3]، فهي الفكر أو القانون الذي يربط المرتبة الأولى (الأولانيّة) بالثانية (الثانيانيّة) وينسج بينهما علاقة، ويسمّي بورس موضوعاتها بالضروريات.

1 C ,S,Peirce,écrits sur signe,Tra :gérard Deledalle, p :52 .

2 ينظر، هامل بن عيسى: إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي (دراسة في نقد النقد)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2012. 2013، ص 225 وما بعدها.

3 سعيد بنكراد، الرمز . المجالات والدلالات . الموقع: www . Saidbengrade.Free.fr

ويمكن وصف الثالثانيّة بأنّها مقولة سيميائيّة بامتياز، مادامت تعرض نفسها كممثّل لثان عبر تمثيل لأوّل. وما دامت هي القانون والضرورة لإنتاج المعرفة وتداولها، ومادامت شرطا لا مناص منه لإنتاج الفكر والدّلالة ... ومن هنا فإنّ الثالثانية هي مقولة التركيب والتوسط والاستمرار. فكل ما هو وسيط بين شيئين ويعمل على الربط بينهما هو ثالث، وعليه فالعادات والقوانين واللغة هي تحديدا ثالث[1].

لقد صاغ بورس هذه المقولات الإدراكية على النحو التالي: أول يحيل على ثالث وفق ثان، فالأول " إمكان فقط، أما الثاني فهو وجود خالص والربط بينهما لا يمكن أن يؤدي إلى إنتاج إدراك أو خلق تواصل دائم، إنّ الإدراك والتواصل ممكنان فقط من خلال إدخال عنصر ثالث يحوّل العلاقة بين الأول والثاني من الطبيعة العرضية واللحظية إلى ما يشدّ هذه العناصر إلى بعضها البعض من خلال قانون لا فكاك منه"[2].

ووفق هذا المنطق الثلاثي ومراتب الوجود حدّد بيرس مفهومه للعلامة وصنّفها بناء على طبيعة العلاقة بينها وبين موضوعاتها، فقد نظر إليها بأنّها "كون مصغّر إذ تشمل الأشياء والأشخاص والمواضيع وروابط التّأويل وأسس التمثيل ووجهات الانتقاء التي تحكم مسارات

1 ينظر: إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي (دراسة في نقد النقد)، ص 228.

2 سعيد بنكراد: السيميائية والتأويل (مدخل إلى سيميائيات شارل ساندرس بورس)، ص 48 .

التواشج بينها"[1]. وعلى هذا الأساس تبدو العلامة عنده أكثر اتساعا وشمولا نتيجة للخلفية الفلسفية التي بنى عليها تصوراته العلامية وربطها بالمقولات الوجودية الثلاثة.

وبفضل اتكائه على أسس استدلالية منطقيّة في استخلاص المعنى والوصول إليه من جهة وبفضل شموليّة تصوّره ونجاعة أدواته في دراسة كل الظواهر الإنسانيّة لاقت توجّهاته العلاماتيّة وبحوثه ومنجزاته السّيميائية صدى واسعا وقبولا كبيرا من لدن المشتغلين في هذا المجال.

يرى بورس أنّ نظرية العلامة هي تساؤل حول المعنى وميكانيزمات اشتغاله، وأشكال تجلّيه وشروط إنتاجه " وبعبارة أخرى إنّها تصور كامل للعالم إنّها تجعل من الإنسان علامة وتجعل منه صانعا للعلامة وتقدّمه بوصفه ضحيّة لها في نفس الآن. فالإنسان المنتج للسلوك الفردي هو الذي يحوّل هذا السلوك إلى قاعدة جماعية، أي يجعل منه عادة تشتغل كنموذج يحكم السلوك الفردي. وهذه العادة هي ما يستمر في الحياة بعد موت العلامة، إنّها ولادة جديدة "[2].

1 محمد عدلان بن جيلالي، سيميائية الخطاب الفيلمي (مقاربة سيميو شعرية)، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، قسم الفنون الدرامية، 2010/2009، ص 216.

2 سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل (مدخل إلى سيميائيات شارل س بورس)، ص 28.

1 ـ مفهوم العلامة عند بورس:

يعرف بورس العلامة بأنّها "شيء ما يحل محلّ شيء ما بالنسبة لشخص ما من زاوية ما"[1]. أو هي " شيء ما يعوّض ـ بالنسبة لشخص معيّن ـ شيئا آخر وفق علاقة أو صفة ما "[2]. وبهذا فالعلامة عند بورس تقوم على ركائز ثلاث تشكّل مجتمعة ما يسمى بالسيميوزيس أي "النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها" [3] وهي: الماثول، الموضوع والمؤوّل.

عناصر العلامة البورسيّة: تتكوّن العلامة في نظر بورس من ثلاثة عناصر أساسية هي:

أ ـ الممثّل représentamen: وهو عماد العلامة، وهو يقابل الدال عند سوسير، حيث يقوم بوظيفته، إنّه تمثيل الشيء وتعيينه أو "هو الحامل المادي للعلامة، ولا وجود له إلاّ من خلال تحقّقه داخل موضوع بواسطة مؤول . كما أنّه لا يكون لفظيّا بالضرورة"[4].

ب ـ الموضوع objet: وهو الشّيء الّذي تمثّله العلامة بغض النّظر عن كونها علامة واقعيّة أو قابلة للتّخييل أو خرافيّة، يقول بورس: " إنّ موضوع العلامة هو المعرفة التي تفترضها العلامة، لكي تأتي بمعلومات إضافية، تخص هذا الموضوع"[5]. ويميّز بورس بين نوعين من الموضوع: المباشر

---

1 جيرار دولودال بالتعاون مع جويل ريطوري، السيميائيات أو نظرية العلامات، ص 95 ـ 96.

2 Gerard deledalle : Théorie et pratique du signe –introduction à la sémiotique de C .S Peirse,Ed : 100,Payot, paris,1979,p

3 سعيد بنكراد :السّيميائيّات– مفاهيمها وتطبيقاتها- ، ص 61 .

4 محمد التهامي العمار: حقول سيميائية –السيميائيات الاجتماعية، سيميائيات المسرح، سيميائيات التلقي–، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، (المغرب)، ص7.

5 جيرال دولودال: بورس أو سوسير، تر: عبد الرحمن بوعلي، مجلة العربي والفكر العالمي، ع 3، مركز الانتماء القومي، بيروت، 1988، ص 115.

(Immédiate) وهو الذي يتواجد داخل العلامة وهو جزء منها، وغير المباشر أو الدينامي (Médiate) وهو الذي يوجد خارج العلامة وإنّما تشير إليه تلميحا فقط.

ج ـ المؤوَّل interprétant: وهو العنصر الذي يتوسط بين الماثول والموضوع، بحيث يجعل الانتقال من الممثل إلى الموضوع أمرا ممكنا فيسهل تأويل العلامة. وهو عبارة عن جملة من الدّلالات المنتجة من خلال سيرورة سيميائية. وهو ما يقابل المدلول في تصور سوسير.

وانطلاقا من هذا التصور للعلامة فإنّها تشكّل نموذجا حقيقيا للعالم، كونها تتضمّن كلّ الكائنات الممكنة التي تتصوّر تحت المقولات الثلاث، فالعلامة من حيث أنّها وسيلة ـ من المقولة الأولى ـ تعدّ جزءا من العالم المادي، ومن حيث كونها موضوعا ـ من المقولة الثانية ـ تعدّ جزءا من عالم الأشياء والأحداث ومن حيث كونها تعبيرا مؤوّلا ـ من المقولة الثالثة ـ تنتمي إلى مجال القواعد والأشكال الذهنية[1]. ويتأسّس بنيان العلامة البورسية على فكرة الامتداد التي تجعل من الكون وحدة لا تتجزّأ، على عكس "سوسير "الذي يصرّ على استبعاد المرجع من مكوّنات العلامة كونه معطى غير لساني[2].

أصناف العلامة البورسية باعتبار علاقتها بموضوعها: كلّ علامة هي كيان ثلاثيّ العلاقة ولها ممثّل وموضوع ومؤوّل. صنّف بورس وفق المنطق الثلاثي ومراتب الوجود الثلاثة العلامة إلى

1 عادل الفاخوري: تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة النشر، بيروت (لبنان)، 1990، ص 53. 54.

2 ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 61.

ثلاثة أصناف بحسب علاقتها بموضوعاتها، وبهذا التصنيف يروم بورس الوصول إلى نظرية طبيعية تشمل جل العلامات الموجودة في الواقع، حيث ميّز بين ثلاثة أنواع من العلامات: الرمز بالمعنى العام، العلامة المشهديّة أو الأيقونة، الدليل أو القرينة، كما أنّه يعرّف كلاّ منها استنادا إلى مفهوم المفسّر، أي الأثر الذي تحدثه في السامع" فالأيقونة تنتمي إلى الأوّلانية والقرينة إلى الثّانياتية والرّمز إلى الثّالثاتية، كما أن تصنيف العلامة يخضع إلى علاقتها بالعالمين الخارجي والداخلي، وانتمائها إلى واحد منهما، فإذا انتمت إلى العالم الداخلي كانت رمزًا حاملا للدلالة، فتغدو ذات طبيعة نسقية محايثة، لكنها في نفس الوقت مفتوحة، وإذا انتمت إلى العالم الخارجي كانت علامة حاملة للمعنى"[1].

لقد كان هدفه من تصنيفه للعلامات توضيح الطرائق المنطقيّة للتفكير العلمي استبعادا للتفكير الميتافيزيقي، وهي صيغ للقبض على الدّلالة، فقسّم العلامة على النّحو الآتي :

أ . **الرمز** Symbole: هو المعادل الحقيقي للعلامة عند سوسير، ويرى بورس أنّ علاقة الرّمز بمدلوله هي علاقة اعتباطية عرفيّة فقط[2]، أي قائمة على أساس العرف والاتفاق الاجتماعي المتواضع عليه من طرف أفراد مجتمع ما. بمعنى أنّ العلاقة بين العلامة وموضوعها علاقة عشوائيّة اعتباطيّة.

1 ينظر: السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص 58 -62.

2 سعد البازعي، ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000، ص 109.

والرمز عند بورس علامة تحيل إلى الشّيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالبا ما يقدّمه على التداعي بين أفكار عامة، ويتحدد ترجمة الرمز بالرجوع إلى هذا الشيء[1]، من الأمثلة الشائعة في هذه الحالة أنّ الحمامة رمز السلام.

ب . الأيقونة Icone: ويسميها أحمد يوسف بالمشابهات إذ العلاقة التي تربط فيها بين العلامة وموضوعها هي علاقة مشابهة[2] وتطابق، فهي تشبه الموضوع الذي تمثله. والأيقونة هي "علامة تحيل إلى موضوعها نتيجة اشتراكهما في بعض الخصائص والملامح، وسواء أكان الشيء نوعية أم كائنا أم عرفا، فإنه يكون أيقونا لتشبيهه عندما يستخدم علامة له"[3]. ويميّز بنكراد بين أنواع الأيقونات التي عدّها بورس كما يلي:

. الأيقون / الصورة: تقوم العلاقة الأيقونية هنا على وجود تشابه بين الماثول وموضوعه، كالصّورة الفوتوغرافية .

. **الأيقون / الرسم البياني:** تقوم العلاقة الأيقونية هنا على وجود تناظر بين العلاقات التي تنتظم عناصر الموضوع وعناصر الماثول كالبيانات المستعملة في الإحصاءات.

1 قدور عبد الله الثاني :سيميائية الصورة، مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران/الجزائر، د.ط.، د.ت، ص 86 .

2 ينظر: أحمد يوسف الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)، ص 138.

3 التهامي العماري: حقول سيميائية، ص 09، جيرار دولودال بالتعاون مع جوويل ريطوري: السيميائيات أو نظرية العلامات، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، ص 27.

. **الأيقون/الاستعارة:** تشير العلاقة هنا إلى الطابع التّناظري القائم بين الماثول والموضوع من خلال الاحالة على عناصر مشتركة بين الأول والثاني كالصّورة شجرة صغيرة وما تعنيه من دلالات[1].

ج . **القرينة أو المؤشر** (Index): حيث العلاقة التي تحكم بين العلامة وموضوعها هنا هي علاقة عقليّة[2] سببيّة، فالدخان يدل على وجود نار؛ رغم انعدام وجود تشابه بين النار والدخان. وممّا يحشره بورس ضمن المؤشر هو علامات المرض الظاهرة، والآثار، وأسماء الإشارة، والضمائر وغيرها.

2 ـ السيميائيات من المحايثة إلى الانفتاح (السيميائيات التّأويلية):

يميّز الدّارسون بين نوعين من السيميائيات، سيميائيات بنيوية/لسانية أو محايثة، نسبة إلى منظّرها دوسوسير. و"تعالج السّيميائية المحض بنيوية سيرورة إنتاج النص أو تفسير المتلقّين له، وهي لا تتوقف أمام ما يعرِض من ممارسات خاصة وأطر مؤسساتية وسياق ثقافي ومجتمعي واقتصادي وسياسي "[3]، ومن هذا القول نستخلص أنّ هذا النوع من السّيميائيات أقرب إلى النّسق المغلق، في حين أنّ النوع الثاني من السّيميائيات هو السيميائيات الاجتماعية/ التّأويلية

1 سعيد بنكراد: السّيميائيّات والتأويل (مدخل إلى سيميائيات ش س بورس)، ص117 .

2 ينظر: الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)، ص 138.

3 دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر :طلال وهبة، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2008 ، ص362 .

والتي ركزت على دور العلامات داخل الحياة الاجتماعية وهي التي دعا إليها بورس فقد تبنّت النسق المفتوح والدّلالات اللاّنهائية.

تنأى السيميائيات التّأويلية في مقارباتها عن التفسير العلمي الداخلي للنصوص والخطابات، إلى الفهم والتّأويل الخارجيّين، لتصبح بذلك مقاربة علميّة موضوعيّة تبحث عن المعنى وآثار الدّلالة. إنّها تتعدّى دلالة الشكل لتبحث في الإحالة والمرجع، والانفتاح على الخارج، بمعنى أنّها تستعمل التّأويل الهيرمينوطيقي للوصول مباشرة إلى باطن النص وتربطه بالذّات، والإنسان، والتاريخ، والمقصدية، والمرجع الإحالي[1]. كما تقوم بتأويل الدّلالات الحرفيّة الظاهريّة المباشرة بدلالات رمزيّة مجازيّة أو إيحائيّة. ويتأسّس هذا النوع من السيميائيات على جملة من المبادئ والمرتكزات النظرية أبرزها:

- **الاعتناء بالذّات المؤلّفة والاعتراف بها** بعدما ضيّقت من حريّتها المناهج البنيوية بسبب هيمنة فكرة التناص على النقد اللساني. وتأويل النص يعني الاعتراف بفرديته التي طغت عليها فكرة التناص في بعض المذاهب[2].

- **الانفتاح** من خلال الاهتمام بالمرجع (المؤول) وعدم إقصائه. وبالتالي تجاوز النّظرة الثنائيّة السوسيريّة المغلقة التي تأسّست عليها اللّسانيات البنيوية. فكل قضيّة في السيميائيات

1 ينظر، سعيد بنكراد، السيميائيات والتّأويل (مدخل إلى سيميائيات ش س بورس)، ص 129.

2 ينظر، مصطفى ناصف :نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 2000، ص 201.

هي "علامة تحيل إلى موضوعها دون عزله عن الواقع، إنّها تتفاعل معه وذلك يجعل صدقها مرتهنا بصدق تأويلها"[1] .

– **تعدّد المعاني** تنظر السّيميائيات التّأويلية إلى النصوص على أنّها ليست نصوصا مغلقة، إنّما هي عوالم ممكنة ومنفتحة، تحمل بداخلها معان ودلالات متنوعة، تتأسّس من طبيعة اللغة الرمزية والاستعارية، والتي تتطلّب قارئا خاصّا[2].

– **التّأويل والتّفسير** تعتمد السيميائيات التّأويلية في مقاربتها للنصوص والخطابات على التفسير الموضوعي من جهة . وهو أحد أسس البنيوية اللسانية . وعلى التّأويل والفهم الفينومينولوجيان. من جهة أخرى. بمعنى أنّ التّأويل يتجاوز التّفسير، وأنّ التّأويل يعنى بما وراء شرح النصوص، وتفكيك الأقنعة في ضوء المقصدية وفهم الذات والغير والعالم. فنظرية التّأويل من حيث هي دراسة في فهم أعمال الإنسان تجاوز الأشكال اللّغوية للتفسير[3].

الاهتمام بالخطاب: ويعني هذا أنّ السّيميوطيقا الهيرمينوطيقية تهتم بالنص باعتباره خطابا كليّا وعضويّا؛ بمعنى أنّها لا تتعامل مع المقاطع أو المتواليات الصغرى، كما تفعل البنيوية

1 ابن يخلف نفيسة، السيميائيات التداولية، قراءة في سيميائيات ش س بورس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعيّة،2008 /2009، ص89.

2 أحمد أمين بوضياف، المنظومة المعرفية والنقدية للدرس السيميائي المغاربي وآليات تحديثها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف . المسيلة . الجزائر، 2016/ 2017، ص132.

3 نظرية التأويل، ص21 -22.

السّردية، بل تعتبر النص عملا كليّا، أو تتعامل مع العمل ككليّة رمزيّة دالة. وهنا، نعتمد على تحليل الخطاب من حيث هو عمل بأكثر ممّا نعتمد على تحليله من حيث هو نص مكتوب[1].

3 ـ العلامة والتّأويل عند بورس:

ينبني تحديد المقولات الأساسيّة للوجود على فكرة فحواها أنّ: "صوغ القضايا أو تعيين كيفيات الأشياء ليس بقراءات مرتجلة، بل يتعلق بالانكباب على ممارسة نشاط فكريّ مفتوح يتمثّل في التّأويل، على هذا الأساس يتبيّن أنّ العلامة لدى بورس لا تحيل مباشرة إلى موضوعها، بل تمثّله بواسطة علامة أخرى مؤولة"[2]. وبهذا تدور نظرية بورس حول العلامة في فلك العلاقة بين عناصرها الثلاثة حيث ذكر أنّ " الإحالة إلى الموضوع لا تتم إلا بوساطة تمثيل هو المؤول الذي يقوم على وجه مجرد مقتطع من الموضوع هو الأساس"[3]، بمعنى أنّ علاقة العلامات تكتفي بذاتها لرصد المعنى. وهو ما ينتج عنه ما يسمى بالسّيرورة السّيميائية وهي العلاقة الجامعة لعناصر العلامة الثّلاث، بحيث لا يمكن أن تحيل العلامة إلى موضوعها إلّا في حال وجود مؤوّل يؤوّلها.

وكما سبقت إليه الإشارة فإنّ بورس لم يهتمّ بالعلامة ذاتها، بل اهتم بنشاط هذه العلامة، بحيث انشغل بإنتاج كل أشكال العلامات وتأويلها، ما يدلّ على أنّ سيميائياته " تختصّ في

1 جميل الحمداوي، الاتجاهات السيميوطيفية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة العربية)، دار الألوكة، ط1، 2015، ص 259.

2 السيميائيات التداولية، قراءة في سيميائيات ش س بورس، ص 101.

C . S. Peirce, Ecrits sur le Signe, éd. Seuil, Paris, 1978 p.228.3

وصف صيغ توظيف العلامات، وتفسير نشاطاتها الدّلالية المفتوحة التي وسمها بورس بالسيّميوزيس أو الدلالات المفتوحة "[1].

4 ـ السّيميوزيس:

هو مفهوم رئيسيّ في الدّراسات السيميائية، وعليه يرتكز المعنى في نظر السيميائيين. ويعدّ بورس أول من تحدّث عن هذا المفهوم وحدّد معالمه. وهو مصطلح نسخه حرفيّا عن اليونانية (Semiosis) والّذي يعني فعل التّدليل، ويرجع الفضل في رواج هذا المصطلح إلى جيرار دولودال (G. De Ledalle) الّذي قام بجمع وترجمة أعمال بورس إلى اللّغة الفرنسيّة سنة 1978 تحت عنوان (Ecrit sur le signe)، حيث عرّفه بأنّه: حركة أو سيرورة تفترض تشارُك ثلاثة عناصر هي: العلامة الممثل، والعلامة الموضوع، والعلامة المؤول.

والعلامة في فكر بيرس هي " أول يرتبط مع ثان هو موضوعه وفق علاقة ثلاثية أصلية تحدّد عنصرا ثالثا هو المؤول"[2]، علاقة ثلاثيّة تعكس" تفاعل ثلاثة عناصر في سيرورة مفتوحة تتيح توالد المعنى وتناسله، وقد وسمها بورس ب**"الدّلالات المفتوحة"**، وهي سيرورة تقتضي تفاعل الممثل وموضوعه ومؤوله، وهذا التّفاعل لا يمكن أن يختزل البتّة إلى علاقات زوجيّة.

1 السيميائيات التداولية، قراءة في سيميائيات ش س بورس، ص 215 .

2 C S Peirce, Ecrits sur le signe, p274.

وتدل حركة الدّلالات المفتوحة على أنّ " التفكير ليس إلّا استعمالا للعلامات، وهذا ما سيؤكد أنّنا نتحدّث عن علامات من خلال علامات، ونفكر في علامات بوساطة علامات أخرى، وقد يكون من الأنسب لو أنّنا عبّرنا على هذا التصوّر بطريقة مغايرة لنقول أنّنا نمثل الفرصة التي تتاح للعلامات لكي تواصل مساراتها"[1]، ذلك لأنّ العلامة " تكتسب تعريفات أثناء الانتقال من مؤول إلى آخر"[2].

يعدّ بورس من المفكّرين الذين بذلوا جهودا كبيرة في تطوير الدّرس اللّساني بالاعتماد على الطروحات الفلسفيّة لا سيما عند (أوجست كونت) و(هيجل). أمّا استحداثه لمفهوم السّيميوزيس فقد جاء بفعل تأثّره بفلسفة (جون لوك). وعرّفه بأنّه: " تلك السّيرورة التي يشتغل بموجبها شيء ما باعتباره علامة"[3].

وعلى هذا الأساس فالسّيميوزيس " يكشف عن الكيفية التي تتحوّل بها الأشياء إلى علامات، وكذلك عن طبيعة الإحالات بين العالم الخارجي والخطابات، وكيفية تشكيل هذه

1 السيميائيات التداولية، قراءة في سيميائيات ش س بورس، ص 106.

2 قوتال فضيلة، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها ـ دراسة نقدية في نظرية غريماس السردية. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في السيميائيات وتحليل الخطاب، مخطوط بجامعة وهران ،2003/ 2004، ص 55.

3 نقلا عن: هواري بلقندوز، مدخل إلى السيميائيات التداولية (إسهامات بيرس وشارل موريس)، الملتقى الثالث: السيمياء والنص الأدبي، 19/ 20 أفريل 2004. كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية ـ جامعة محمد خيضر، بسكرة ـ الجزائر.

العوالم داخل الخطاب من جديد"[1]، إنّه عملية تشكيل العلامة داخل الخطابات على اختلاف أنواعها.

. الدلالات المفتوحة وصناعة المعنى: يرتبط المعنى بوجود العلامات ارتباطا وثيقا، فالعلامة سبيل لإنتاج الدّلالات وتداولها، وكذا استهلاكها ومن هذه الزّاوية يجب التّعامل مع العلامة في ارتباطها بالممارسة الإنسانيّة. إنّ فعل إنتاج الدّلالة ليس معطى جاهزا يوجد في الأشياء خارج الفعل الإنساني، وإنما تقتضي كل ظاهرة في سبيل خوضها غمار توليد المعنى وجود مسار تدليلي يقود بعضه إلى بعض ضمن سلسلة من الإحالات داخل هيكل العلامة ذاتها.

ينصبّ اهتمام السّيميائيات حول فهم أسرار الدّلالات، وهذا ما يجعلها حقلا خصبا لاستثمار مناهجها وإجراءاتها في فهم أيّ نصّ مهما كان نوعه. والسيميائيات لا تقارب موضوعا واحدا فهي تهتمّ بكل ما ينتمي إلى التّجربة الإنسانية شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءا من سيرورة الدّلالة، وعليه فإنّ كل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكّل موضوعا للسّميائيات.

إن الحديث عن المعنى عند بورس هو الحديث عن منطق اشتغال العلامة، إنّه نتاج المبادلات الحاصلة بين مكونات العلامة الثلاثة (ماثول، موضوع، مؤول) وهذه المبادلات هي التي يسمّيها بورس سيرورة المعنى أو السيميوزيس. ويشتغل السيميوزيس عند بورس وفق نظام

1 عبد الفتاح أحمد يوسف، العلامات والأشياء (كيف نعيد اكتشاف العالم في الخطاب؟)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، لبنان، ط1، 2016، ص 156.

محدّد فكلّ ركن من أركان العلامة إلاّ ويحيل على طرف آخر وكل معنى ينتج عن هذا التّفاعل الحاصل يحيل على معنى آخر في سيرورة مثاليّة حيث يصبح كلّ معنى يوصل إليه هو علامة في حدّ ذاته.

5 ـ التّأويل وانفتاح السّيميوزيس:

ترتكز سيميائيات بورس على مبدأ الحركيّة في التّأويل الّذي يعكسه مفهوم الدّلالات المفتوحة، ففي"سيرورة الدّلالات تلك يتجلّى عنصر أساسي يؤدّي دور المحرّك أو بمعنى آخر يكون بمثابة تخصيب للعمليّة الدّلاليّة، لأنّ المؤول يتيح انتقال العلامات من سيرورة إلى أخرى وهذا يعني أنّ الحديث عن بناء نصّي في غياب سيرورة الدّلالات المفتوحة يبقى أمرا مستحيلا "[1].

السّيرورة الدلالية إذا هي عملية يتمّ من خلالها انصهار الأبعاد الثلاثية للعلامة، واشتغالها على أنّها وحدة متكاملة تحيل على مجموعة من الدّلالات ترتبط بغيرها من العلامات ضمن نسيج النص، وهي بارتباطها هذا تحيل إلى فيض كبير من الدّلالات أيضا، وهي بتوالدها وتناميها تشكل المعنى.

إنّها سيرورة ثلاثيّة تقوم بتشغيل وتحريك ثلاثة عناصر: ما يعمل بوصفه علامة، وما تحيل عليه هذه العلامة، ثم الأثر الناتج عنها، أي بين ماثول (أول)، موضوع (ثاني)، ومؤول (ثالث).

1 السيميائيات التداولية، قراءة في سيميائيات ش س بورس، ص 125.

هذه العناصر هي التي تشكل أساس العلامة، فإذا فُقد أحد هذه الأجزاء تدمّر العلامة ولم تعد تملك القدرة على التّمثيل ونقل المعنى، وبتدميرها تنتهي السّيرورة الدّلالية.

إنّ العلاقة بين هذه العناصر الثّلاثة تجعل السّيرورة الدّلالية منفتحة على احتمالات تأويلية، هذا الانفتاح هو المعادل الحقيقي للسّيميوزيس، وهذا ما يجعل من السّيميوزيس بؤرة التّوالد الدّلالي اللاّمتناهي. غير أنه إن كانت سيرورة السّيميوزيس سيرورة تأويليّة لا متناهية فعلينا أن نفهم بأنّ عملية التّأويل هذه ليست حرة بل هي حرية مشروطة، فالانتقال من عنصر إلى آخر داخل السّيميوزيس يعطيها بعدا توليديا في إنتاج سلسلة لا متناهية من العلامات، فكل علامة تؤول أخرى ومن شأن أي فعل تأويليّ أن يتحوّل بدوره إلى علامة ويولّد سيرورة سيميائية جديدة، وهو ما يجعلنا أمام مفهومي التّوليد والتّأويل في سيميائيات بورس.

بالإمكان اعتبار حركة السّيميوزيس لدى بورس نظريّة في التأويل، بحيث تقوم العلامة على ثلاثية تشِّكل في تضافرِ عناصرها سلسلة من الدّلالات اللاّمتناهية، وتفترض أنّ سلسلة الإحالات لا يمكن أن تتوقّف نظريّا عند نقطة محدّدة، إذ يحيل الماثول على موضوع آخر عبر مؤول جديد، وهكذا إلى ما لا نهاية من الإحالات المتولدة عن عمليّة التمثيل التي تقوم بها العلامة، فكل إحالة تستدعي إحالة إضافية، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية.

إنّ سلسلة الإحالات التي لا تنتهي عند حدّ بعينه هي هروب من المعنى، والهروب من المعنى كاللهاث وراءه، وعليه فلا أمل في الخروج من دائرة المعنى، ولا أمل في الوصول إلى معنى

كليّ ونهائيّ[1]. وهكذا تقوم نظرية بورس على مفهوم التّأويل، كما أنّ انفتاح السّيميوزيس على مالا نهاية من العلامات لا يقوم على العشوائيّة والغموض، بل هناك شروطا وحدودا توقف سيرورتها.

أفرز هذا المنوال الإجرائيّ تصورا للعلامة لا ينظر إليها من حيث ثبوتها وسكونها وإنمّا في حركية عناصرها وعلاقاتها المولِّدة للدّلالة باستمرار، حتى ترسَّخ في ذهن الفكر السّيميائي أنّ موضوع سيميائيات بورس ليس هو العلامة في ذاتها وإنما اشتغالها وحركيّتها.

1 ينظر: إمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2000، ص18.

المبحث الثّالث: تصوّر الاتجاهات السيميولوجيّة للعلامة.

1 . العلامة في سيمياء التّواصل:

يمثّل هذا التيّار بعض المناطقة واللسانيّين، منهم مونان "Georges Mounin" وبرييطو "Prieto Luis Georges"وغيرهما.

وينظر روّاد هذا التوجّه إلى العلامة بأنّها وسيط تواصليّ له مقصديّة إبلاغية، وهذا يوضّح لنا أنّ العلامة تتكون من ثلاثة عناصر: الدال والدليل والقصد أو الوظيفة.

ولا يهمّ هؤلاء اللغويّين والمناطقة من الدّوال والعلامات السّيميائية غيرُ الإبلاغ والوظيفة الاتصاليّة أو التواصليّة[1]. وبهذا التوجّه يكون هؤلاء قد حصروا السّيميائيات في دراسة العلامات ذات الوظيفة التواصليّة فحسب أيّا كان نوع هذه العلامات لسانية أو غير لسانية. وهو ما جعل نظرتهم هذه محطّ انتقاد من لدن دارسين آخرين.

وعلى هذا الأساس فإنّ محور سيمياء التواصل هو العلامة والتواصل سواء كان لسانيّا أي يتمّ عبر الفعل الكلامي أو غير لسانيّ يعتمد على أنساق دلالية غير لغوية. وفيما يخصّ العلامة باعتبارها المحور الأساسي في هذا الاتجاه فيقسّمها هؤلاء إلى أربعة أصناف هي: الإشارة، المؤشّر، الأيقون والرمز.

1 ينظر: لخضر العرابي، المدارس النقدية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، الجزائر، (د.ط.)، 2007، ص 155.

2 . العلامة في سيميولوجيا الدّلالة:

وهو تيّار ينقسم بدوره إلى عدّة اتجاهات أبرزها الذي يتزعّمه " رولان بارث Roland Barthes" الذي حاول تطبيق اللّغة على الأنساق غير اللّفظية ورأى أنّ دائرة البحث السّيميولوجي تحتوي كل الأنظمة الدالّة. فجميع الأنساق والوقائع تدلّ، فمنها ما يدلّ بواسطة اللّغة ومنها ما يدلّ بدون اللّغة السّننيّة وهذه الأخيرة لديها طبعا لغة دلالية وخاصة.

وبناء على تصوّرات هؤلاء فإنّ كلّ الوقائع تدلّ، وعليه، فلا ضير من تطبيق المقاييس اللّسانية على الوقائع غير اللّفظية. وقد انتقد بارث في كتابه (عناصر السيميولوجيا) الأطروحة السّوسيرية التي تدعو إلى إدماج اللّسانيات في السّيميولوجيا وإنّما السّيميولوجيا هي التي تشكّل فرعا من اللسانيات[1].

لقد تجاوز بارث التصوّر الذي ربط بين العلامات والقصديّة، وأكّد وجود أنساق غير لفظيّة حيث التواصل غير إرادي ولكن البعد الدّلالي موجود بدرجة كبيرة. وتعتبر اللّغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللفظية دالّة[2].

تتّخذ سيمياء الدّلالة من أفكار سوسير مرجعا أساسيّا لها، فرولان بارث ينظر إلى العلامة بأنّها كلّ يحرّكه محوران هما الدال والمدلول. وعليه فمهما كانت الأشياء حاملة للدّلالة فهي لن

1 ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر. مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي ع، المغرب، ط2، 1996، ص 96.
2 ينظر: مبارك حنون، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، المغرب، د.ط.، 1987، ص74.

تكون علامات سيميولوجيّة أو علامات دالّة، إلّا بتدخّل اللغة وامتزاجها بها. يهتم هذا التوجه بكلّ المواضيع والوقائع التي تحمل الدّلالة، وبالتّالي فالعلامة من منظوره تنقسم إلى ما هو لساني وما هو غير ذلك.

3 . العلامة في سيمياء الثقافة:

ظهر هذا الاتجاه في ظلّ أبحاث الشكلانيّين الروس، ومع ظهور مدرسة تارتو " Tartu"، التي تعدّ من أبرز المدارس السيميولوجيّة في روسيا. وينطلق من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصليّة[1]، أو أنساقا دلاليّة أي علامات. على اعتبار أنّ كل النشاطات لتي يقوم بها الإنسان هي سلوكات مشبعة بالمعنى. وبناء على هذا التصور فإنّ السيميولوجيا هي علم يعنى بدراسة الظواهر الثقافيّة، بوصفها علامات وعمليّات تواصليّة. والعلامة من هذا المنظور هي كيان ثلاثيّ المبنى يتكوّن من: الدال والمدلول والمرجع.

ويؤكّد أمبرتو إيكو أنّ كلّ سلوك مبرمج أو نسق تواصلي يؤدّي وظيفة ما هو بمثابة نظام للعلامات، ولا يمكن فهم الثقافة فهما حقيقيا، إلّا بفهم مظهرها التواصلي الذي يتجلّى عبر العلامات، أي أنّ قوانين التواصل هي ذاتها قوانين الثقافة[2]. وعليه فإنّ العلامة هي ظاهرة ثقافيّة، تؤدّي وظيفة إبلاغية تواصليّة.

1 ينظر: مبارك حنون، دروس في السيميائيات، ص 85 . 86.

2 ينظر: لخضر العرابي، المدارس النقدية المعاصرة، ص 174 . 176.

مثّلت طروحات إيكو جوهر المشروع السيميوطيقي للثقافة، وحدّده في الوظيفة التي تلعبها العلامة داخل المجتمع. فالعلامة توظّف من أجل نقل معلومات، ومن أجل قول شيء ما، أو الإشارة إلى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أن يشاطره الآخر المعرفة، إنّها بذلك جزء من سيرورة تواصليّة من نوع: مصدر باث، قناة ـ إرساليّة، مرسل إليه[1].

إنّ الثقافة بناء على هذا التصور" في كليتها يُنظر إليها باعتبارها نسق أنساق العلامات حيث يصبح داخلها مدلول دالّ ما دالّا لمدلول جديد، كيفما كانت طبيعة النسق" كلام، موضوعات، سلع، أفكار. قيم، أحاسيس، إيماءات أو سلوكات". والسيميائيات استنادا إلى هذا، هي الشكل العلمي الذي تتّخذه الأنثروبولوجيا[2]. وثقافة مجتمع ما " هي كل ما ينبغي أن يعرفه أو يؤمن به الفرد حتّى يستطيع التعامل في مجتمعه بأسلوب يقبله الأفراد الآخرون"[3]. ومن هذا المنطلق فإنّ المجتمع يمثّل الحاضنة الحقيقية لكل ممارسة ثقافية.

ويضمّ هذا الاتّجاه (سيمياء الثقافة) عدّة مدارس من بينها إلى جانب مدرسة تارتو، مدرسة السيميوطيقا المادية التي تمثّلها الباحثة جوليا كريستيفا، والتي تستند في بحوثها إلى التوفيق بين اللّسانيات والتّحليل الماركسي، قصد إيجاد التجاور بين الداخل والخارج. ويعني هذا أنها أعطت أهمية كبرى للعلامة في علاقتها بالمرجع المادي. وكذلك مدرسة سيميولوجيا الأشكال الرّمزية، التي

1 ينظر: إيكو أمبرتو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ص47.
2 المرجع نفسه، ص 117.
3 نفسه، ص 131.

يتزعّمها مولينو الذي يرى بأنّ دراسة الأنظمة الرمزيّة قد محلّ أنظمة العلامات، بغية التوفيق بين نظريّة العلامات البيرسيّة المتّسعة، وبين رأي كاسيرر الذي يرى أنّ الرمز شكل أساسيّ في التعبير. وأيّا يكن هذا التعدّد الكميّ والنوعيّ للمدارس السيميائية، فإنّ الدّارسين يردّونها إلى قطبين رئيسيين هما سيميائيات الدّلالة وسيميائيات التواصل.

إنّ السيميائيات لم تصبح علما قائما بذاته إلّا بفضل جهود بورس، الّذي اعتبر بأنّها علم الإشارات الّذي ينظّم جميع العلوم الإنسانية والطبيعية. كما أنّ العلامة عنده متعدّدة الأوجه بينما عند سوسير فهي ذات وجهين: دال ومدلول فحسب. وعلى الرّغم من تباين مفهوم العلامة من مدرسة سيميائية إلى أخرى إلّا أنّ مرتكزات التعريف كانت بناء على ما أسّسه كلّ من دوسوسير وبورس. يركّز بورس على الوظيفة المنطقية للإشارة، بينما يركز دوسوسير على الوظيفة الاجتماعية لها. والمصطلحان اليوم سيميولوجيا sémiologie وسيميوطيقا sémiotique يغطّيان نظاما واحدا متكاملا. يستعمل الأوربيون المصطلح الأول بينما يستخدم الثاني كافة الناطقين باللغة الإنجليزية.

الفصـــل الثاني

تمثّلات العلامة في أعمال أحمد يوسف

المبحث الأوّل: تمثّلات العلامة عند أحمد يوسف تنظيرا

المبحث الثاني: التمثّل الإجرائي للعلامة عند أحمد يوسف

تمهيـــــــــد:

ساهمت جهود النقاد الجزائريّين في تأسيس وعيّ نقديّ جديد لفت الانتباه إلى أهميّة المناهج الحداثيّة في استنطاق النصوص الابداعيّة وقراءتها وتحليلها، ناهيك عن دورها في تحريك دواليب المشهد النّقدي الجزائري بعد سنوات من الرّكود.

فعلى الرغم من امتلاكها ترسانة مصطلحيّة غاية في التعقيد والصّعوبة إلّا أنّ النظريّة السّيميائيّة كانت أكثر المناهج النقديّة حضورا في النقد الجزائري المعاصر وأكثرها استمالة لأنظار النقّاد الجزائريّين وذلك راجع إلى أنّ:

. أغلب من تبنّوا المقاربة السّيميائية هم ممّن تلقّى دراسته في فرنسا على يد أعلامها من أمثال رولان بارث وغريماس وغيرهما (سعيد بنكراد وعبد المجيد نوسي مثالا).

. قدرة المنهج السّيميائي على الارتقاء بمنزلة الخطابات بمختلف مستوياتها (اللغويّة وغير اللغويّة)، فإذا كانت" البنيويّة قد تعلّقت بوهم النّسق المغلق والتّحليل المحايث فإنّ المقاربات السّيميائية استطاعت أن تتجاوز هذه الحدود الضيّقة لترتقي بها إلى منزلة انبثق منها خطاب واصف métadiscours تمثّلت وظيفته في البحث عن الأنساق السّيميائية الدالّة بمستوياتها

اللّسانيّة وغير اللّسانيّة، وهذه الأنساق لم تفصلها السّيميائيات عن إطارها الاجتماعي العام والملابسات التي أحاطت بنشأتها، وذلك ممّا تنبّأ به دوسوسير في محاضراته حول اللسانيّات"[1].

. الرّغبة في الجنوح إلى العلميّة والصرامة والموضوعيّة والابتعاد عن الأحكام الانطباعيّة التأثّريّة غير المؤسّسة علميّا ومنهجيّا. فالسيميائيات منهج نقديّ ساهم بشكل كبير في تجديد الوعيّ النّقدي من خلال إعادة النظر في طريقة التّعاطي مع قضايا المعنى.

. اطمئنان النقّاد العرب واستئناسهم بالمنهج السّيميائي نظرا لوجود ملامح له في التّراث النقدي العربي القديم* شغل النقد العربي بال ناقدنا . أحمد يوسف . فعزم على إقامة علاقة للتواصل مع الآخر (الغرب) من خلال التّأسيس لمشروع نقدي عربيّ سيميائيّ خالص. انتهج فيه سبيلا مغاير تمثّل في الحفر في الأسس المعرفيّة والفكريّة والأصول الفلسفيّة التي يرتكز عليها الخطاب النّقدي السّيميائي.

وقد توزّعت الجهود العلميّة للباحث بين إخراجه لعدد من المؤلفات التي تتبّع من خلالها أصول السيميائيات، وإصداره لمجلّة متخصّصة في السيميائيات، صدر عددها الأول في خريف

1 أحمد يوسف، القراءة النسقيّة ومقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002، ص 22-23.

* قدّم الدكتور قادة عقاق دراسة مهمّة جدّا في موضوع السّيميائية والعلامة وعلاقتها بالتراث العربي القديم في كتابه الموسوم : في السيميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، عن مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2004.

2007، وتأسيسه لمختبر السَيميائيات وتحليل الخطاب بجامعة وهران، وكذا إشرافه على تأطير ثلّة من الطّلبة في طور الماجستير والدّكتوراه.

الرّؤية المنهجيّة لدى أحمد يوسف:

إنّ وعي أحمد يوسف بقضيّة المنهج كان حاجة ملحّة وضرورة استدعتها الظروف التي أحاطت بدخول هذا المنهج النّقدي الوافد، إذ أنّ كل ما تعلّق بالسيميائيات كانت أعمالا ناقصة في كثير من الأحيان، لدرجة أنّها أصبحت عصيّة على فهم القارئ العربي كونها كانت تقدّم له مبتورة مفصولة عن أسسها الإبستيمولوجيّة، وعن المناخ الذي ولدت فيه، الشيء الذي زاد من تعقيدها ومن تداخلها مع نظريّات ومفاهيم أخرى.

ولما تفطّن إلى أنّ الاستيعاب الجيّد للمناهج الحداثية النسقيّة لا يمكنه أن يتأتّى إلّا من خلال معرفة أصوله حق المعرفة، "لأنّ ذلك في نظره يمكّن النّاقد من السيطرة على الأدوات الإجرائيّة التي تتحكّم في المنهج، ممّا يجنّبه المزالق في التطبيق"[1]، قام بالتّنقيب عن الأسس المعرفيّة للنظريّة السّيميائية، لتكلّل أبحاثه بإصداره عدّة أعمال أبرزها: **"الدّلالات المفتوحة مقاربة في فلسفة العلامة" و "السيميائيات الواصفة المنطق السّيميائي وجبر العلامات"**، اللّذان احتفا

1 خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر، ص8.

فيهما بالنّظريّة السّيميائيّة، وبالتأصيل الفلسفي لمفهوم العلامة في الخطاب النّقدي المغاربيّ والعربي*.

رسم أحمد يوسف في هذين الكتابين "الخطوط الرّئيسيّة للنظريّة السيميائيّة ولغتها الواصفة ومقاربة أطرها المرجعيّة وامتداداتها التاريخيّة مقاربة فلسفيّة"[1]، فبحث في الخلفيّات المعرفيّة والفلسفيّة للنظريّة السيميائيّة.

تصدّى في مؤلّفه الأوّل لجبر العلامات والمنطق السيميائي، وفي مؤلّفه الثاني لفلسفة العلامة فتتبّع بوعي واقتدار منقطع النظير جذور التفكير السيميائيّ وأسسه في الخطاب السيميائيّ، وعمل على معاينة المنطلقات الفلسفيّة للسيميائيات، أثار فيهما الكثير من الإشكالات أهمّها إشكالية المعنى في فلسفة اللغة، ومفهوم العلامة وكلّما تعلّق بها من قضايا ومسائل معقّدة ومتشابكة، باعتبارها مركز الثّقل في النظريّة السيميائية شرحا وتفصيلا ونقدا.

وعلى الرغم من اعتناء الناقد بتصوّرات دوسوسير اللّسانيّة ومرتكزاتها اللّغويّة وما ترتّب عنها من قضايا على غرار علاقة السيميائيات باللّسانيات وحدّ العلامة، إلّا أنّ اهتمامه بالفكر العلامي لبورس كان جليّا واضحا في هذين المنجزين من خلال احتفاءه بالحساب، والتصنيف

* تناولت بعض الدّراسات التي أشرنا إليها في مقدمة هذا البحث هذين العملين بشيء من التفصيل والإسهاب، نذكر منها: واقع الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، عبد السلام مرسلي، وإشكاليّة الخطاب السّيميائي في النقد الأدبي المغاربي (دراسة في نقد النقد)، هامل بن عيسى، وأثر الحمولة المرجعيّة للمناهج الغربيّة في التّحديث النّقدي لدى أحمد يوسف، وفاء مناصري.

1 المرجع السابق، ص343.

البورسي للعلامة وأنماطها وعلاقتها بالسيميوزيس وتخوم التّأويل، منطلقا من قناعة مفادها أنّه لا يمكن البتّة فهم سيميائيات "بورس" دون العودة إلى مرتكزاته المنطقية والفلسفية، وما يهمنا هنا المفهوم المركزي للعلامة التي تنبثق منها أغلب تصوراته للسيميائيات وللسيميوزيس"[1].

وعلى الرغم من مغالاته في التّنظير للنظرية السّيميائية وتتبّعه العميق لجذورها وإرهاصاتها في الفكر الغربي، إلّا أنّه لم يكتف بذلك بل راح يقدّم تعريفاته الخاصة لكل المفاهيم المحورية التي عليها مدار علم العلامات وفي مقدّمتها مفهوم العلامة مجسّدا بذلك فكرة مفادها ضرورة الانتقال من" ثقافة الاستهلاك إلى ثقافة الخلق والإنتاج"[2].

يلفي المتصفِّح لهذين العملين تمكّنا وتبصّرا معرفيّا كبيرا وواسعا للباحث بعلوم مختلفة كالفلسفة بمختلف مشاربها، والمنطق والرياضيات واللغات الأجنبيّة وغيرها، وهو ما انعكس على أسلوبه في الكتابة، فقد جاءت لغته مثقلة بالمفاهيم الفلسفيّة والرياضيّة، تتطلّب قارئا مطّلعا متبصّرا بالفلسفة لتعطيه مكنة تجعله قادرا على فهم مختلف القضايا والإشكالات الفلسفيّة والمنطقية والرياضية واللغوية التي أثارها الكتاب. ولكن هذا لم يمنعه من انتهاج أسلوب التبسيط من خلال الشرح والتفصيل تارة والتّمثيل تارة أخرى، كي لا يعيق الفهم على المتلقّي، وهو ما يدلّ على وعيه بما يكتب ووضوح الأفكار في ذهنه.

1 السيميائيّات الواصفة- المنطق السيميائي وجبر العلامات- ، ص59.

2 ينظر: إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي (دراسة في نقد النقد)، ص344 .

وبهذا تعدّ إسهاماته هذه نوعيّة وقيمة مضافة في النّقد المغاربي والعربي المعاصر. وبمنجزه هذا يكون أحمد يوسف قد سدّ فجوة في المشروع النّقدي الحداثيّ في الجزائر.

لم يتوقف جهد أحمد يوسف عند حدود التنظير للنظرية السّيميائية من خلال مؤَلَّفيه السابقين وإنّما تجاوز ذلك إلى دخول غمار البحث الإجرائي، فالممارسة الإجرائية هي عنصر ضروري لإرساء معالم أيّ مشروع نقديّ، إذ أنّ "الممارسة النّقدية لا تحلّق منطلقة إلى ذرى الإبداع الذاتيّ إلا بجناحي التّطبيق والتنظير والمزاوحة الفعّالة بينهما"[1].

فقد أقرّ بذلك في مقدمة كتابه **"علامات فارقة في الفلسفة واللّغة والأدب"**[2]، قائلا: "كنّا خصّصنا للمنطق والدّلالة مؤلَّفين موسومين ب (السيميائيات الواصفة) و (الدلالات المفتوحة). فالأول تصدى لجبر العلامات والمنطق السيميائي أمّا الثاني فتصدّى لفلسفة العلامة، وذهبنا فيهما مذهبا عاينّا فيه الأسس المنطقيّة والدّلالية للسيميائيات من حيث إنها تسمية أخرى للمنطق وفق منظور ش.س. بورس. فاتضح لنا بأنّنا احتفينا بالحساب أكثر ممّا احتفينا بالخطاب"[3].

1 جابر عصفور: نظريات معاصرة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، مصر،1998، ص17.

2 أحمد يوسف، علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2013.

3 المصدر نفسه، المقدمة، ص11.

يعدّ هذا العمل بمثابة نقلة نوعية في المسار النّقدي للباحث، أراد من خلاله الخروج عن الطروحات التّنظيرية إلى فضاءات أخرى أكثر رحابة واتّساعا من خلال الممارسة التّطبيقية للإجراءات السّيميائية لبعض مناحي الفكر، وهو ما أفصح عنه قائلا: " وها نحن أولاء نقدم رجلا دون أن نؤخر الرّجل الأخرى لمدارسة الدّين والسّياسة والثّقافة والحريّة واللّغة والأدب على أنّها علامات فارقة في عالمنا المعاصر، وهكذا نكون قد يمّمنا وجهتنا شطر الخطاب، لنستدرك ما فاتنا في سالف التحبير وسابق التحرير"[1].

والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات التي شارك بها الناقد في ندوات وملتقيات علميّة. أشار إلى أنّها غير مثقلة بالعدّة الاصطلاحية التي من شأنها الإثقال على القارئ إلّا أنّها في ذات الوقت مؤطّرة بجهاز مفاهيم سيميائية ومرجعيّاتها النظرية بشكل صريح تارة وضمنيّ تارة أخرى. وفي هذا بيان على أنّ الناقد سلك في مؤلَّفه سبيلا مغايرا للكتابات التّقليديّة الّتي كانت تبدأ بفصول نظريّة ثمّ تتبعها بفصول تطبيقيّة، أمّا هذا الكتاب فهو عبارة عن عمل تطبيقي خالص ولكنّه لا يغفل في ثناياه إيراد المرجعيّات النظريّة المؤطّرة لكلّ ممارسة إجرائية.

وبهذا العمل يكون أحمد يوسف قد انتقل من مرحلة الحساب إلى مرحلة الممارسة وتحليل الخطاب، ليس لمزيّة له أو أفضليّة ولكن مسايرة للتحوّلات الكبرى التي تشهدها السّاحة النقديّة

1 المصدر السابق، ص 11.

العالمية. فقد شرّعت السّيميائيات أبوابها لتتّسع إلى استيعاب موضوعات جديدة وتدرس أشكالا لها علاقة بالحياة والمجتمع، وهي في سعي متواصل من أجل الاهتداء إلى حلول تخلّصها من أدوات التحليل التي تفضي إلى الصّورنة وتشكِل عليها تفسير عوالم الدّلالة.

تناول الكتاب بعد المقدّمة التي أبرز فيها دوافع تحوّل وجهته صوب تحليل الخطاب، والتي اعتبرها ضرورة حتميّة دعت إليها التحوّلات المعرفيّة العميقة التي طبعت مسار النظريّة السّيميائيّة والتي تجاوزت النسقية المحايثة، إضافة إلى انفتاح السيميائيّات على حقول معرفيّة جديدة كالبلاغة والخطابة والفن والسينما والتلفزيون و...إلخ، كما توقّف الناقد عند المحدّدات النظريّة لدراسة بعض المواضيع باعتبارها أنساقا رمزية.

جاء الكتاب في أربعة فصول درس في الأول خطابا الدين والسياسة في ضوء النسقيّة الرمزيّة، والفصل الثاني خصّصه للحديث عن الثقافة والدين بين الضرورة والإكراه. والفصل الثالث أراده للحديث عن سلطة اللغة والخطاب الأحاديّ في ضوء النقد الحضاري لدى هشام شرابي، أمّا الفصل الأخير فعالج فيه اللغة وأدب المنفى باعتباره ظاهرة عالميّة.

وضمن هذا المسعى (الانتقال من طور الحساب إلى طور الخطاب) جاء المؤلَّف الأخير للناقد وهو الموسوم "**النظريّة السيميائيّة من العلامة إلى الخطاب**"[1]، هو كتاب تنظيريّ بامتياز،

1 أحمد يوسف، النظريّة السّيميائيّة من العلامة إلى الخطاب، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 2018.

ذو طابع أكاديمي، تعرّض فيه الناقد لانتقال النظريّة السيميائيّة من طور الاحتفاء بالعلامة إلى طور الاعتناء بالخطاب، في ظلّ تحوّلها من الاهتمام بالملفوظ إلى الاهتمام بالتلفّظ.

جاءت لغة الكتاب بسيطة وطريقته في العرض أكاديميّة (فصل، تمهيد، عناصر محدّدة)، تختلف عن طريقة عرض الكتابين الأوّلين (الدلالات المفتوحة، والسيميائيات الواصفة). وقد جاء هذا الكتاب استجابة لما حقّقته النظريّة السّيميائية من مكتسبات جمّة في القرن العشرين أسهمت فيها جملة من المستجدات، ما جعلها تفتح مشاريع كثيرة على نحو ما لهجت به السيميائيّات عبر مسيرتها العلميّة الحافلة بالعطاء والمحفوفة بالمغامرات والمليئة بالتحديات، كما أسهمت عوامل أخرى ساهمت في تقدّمها وتنوّعها وانفتاحها. ومن أبرز هذه العوامل "اتّساع رقعة المعرفة الإنسانيّة وزيادة المراجعات العلميّة الصارمة والجريئة لموضوعات الدّراسة وإدخال تعديلات جوهريّة على الطرائق المنهجيّة لمواكبة الظواهر المحدثة وثراء البحوث البينيّة وظهور تطبيقات سيميائيّة بالغة التنوّع"[1].

إنّ المتتبع لمسيرة النظريّة السّيميائيّة يجد أنّها وجدت سندا علميّا لها هو اللّسانيات (دوسوسير ويامسليف) والمنطق والفلسفة (ش س بورس) وتراث الشكلانيّين الرّوس والعلوم الأخرى التي تفاعلت معها في موضوع العلامة والدّلالة، وهناك علوم أخرى تركت أثرا بليغا في

1 المصدر السابق، المقدّمة.

المشروع السيميائي تتمثّل في المرجعيّة اللّسانية باتجاهاتها المختلفة والإرث الشّكلاني الروسي على الأقل في السّيميائيات الأوروبيّة، وكذلك الأنثروبولوجيا والفينومينولوجيا.

جاء هذا المؤلّف ليفحص إشكالات النظرية السيميائيّة، ويتقفّى آثار تطوّرها وانتقالها من طور الحساب إلى طور الخطاب، لأنّ المعنى سيكون هو أساس الإشكال. فأين نبحث عنه؟ أفي العلامة أم في الخطاب؟

لقد لاحت في نهاية الثمانينيات بوادر تجديد روح السّيميائيّات بعدما برزت مشكلات في تطبيق المفاهيم اللّسانيّة على بعض الموضوعات السّيميائيّة في السينما والمسرح...إلخ، وتوسّع مجال تطبيقاتها، فانتقل التّحليل من الحكايات والقصص والروايات ليشمل دراسة الخطابات الأخرى التي لا يكون فيها للشخصيّات حضور بارز مثل نصوص: اللّباس والمدينة والطبخ...إلخ، إذ صار الجسم والذات والمرجع والإدراك والإحساس والهوى، والحضور والتوتّر موضوعات انشغلت بها النظريّة السيميائية التي عبرت من حالات الأشياء إلى حالات النفس. ونُظر إليها من زاوية أنّها تجارب جمالية تجسّد المتخيّل البشري، وتمثّل المنبع الثرّي لإنتاج المعنى بوصفها مادة غير قابلة للتّعريف[1].

1 ينظر: النظريّة السّيميائيّة من العلامة إلى الخطاب، المقدّمة.

ولهذا أخذت السّيميائيّات وجهة غير مسبوقة بسبب تأثير اللّسانيات والفلسفة والمنطق، وبسبب أعمال بنفنيست حول التلفّظ وفلسفة ميرلوبونتي حول الفينومينولوجيا ففتحت لها آفاقا جديدة من البحث لم تكن معهودة في السّيميائيات السّرديّة، ما جعلها تنتقل من طور الحساب إلى طور الخطاب.

يتضح لنا من الكتاب أنّ النظريّة السّيميائيّة قد ولّت وجهها شطر نظرية الخطاب بعدما كانت تتّجه شطر نظرية العلامات.

يشير المؤلِّف أنّ الكتاب لا يلتزم بجهاز مفاهيمي خاص بمدرسة سيميائية محدّدة بل خضع فيه النّظر إلى منطق النظريّة السّيميائيّة في شموليّتها لأنّ السّيميائيّات لم تعد تلهج بكونها نظرية للعلامات أو علما لها يُلقى بها في سياج النسق المغلق المرتبط بحقبة النّزعة البنويّة، وإنما هي خطابات تنتظم فيها الأنساق السّيميائيّة الدالة فتكون وحدة للتّحليل. ولما كانت الأنساق المفتوحة محصِّلة التّحليل فإنّها قابلة للتأويل[1].

اشتمل الكتاب على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. خصّص المؤلِّف الفصل الأول للعلامة من حيث أنّها حساب سيميائيّ يساعد على فهم الطّرائق الّتي تتّخذ فيها الدّلالات أشكالا تتخلّق من عالم الأحاسيس والإدراكات. فتناول فيه السّيميائيات وعلاقتها بالمرجعيتين المنطقيّة

1 ينظر: المصدر السابق، المقدّمة.

واللّسانية. تجنّب فيه المؤلِّف الخوض في فلسفة العلامة وتعريفاتها وتصنيفاتها كراهة التّكرير فقد خصّص لها مجالا واسعا في كتابيه: السّيميائيات الواصفة والدّلالات المفتوحة.

رصد فيه تدرّج العلامة من نشأة المفهوم إلى مزيّة الموضوع، واختتمه بتساؤل حول إمكانية أن يصبح الخطاب موضوعا للسّيميائيات مع الاحتفاظ بحضور العلامة في المشهد السيميائي؟ وهل يتمّ ذلك بالتخلص من العلامة اللّسانية، حتى ينبثق مفهوم أرحب للعلامة لا يتعارض مع النص والخطاب؟

أمّا الفصل الثاني: فعرض فيه حديثا عن علاقة التلفّظ بإنتاج المعنى والوقوف على وضع التخاطب. فبعد اعتناء النظريّة السّيميائيّة بالملفوظ بدل التلفّظ الذي مثّل حرجا منهجيّا للسّيميائيات المحايثة ذات النزوع البنويّ، لأنّه ينتقل إلى اللّسانيات والسّيميائيات والتداوليّات التي تحتفي بمسائل الذاتيّة والمرجع التي هجرها الدرس البنوي المحايث.

وقدم فيه حديثا عن مسار اللّسانيات في أطوارها الثلاثة (البنية والتلفظ والتفاعل)، وعرض قراءة نقدية للأسس الإبستيميّة للتلفّظ وممارسته، وعرض انتقال السّيميائيات من الملفوظ إلى التلفّظ الّذي على إثره السيميائيات السّردية الخطابية إلى السيميائيات الذاتية.

وفي الفصل الثالث نظر الباحث إلى الخطاب كونه حقلا بينيّا يجعل اللغة حالة متحقّقة في الواقع، فيمتد ليصبح عملية سيميائيّة وممارسة لسانيّة، فيصبح الخطاب بوصفه موضوعا بينيّا

قابلا للتّحليل من زوايا شتّى، لأنّه سيصبح حينها موضوعا ليس وقفا على السّيميائيات فحسب، وإنّما تشترك فيه معارف أخرى كالبلاغة (القديمة والجديدة) والتداوليّات واللّسانيات التلفظيّة والنصيّة.

وهكذا تجاوزت السيميائيات طور ما قبل الخطاب أو النظر إليه على أنّه محصّلة لدلالات الجمل التي يتألّف منها، لتنفتح على عوالم الخطاب بالانتقال من الملفوظ إلى التلفّظ.

المبحث الأوّل: تمثّلات العلامة عند أحمد يوسف تنظيرا

1 ـ التوجّه السّيميائي للنّاقد:

انتصر أحمد يوسف للمنهج السّيميائي لاعتقاده بأنه المنهج الأنسب لمدارسة المعنى وتجلياته الّذي أهملتها المقاربات البنيويّة المحايثة. حيث يكمن مأزق القراءة النّسقية ذات الطبّيعة المحايثة في تعاملها مع صيرورة إنتاج المعنى تعاملا جوّانيا خالصا وجعلِها المتلقّي رهينة بين يدي سلطة النص، بينما يحتاج الفهم إلى الإحاطة بمعرفة العالم.

لقد حدّد الناقد في مستهلّ كتابه "يتم النص والجينالوجيا الضائعة" طبيعة القراءة التي انتهجها في تحليله للشعر الجزائري المختلف، حين قال: "فالقراءة ـ بوصفها سيرورة سيميائية وفعلا تأمّليّا يقوم على أساس التّواصل اللّغوي ـ تقتضي تواشجا بين الإجراءات الداخليّة والشروط الاجتماعيّة والتاريخيّة لإنتاج الدلالة، وإذن فالبحث عن المعنى يتطلّب الإحاطة بالمواصفات التي أتينا على ذكر بعضها، وينفي السلبيّة عن القارئ التي تلصقه بها في العادة القراءة النسقيّة ولا سيما المقاربات البنيويّة المحايثة التي تصطدم في حالات كثيرة مع مقاربة النص الشعري الذي يستدعي القارئ لبناء انسجامه" [1].

1 أحمد يوسف، يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص 14.

يقرّ ناقدنا في هذا المقطع بمسوّغات اختياره للمنهج السيميائي، الذي يسعى إلى ردّ الاعتبار للمعنى الذي أهملته بعض المناهج النقديّة السابقة على غرار البنيوية الشكلانية. فاختار لمقاربة النص الشعري المختلف المقاربة السّيميائية التي "تحتكم إلى الخلفيات الاجتماعيّة التي أقرّها دوسوسير في دروسه حول (اللسانيات العامة) من أجل مدارسة السيميوزيس التي تمثّل سيرورة العلامات وحركتها وتحوّلاتها ونشاطها على النحو الذي نلفيه لدى رولان بارث وجوليا كريستيفا وأمبرتو إيكو وغيرهم"[1]، وبهذا يحدّد أحمد يوسف توجّهه النّقدي متمثّلا في السيميائيات التي تهتمّ بنشاط السيميوزيس والتي تميّزت بها سيميوطيقا بورس والتي تتميّز بطابعها الاجتماعي "كون السّيميوطيقا البورسية ذات طابع اجتماعيّ أي أنّها ليست نظرية ثابتة وجوهريّة للعلامات، ولكن نظرية للسّيميوزيس(semiosis) لصيرورة إنتاج العلامات ولصيرورة جدليّة"[2].

ساهم التوجّه الفلسفي* لأحمد يوسف في رسم معالم مساره الفكري والمنهجي فتبنّى سيميائيات بورس التّي شيّدت على أسس فلسفيّة ومنطقيّة وتداوليّة، والتي جعلت من المعنى والدّلالة صلب اهتماماتها عكس ما جنحت إليه سيميائيات دوسوسير ذات النسق المغلق، ف"

1 يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 15 ـ 16.

2 جيرار دولودال، السيميائية أو نظرية العلامات، ص 243.

* الباحث حاصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة من جامعة وهران.

بورس له قصبات السبق في تشييد نسقيّة سيميائية مفتوحة ومحكمة غاية الإحكام، بيد أنّ النزعة الثنائية التي وسمت لسانيات دوسوسير كان يشوبها بعض القصور في البعد التّداولي"[1].

وبهذا يعلن أحمد يوسف نفوره من السّيميائيات أسيرة النّظرة المحايثة والّتي أهملت المعنى ويعلن تبنّيه للسّيميائيات ذات النّسق المفتوح والّتي تولي المعنى كلّ اهتماماتها وتجعله ضمن أهمّ استراتيجياتها المعرفيّة.

وإلى جانب اعتنائها بمسألة المعنى والدّلالة فإنّ سيميائيات بورس تتمنّع التمرّس بمنأى عن التّأويل[2]، وهو ما يدعو إليه أحمد يوسف ويؤمن به لأنّ " هذا الأنموذج من التحليل الذي تتراحم فيه السيميائية بالتّأويلية هو ما نعتقده ونؤمن به، ودعونا له" [3]، وفي هذا دعوة صريحة لتبنّي السّيميائية الأمريكية ذات البعد التّداولي والنسق المفتوح بغية تحقيق انفتاح النص الأدبي ومنه القدرة على التأويل إذ أنّ "القراءة التّأويلية في منحاها السيميائي تختزل الزمن على أرض النص"[4]، وهو المسلك الّذي يحتكم إلى التّأويل ضمن متصورات سيميائية فينومينولوجيّة، وإليه

1 أحمد يوسف، السيميائيات ومرتكزاتها الإبستيمولوجية، مجلة سيميائيات، جامعة وهران، الجزائر، العدد 02، خريف 2006، ص35.

2 وفاء مناصري، أثر الحمولة المرجعية للمناهج الغربية في التحديث النقدي لدى أحمد يوسف، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد12، العدد01، تاريخ 15مارس 2020، ص 919.

3 يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، ص253.

4 محمد صابر عبيد، تجلي الخطاب النقدي، ط1، دار الأمان، منشورات الاختلاف منشورات ضفاف، الرباط، الجزائر، بيروت، 2013، ص 303.

تجنح سيميوطيقا بورس التي كانت محطّ اهتمامه تنظيرا وتطبيقا، يقول " وهكذا نخوض في البحث عن نسقية هذا الشعر في ظل هذا المتصور الذي لا يقع أسير النظرة المحايثة، ويتبنى أطروحة النسق المفتوح"[1] . وهذه وجهة نظر ياكبسون التي خالف بها الوجهة النقديّة التي يتبنّاها الشكلانيّون الروس والتي لا تستسلم للقراءة المحايثة المتنكرة للعامل التاريخي في تقديم تصوّر عن تاريخ الأدب، ولا تتخلّى عن النّسق الذي ينبغي طلبه ضمن التصوّر التّعاقبي لتاريخ الشعر.

كما استثمر الناقد عددا من المصطلحات السيميائية البورسيّة- وهو ما سنأتي على معاينته في المبحث الثاني -، من قبيل الأيقونة، المؤشر، والرّمز والسّيميوزيس والتّأويل وغيرها من مصطلحات المدرسة الأنجلوساكسونيّة.

2 ـ مفاهيم نظرية في السيميائيات عند أحمد يوسف:

أ ـ مفهوم السّيميائيات: من المسلّمات في النظرية السّيميائية لدى بورس أنّها مجرد اسم آخر للمنطق، في حين يرى أحمد يوسف بأنّها المقابل الحقيقي للمنطق الواصف[2]. فالمنطق الواصف وجبر العلامات هما قوام السيميائيّات من حيث هي علم العلم ونظريّة الخصائص الجوهريّة لكل نشاط سيميائيّ ممكن ودال يتطلّع إلى تأسيس لغة شارحة وبناء صيغ منطقيّة تعتمد في مقاربة فلسفة العلامة وسؤال المعنى.

1 المرجع السابق، ص 15.

2 ينظر: الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)، ص 118.

وقد ظلّ "حدّ السيميائيّات مرتبطا أشدّ الارتباط بموضوع العلامة ومادّتها، وصار منحصرا في التّعريفات الآتيات: السيميائيّات " علم العلامات"، "نظريّة العلامات"، " معرفة العلامات"، " أنساق العلامات"، "دراسة العلامات"، " تحليل العلامات"، " تصنيف العلامات"،" المذهب الصوري للعلامات"،" أنماط العلامات". وكذلك وصفت بأنّها خطاب حول العلامات "[1]. إنّ هذا الوصف هو ما جعلها تتحوّل إلى ضرب من السّيميائيات الواصفة العلميّة التي يخصّ بها يامسلف مصطلح السّيميولوجيا، وهو ما جعله (الوصف) يقصي السيميائيات الإيحائية من الانضواء تحت لوائها.

وانطلاقا من هذا التّمييز الذي اعتبره بعض أعلام النظريّة منطلقا علميّا ومنهجيّا للفصل بين أبرز مصطليحين أسال الاختلاف بينهما الكثير من الحبر، تحدّدت موضوعات السيميائيّات ومجالاتها.

ميّز أحمد يوسف في كتاباته بين نوعين من السّيميائيات، **سيميائيات بنيويّة** أو **لسانيّة** أو **محايثة** [2] وهي التي استفادت من طروحات دوسوسير و**سيميائيات تأويليّة** ترتكز على أطروحات بورس، وهي المنهج الذي يتبنّاه أحمد يوسف "فلقد بات من الضروري الدعوة إلى بلورة مفهوم جديد للنسق المفتوح الذي ندعو إليه، وننتصر إليه، لأنّ تطبيق القراءة النقديّة

1 أحمد يوسف، النظريّة السّيميائيّة من العلامة إلى الخطاب، ص 24.

2 القراءة النسقيّة (سلطة البنية ووهم المحايثة)، ص 134.

للنّسق المغلق أفضى سواء في المقاربات البنوية أم في المقاربات السّيميائية إلى ضرب من الممارسات الصّوريّة في دراسة النصوص الأدبيّة رافقها جهاز اصطلاحيّ استعصى حتى على أهل الاختصاص، وصار ينفر منه دارسو الأدب، ولهذا كلّه فنحن من دعاة التّراحم بين المناهج السّيميائية والتّأويليّة التي ترتكز على أصول فينومينولوجيّة ومبادئ لسانيّة وأسس منطقيّة طبيعيّة، فليست كل النصوص الأدبية قابلة لتطبيق مثل تلك الإجراءات النسقيّة. فبعضها يميل بناؤه إلى التصريح وبعضها الآخر إلى التلميح. فالنص فضاء مفتوح ومتعدّد الجوانب، وعليه لا يمكن لأيّ قراءة أن تخضعه إلى آليات ثابتة وقارّة على منوال القراءات الصوريّة التي نلفيها في بعض المقاربات البنوية والسيميائية[1]. وهذا التوجّه أعلن عنه الناقد في مقدّمة كتابه علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، ومفاده اعتماد السيميائيات التي تحتكم إلى القراءات المتعدّدة ضمن متصورات سيميائية فينومينولوجيّة، وتقحم القارئ في عملية قراءة النص وإعادة إنتاجه، وتجنّب ليّ عنق النصوص بواسطة مناهج محدّدة.

ومن خلال هذا النص يمكننا أن نستجليَ قناعة أحمد يوسف بأنّ المناهج ذات التوجّه المحايث والمغلق هي مناهج قاصرة عن قراءة النصوص، بحيث لا يمكن لها أن تسبر أغوار النص ما لم تتضافر في هذه العمليّة مع مقاربات أخرى أكثر انفتاحا ومرونة.

1 ينظر: المصدر السابق، ص 554.

إنّ دعوة الناقد صريحة لتبنّي هذا الأنموذج من المقاربات التي تعتمد على النسق المفتوح، وتمثّل مرحلة ما بعد الحداثة التي تدعو إلى تمجيد القارئ وتعدّد المعنى وهو توجّه خدَم القارئَ وخلّص النص من سلطة النّمذجة والتّأطير، وأعاد لمشروع الدّلالات المفتوحة مجدها.

وعلى الرغم من تبنيه لفكرة تعدّد المعاني والنّسق المفتوح إلّا أنّ أحمد يوسف يرى بأنّ التعدّد اللاّنهائي لتأويل الخطابات (الشفوية والمدوّنة) يخضع لمقاييس تحاول ضبط حدوده، فالمعنى محكوم بنسق سيميائي مفتوح من جهة ومحدّد من جهة أخرى، ويقدّم الناقد مثالا في هذا الإطار عن نصوص القرآن الكريم الحمّالة لأوجه عديدة من الدّلالات، لكنها لا تقبل السّيرورات السيّميائية التّأويلية التي تتنافى مع المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، لأنّها تقتضي أن ينجرّ عنها الالتزام والتّكليف وتاليا الثّواب والعقاب، ولعلّ ذلك ينطبق أيضا على النصوص التّشريعية الوضعيّة[1].

ب. موضوع السيميائيّات: من المعلوم أنّ السيميائيات قامت على أساس علميّ موضوعه الأساس هو العلامات، فأصبحت- في نظر دوسوسير وبورس- نظريّة تعنى بدراسة اللّغة وتطبيقاتها على الأنساق الدالّة المختلفة.

يرى أحمد يوسف بأنّ السيميائيات هي فلسفات تسعى في المقام الأول إلى تعريف العلامات وتصنيفها بدلا من البحث في نظريّات المعنى المنبثقة من البحث الهيرمينوطيقي، وبصفة

1 ينظر: السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص 56.

تلقائيّة تعتبر النص علامة. وإن كان المعنى عصيّا على التعريف إلّا أنّه يقترب من الدلالة والتّدلال، ومدار بناء النص على المعنى، وأنّ المعنى لا يطلب خارج النص، وانطلاقا من هذا تصبح السّيميائيّات من الوجهة البنويّة "ذلك العلم الذي يدرس الدّلالة لفهم سيرورات إنتاج المعنى"[1]، لكنّ السيميائيات لم تتقيّد بهذه الوجهة، فمالت كلّ الميل إلى الدّراسات البينيّة*.

لقد أصبح للعلامة مظهران هيرمنيوطيقيّ وسيميائيّ، انطلاقا من أنّ الهيرمينوطيقا تسعى إلى استكشاف المعنى، وتجعل العلامات تتكلّم، والسّيميائيات تسمح بالتّمييز والإشارة إلى مواطن العلامات، وتبرز المحدّدات التي تجعلها علامات، ومعرفة روابطها وتسلسلها. "لهذا كنّا وما زلنا نتشيّع إلى التّراحم بين السيميائيات والعلوم الأخرى تعميما والتّأويليّات تخصيصا ليكون للعلامات لسان حال تتحدّث به"[2]، وباختياره هذا المنحى يكون أحمد يوسف قد سار على درب معلّمه إيكو "الّذي تشيّع للسيميائيات التأويليّة أكثر من تحمّسه إلى السيميائيات المحايثة"[3].

1 النظرية السيميائية من العلامة إلى الخطاب، ص 26.

* البينيّة أصبح مبدأ تقوم عليه البحوث المعرفيّة، وهو ما أدّى إلى تحوّل العلوم والمناهج المختلفة، واتجاهها نحو البينيّة معناه ضرب فكرة التخصّصات المنغلقة ودحض فكرة اللاّتخصّص فأصبحنا نتحدّث عن سيميائيات معرفيّة وتداوليّة (استعيرت المفاهيم، وتداخلت المصطلحات، ونشأت منظومة اصطلاحيّة عابرة للتخصّصات، ما أدّى إلى سقوط كلّ التسميات المنحازة للتخصّصات السابقة).

2 المصدر السابق، ص27.

3 النظريّة السيميائية من العلامة إلى الخطاب، ص 33.

سيميولوجيا أم أوسيميوطيقا؟

وبخصوص إشكالية استعمال المصطلحين (سيميولوجيا أوسيميوطيقا)، يرى أحمد يوسف أنّها بدأت تنحسر منذ أن شاع استخدام مصطلح السيميوطيقا الذي انتشر مؤخّرا بسبب إقبال الباحثين السيميائيين على دراسة الأنساق (المجموعات) الدالّة أكثر من ميلهم إلى وصف أنساق العلامات على حساب مصطلح السيميولوجيا. لأنّ السّيميائيات ذات النزوع البنيوي. حسب أمبرتو إيكو. "غدت مجرّد آليات نقديّة لمدارسة العلامة ... فالسيميائيات المحايثة التي أغشت الوضعيّة بصيرتها أحاطت نفسها بسياج الصّورنة، وأقصت بعض القضايا ذات الصّلة باللغة والخطاب في أوّل عهدها من دائرة اهتماماتها مثل البلاغة والأسلوب والتلفّظ"[1].

ج. العلامة وسؤال الحدّ: قامت النشأة الأولى للسيميائيات على أسس فلسفة العلامة والبحث عن قوانينها والسعي إلى تصنيفها. ولكنّ الحدّ الذي عرفت به من كونها كلّ ما يمكن أن ينظر إليه على أنّه علامة، جعل مفهومها يتلبّسه الغموض، وبالتّالي ينضاف إلى جملة المفاهيم الفلسفيّة الكبرى التي وسمت عصر الحداثة وما بعدها بميسمها مثل: اللاّشعور والوجود والوعي والبنية والقصديّة.

1 المصدر السابق، ص34.

يرى أحمد يوسف أنّ النّظر إلى العلامة بأنّها مفهوم إشكاليّ لا يكاد يخلو من لبس بالغ التعقيد، مردّه إلى المطارحة الآتية: أتكون العلامة معطا قبليّا أو نتاجا تأويليّا بعديّا؟ هل كلّ علامة هي ما تعبّر عن مدلول؟ نلاحظ أنّ العلامة والفكرة والقانون شيء واحد في المصطلحيّة البورسيّة، وهي عبارة عن مترادفات، لأنّها تمثّل رتبة الثالث في نظريّة المقولات. علما أنّ مفهوم العلامة عبر تاريخ الفكر الإنساني لا تكاد تخرج عن هذا الثالوث (الصوت، الفكرة، الشيء)[1]. وبهذه التساؤلات يقرّ بأنّ تحوّل النظرية السيميائية إلى الخطاب سببه أنّ العلامة ظلّت مفهوما غير واضح المعالم. بالإضافة إلى تعدّد تعاريف هذه النواة المركزيّة للسيميائيات.

فالعلامة ترادف غالبا مصطلح "الدال" بوصفه ـ كما يرى إيكو ـ شيئا يحلّ محلّ شيء آخر، فيقوم مقامه، أو كما رآه قدماء العرب كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. وهو ما ينطبق على استعمالاتها في التطبيقات اللّسانيّة أو تحليل الخطاب[2].

ويمثّل لنا الناقد عن تعدّد مفاهيم العلامة بما خصّها به أمبرتو إيكو بالعرض والوصف على النحو التالي:

- كلمة = علامة (لهذا رسخ الاعتقاد حسب لسانيّات دوسوسير أن العلامة تعدُّ الوحدات الصغرى في أنساق اللغات الطبيعية).

1 ينظر: المصدر السابق، ص 35وما بعدها.

2 ينظر: النظريّة السيميائية من العلامة إلى الخطاب، ص 37.

- حرف (صوت) = علامة.
- حركة إعرابية = علامة.
- شكل هندسي (نقطة، خط...) = علامة.
- شكل رمزي (هلال، ميزان، صليب...) = علامة.
- واصلات التلفّظ/ الآن، هنا/ = علامة.
- الفكرة = علامة.
- الإنسان = علامة (ش س بورس).[1]

العلامة عند دوسوسير: إنّ الدوال اللّفظية حسب دوسوسير ليست بموضوع أو بواقع ماديّ أو بكلمات منطوقة، وإنّما هي الصورة الأكوستيّة التي ترسم انطباعا نفسيّا في الذهن، فتصير تمثيلا ذهنيّا. إنّ صورة الرّئيس ليست بالرّئيس نفسه. أي أنّها لا تنقل لنا الواقع الماديّ. إنّها محصّلة للوظيفة السيميائيّة التي هي بدورها نتاج تضايف شكلي التعبير والمحتوى في الأفعال اللغويّة، وهذا يؤدي إلى التّسليم بوجود علامات بسيطة تتألّف من اتحاد الدال (الصور الأكوستيّة) بالمدلولات (الصور الذهنيّة) وعلامات مركّبة على غرار الجمل وهو موضوع اللسانيّات[2].

1 ينظر: المصدر السابق، ص 37 ـ 38.

2 النظريّة السيميائية من العلامة إلى الخطاب، ص 38 ـ 39.

متصوّر الموضوع: العلامة عند بورس كما هو معلوم هي وحدة ثلاثيّة التّكوين، تتألّف من: الماثول، الموضوع والمؤول. ويعدّ الموضوع من أكثر المتصوّرات إشكالا، وأكثرها اشتباكا مع المفاهيم المجاورة له، بل أكثرها تشعّبا في العلوم والمعارف، وهو عنصر مشترك بين العلامة والعالم، وركن من أركان العلم، ويعدّ أيضا من مسائل علم المناهج به تنماز العلوم بعضها عن بعض، وبه تعرف. ويرد الموضوع تحت مسمّيات عدّة تتباين من حقل معرفيّ لآخر، ومن لغة إلى أخرى.

وقد عمل أحمد يوسف على تقفّي آثار هذا المصطلح والبحث عنه في إحدى دراساته[1]، الّتي تتّسم بطرحها العميق. حيث قدّم مجموعة من التعريفات التي ارتضاها الفلاسفة والمناطقة واللغويون الغربيون والفلاسفة واللغويون العرب والمشتغلون بالفلسفة الإسلامية لمتصوّر لموضوع.

وقد اصطفى الناقد مصطلح (المتصوّر) الذي يقابل (concept) علما أنّ المتصور و(المفهوم) كليهما وحدة مجردة وغامضة. الذي ظهرت ملامحه من حيث هو فكرة أقل غموضا من المفهوم حين جعل دوسوسير (المتصور) ركنا من أكان العلامة اللّسانية وهو الذي يمثل الصورة الذهنية ثمّ استقر بعد ذلك على مصطلح المدلول[2].

يرى أحمد يوسف بأنّ متصوّر الموضوع في سيميائيات بورس لا يكاد يخلو من غموض هو الآخر حين التفكير في علاقته بالشيء الواقعي من دون التّخييلي، ذلك أنّ من مقاصد موضوع

1 أحمد يوسف، متصوَّر الموضوع في الدّراسات السيميائيّة، مجلة التّأويل والخطاب، المجلّد 2، العدد 2، أكتوبر 2021.
2 ينظر: المصدر نفسه، ص12.

العلامة المعرفة التي تقتضيها العلامة، وبها تضيف جديدا إلى هذا الموضوع، فالعلامة عند بورس ليست هي إحلال شيء محلّ شيء آخر، ويتجلّى ذلك في مصطلح الموضوع الدينامي الذي يمثّل موضوع العالم[1].

ولا يخفى علينا أنّ ثمّة عالمان: طبيعي (فيزيائي) محسوس، وهو شيء موجود وموضوع واقعيّ مدرك يتوافر على القابليّة للفهم والإدراك والمعرفة. وعالم ذهنيّ مجرّد قابل للفهم. وما يدعو للحيرة في العالم الفيزيائي هو إمكانية تصنيف ظواهره على أنّها موضوعات. فلكي ترقى الظاهرة الطبيعية إلى رتبة موضوع عليها الاتّسام بالدقة والوضوح، فإذا كان الموضوع ماثلا في الذهن، فإنّه ينتفي عنه سوء الفهم لكونه محفوظا في النفس وهي راعية له. ومن هنا يتّضح لنا أنّ الإشكال يكمن في الموضوعات المجرّدة لا الموضوعات المحسوسة.

يتمخّض عن هذا عدّة إشكالات ليس من السهل الإجابة عنها، فوحدها سيميائيات بورس أخذت على عاتقها دراسة جبر العلامات من وجهة ظاهراتيّة منطقيّة، فجعلت صور الفانيروسكوبيا الذهنيّة الخالصة موضوعا لها.

يعترف أحمد يوسف بأنّه من الصعب ترجمة مصطلحات بورس بسهولة لأيّ لغة أخرى، بل إنّها معتاصة حتى على أهلها، لأنّ الأمر يتعلّق بالتّوليد الاصطلاحي وباختلاف البيئة الاصطلاحيّة، إذ أنّ هناك العديد من المصطلحات البورسية التي استعصت على الترجمة

1 متصوَّر الموضوع في الدّراسات السيميائيّة، ص25.

كمصطلحات متصور العلامة (الممثل، الموضوع والمؤول)، ومن ذلك متصور العلامة في حدّ ذاته. حيث يميّز بورس بين العلامة ـ الفعل والعلامة ـ الممثل كما أشار إلى ذلك دولودال، ولا سيما أنّ العلامة ـ المؤَوّل التي تقول العلامة ـ الموضوع هي موضوع العلامة ـ الممثل لهذه السيرورة التي يسمّيها بورس الدلالات المفتوحة. فمن غير الممكن مطابقة متصور العلامة البورسيّة بمتصوَّر العلامة عند دوسوسير، لأنّ العلامة اللّسانية ماهي إلّا علامات قانونيّة في عرف بورس، وبإمكانها أن تكون رمزيّة ومؤشريّة وإيقونيّة[1].

وكما هو معلوم لدينا أنّ الموضوع البورسي لا يقدّم لنا العالم المادي بمعزل عن العلامة. وهنا نكون أمام تلازم بين العلامة والعالم في سيميائيات بورس، عالم غير ثابت، غير نمطي، مفتوح دلاليّا، فالعلامة لا تغدو علامة إلّا بموضوعها، فالحمرة لا تغدو علامة إلّا إذا دلّت على موضوع أحمر، وهذا الموضوع الأحمر لا يرتقي إلى رتبة العلامة مالم يصبح مؤوَّلا.

والموضوع في سيميائيات بورس يمكن أن يكون علامة في ذاته شأنه في ذلك شأن الممثل أو المؤوَّل، ولكي تكتمل أركان العلامة عند بورس لا بدّ أن يدخل الممثل في علاقة مع الموضوع ومع المؤوَّل، كما أنّ الممثل لا تتحقّق وظيفته السيميائية خارج علاقته بالموضوع، إذ الإحساس بالحمرة لا يتجسّد إلّا في موضوع الوردة أو غيرها من الموضوعات الأخرى، وبالمثل ما قيل عن الممثّل يقال عن الموضوع الذي يرتبط بالمؤوَّل حتى تكتمل أركان العلامة عند بورس بمراتب

1 ينظر: المصدر السابق، ص 28.

الكينونة الثلاث (الأول والثاني والثالث) وحسب البروتوكول الرّياضي. وبخصوص هذه المسألة يستدرك أحمد يوسف قائلا أنّ موضوع بورس لا علاقة له بفكرة مطابقته للشيء للحقيقي لان المعرفة الإنسانية للحقيقة تظلّ محدودة ومرتبطة بفكرة التناظر والأعراف والتجاور والقوانين المتواضع عليها، ومهما بلغ التفكير البشري من الدقّة فسيبقى في حدود جوار الحقيقة لا في بيت الحقيقة ذاتها، وهي من الحكمة البالغة في حياة البشر[1].

أنماط العلامة: يقرّ أحمد يوسف بأنّه لا يوجد تصنيف متّفق عليه من قبل الاتجاهات السيّميائية حول أنماط العلامات، على الرّغم من أن السّيميائيين حاولوا تصنيف العلامات والوقوف على أنماطها تحقيقا للوصف العلمي الّذي تتوخّاه السّيميائية بوصفها علما إلّا أنّه يجنح في كتاباته النّظرية وفي دراساته الإجرائية إلى اعتماد تصنيفات بورس للعلامة. لما وجد فيها من إمكانات تؤهّلها لكشف المعنى واستجلاء الدّلالات من جهة، ولما تحمله من مزيّة عن غيرها من التصنيفات بما تحمله من ملامح تراثية.

لقد خضع تصنيف العلامات لمبدأي التّعليل والاعتباطية من جهة وثنائية التّماثل وعدم التّماثل، فتمخّض عن ذلك وجود أنماط من العلامات أغلبها ما صنّفه بورس في أثناء تعريفه للعلامة، وهي القرائن والإيقونات والرّموز.

1 ينظر: المصدر السابق، ص30.

في حين أن المشروع السّيميائي لدوسوسير لا يحتمل إلاّ صنفين من أنماط العلامات، وهما العلامة القائمة على مبدأ الاعتباطية حيث لا وجود لعلاقة محدّدة تربط بين الدّال والمدلول، والرّمز الذي يقوم على علاقة سببيّة تعليلية بين وجهي العلامة (الدال والمدلول). وفيما يلي استقراء للمصطلحات التي استعملها أحمد يوسف لأنماط العلامة.

القرائن: يعرّف أحمد يوسف هذا النّمط من العلامات بأنّه "يتوافر على خصّيصة التّعليل بالمجاورة... إنّها ضرب من العلامات التي تطرح نفسها على أنّها وقائع مرئيّة تقدّم وقائع أخرى غير مرئيّة تقديما مباشرا، ولهذا فإنها توجّه انتباه المرء إلى موضوعها طوعا أو كرها عن طريق استنفار قواه الحسيّة "[1].

ويفرّق الناقد بين المصطلحين (مؤشر، وقرينة) بقوله: " كثيرا ما تتداخل المؤشّرات indices مع القرائن index على الرغم من أن المؤشّرات علامات اعتباطية وأن القرائن تكون تعليلية إن هي اندمجت في إطار العلامات الطّبيعية، حيث هناك علاقة سببيّة بين الدال والمدلول[2]. إلّا أنّ الناقد يميل إلى استعمال مصطلح (قرينة) في جلّ أبحاثه.

ومن النّماذج التي أوردها الناقد بخصوص هذا النمط (القرائن) هو المثال الشّهير الدّخان والنّار، على اعتبار أنّ الانتقال من الماثول إلى الموضوع في هذا الضرب من العلامات يتمّ بحكم

1 السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص 90.

2 المصدر نفسه، ص 111.

التّجاور الوجودي، لا بحكم القانون أو التّشابه، وعليه فالدخان دليل على النار رغم عدم وجود أيّ تشابه بينهما.

الإيقونات: يكوّن هذا النمط من العلامات فضاء أرحب للسّيميائيات عامة. وقد اهتم به العلماء قديما وفي المجتمعات الحديثة التي وجدت فيه ضالتها، بل أصبحت لغتها الحيّة الّتي تتجاوز في بعض الأحيان معوّقات اللّسان في تحقيق تواصل أوسع بين البشر.

ويرى فيه أحمد يوسف أنّه " ضرب من العلامات التي تتفرّد بخصّيصة التّعليل الّتي تستند إلى عامل المشابهة الناتجة عن نظام التقطيع غير المتماثل"[1]. وتكاد الأيقونة تكون الموضوع الّذي له حضوة ربّما أكثر من غيره من العلامات الأخرى في السيميائيات المعاصرة. ووجودها مشروط بوجود الموضوعات التي تربط بينهما علاقة المشابهة، إذ "يحيل هذا الصنف من العلامات على عالم الموضوع بموجب ما يمتلكه هذا الموضوع من خصائص سواء أكان متحقّقا في الوجود أم غير متحقّق"[2]، ومن خصائص العلامات الأيقونيّة أنها علامات لا تفقد قدرتها على الدّلالة في حالة غياب موضوعها، فهي أشبه ما تكون بالممثل الذي يكتفي وجوده بذاته، وعندما يتطابق الممثل مع الموضوع تصبح موضوعات العالم استعارات أيقونيّة.

1 السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص 93.

2 متصوَّر الموضوع في الدّراسات السيميائيّة، ص31.

ويقدّم الناقد جملة من الأمثلة التي تساق في مجال الإيقونات على غرار الصّور الفوتوغرافيّة، والمخطّطات المعماريّة، والخرائط الجغرافيّة، والضجيج الاصطناعي في السينما والمسرح والرسوم البيانية (diagrammes) والاستعارات.

إلّا أنّ الأيقونية قد اقترنت في الغالب بالصورة البصرية والأشياء الحسية. وتعدّ الصورة الأنموذج الأعلى للعلامات الإيقونية شريطة اشتراك الموضوعين على الخصائص نفسها على الرغم من عدم ارتباطهما ارتباطا مباشرا كعلاقة الصورة الفوتوغرافية وصاحبها[1]. وأشار الناقد إلى وجود اختلاف بين المصطلح الأجنبي icone الّذي يشير إلى الصورة المقدّسة، وبين icône الذي يشير إلى أحد أصناف العلامات عند بورس[2].

ومن جملة القضايا التي طرقها الناقد في باب الإيقونات حديثه عن الاستعارة بوصفها نمطا من العلامات الإيقونية، وتمثل الاستعارة العلاقة السّيميائية عن طريق علاقة المشابهة.

وحديثه أيضا عن العنوان الذي ارتبط هو الآخر في المعجم العربي بالإيقونة، حيث أصبح إجراء يصطنع في تحليل الخطابات[3]، ولأنّ الإيقونة تعتبر مفتاحا لفهم دلالة العلامات.

الرّموز: أورد الناقد هذا المصطلح ضمن حديثه عن ثلاثيّة بورس العلاماتيّة، فقال بأنّ للرّمز طابعا تداوليّا مرتبطا بالاستعمال عن طريق المواضعات، وهو يرادف مفهوم العلامة لدى

1 ينظر: السيميائيات الواصفة (منطق السيميائي وجبر العلامات)، ص 92 - 96.

2 ينظر: الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)، ص 72.

3 ينظر: السيميائيات الواصفة (منطق السيميائي وجبر العلامات)، ص 95.

دوسوسير. إنّ بورس لا يقول باعتباطية الرّمز الذي لا يتوافر على حظ ليكون له معنى في ذاته مستقلاّ عن شرط المواضعة المشار إليها. وإن كان لا يشير إلّا إلى نوع الشيء، فهو يتّصف بالعموم، ويتجاوز الطابع الفردي الذي تتّصف به العلامات الإيقونية والقرينيّة[1].

في هذا القول تأكيد على الطبيعة التعاقديّة للرمز فالعلامة لا تكون رمزا إلا إذا كانت تكثيفا لسلسلة من النّسخ السلوكية المتحقّقة .إذ لا يمكن للنّسخة المفردة أن تكون رمزا، ولا يمكن أن يؤدي السّلوك الفردي إلى إنتاج رمز، فالرمز يحتاج إلى زمن. كما أنّ الوظيفة الرّمزية تنشأ من تعدّد التجارب وتنوعها وتكرارها أيضا.

لقد أورد الناقد في خضّم عرضه لهذا النمط من العلامات عدّة تساؤلات بخصوص الرّمز من قبيل كيف ينتقل الرمز من المحسوس الى المجرد؟ وما هو النشاط الذي يضطلع به لتحويل المعنى وتأويل العلامة؟ كيف نربط بين (الأسد) و(الشجاعة) وبين (الميزان) و(العدالة)؟ هناك رموز لفرط بداهة استعمالها كألوان إشارات المرور أصبحت دلالتها معلومة سواء أكانت هذه الرموز ذات طبيعة اجتماعية أم دينية أم علمية. كيف يكسب الرمز جدّته؟ وكيف يصبح مبتذلا؟ ولماذا تأخذ بعض الأشياء رموزا جليلة وأخرى وضيعة؟

على الرغم من اعتنائه الكبير بمفهوم العلامة عند بورس واختيارها لها كآلية إجرائية في ممارساته التطبيقية، إلّا أنّه لم يهمل مفهومها عند دوسوسير فقد كان له ـ قبل أن يبمِّم وجهه

1 ينظر: المصدر السابق، ص 102.

كليّا شطر سيميوطيقا بورس ـ صولات وجولات مع العلامة من منظورها اللّساني، تجلّى ذلك من خلال كتابه: **سيميائيات التواصل وفعالية الحوار (المفاهيم والآليّات)**[1]، الذي عقد فيه فصولا عن نظرية التواصل وسيرورته وإشكاليّة قصديّة العلامة وغيرها من القضايا التي تصب في فلك سيميائيات التواصل، واهتمّ فيه أيّما اهتمام بمفاهيم دوسوسير اللّسانية وخاصة مفهوم العلامة اللّسانية، لأنّ تصوّراته اللّسانية هي أساس سيميولوجيا التواصل.

فالعلامة اللسانية تتمثل من الناحية الطبيعيّة والتّقنية في الذّبذبات الصوتيّة التي تؤثّر في الأطراف العصبيّة لأذننا الداخليّ، فتترك أثرا نفسيّا يدعوه دوسوسير بالصورة الأكوستيّة التي تطوّرت إلى الدال لديه فيما بعد، إذ ستتحوّل هذه الموجات الصوتيّة أيضا إلى وحدات صوتيّة للسان معطى غير أنّ العلامات التي تحتكم إلى حاسّة السمع لا تنتمي فقط إلى النسق اللساني، فهناك الأصوات الطبيعية (كالرعود)، والأصوات الاصطناعيّة (كأصوات الآلات). بينما تتلقّى العين العلامات البصريّة على شكل إشعاعات ضوئيّة [2].

وفي ختام هذا الجزء يمكننا الخلوص إلى أنّ أحمد يوسف لم يخرج في تعريفاته عن إطار التعريفات التي يقدّمها بورس ودوسوسير لمختلف المصطلحات المتعلّقة بمفهوم العلامة. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الناقد وهو في معرض البسط التّنظيري للتعريف بالعلامة

1 أحمد يوسف، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار (المفاهيم والآليات)، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، ط1، 2004.

2 ينظر: المصدر نفسه، ص 131.

السّيميائية وبأنواعها ومكوّناتها ومختلف المسائل النّظريّة المتعلّقة بها يكتفي بنقل المفاهيم والمصطلحات كما هي حفاظا على هويّتها وخصوصيّتها الغربيّة، أمّا في مجال التطبيق والممارسة الإجرائية فتلك مسألة أخرى، إذ يجب على الناقد الحصيف المتمكّن من ناصية المناهج المستوردة أن يطبّق الآليات والأدوات الإجرائية تطبيقا غير آلي يحافظ من خلاله على خصوصيّة النص المحلّي، وهذا هو ديدن ناقدنا لا محالة، إذ سنأتي على بيان ذلك في المبحث الموالي.

د ـ العلامة الجماليّة وأبعادها السّيميائية: أصبح لعلم الجمال منزلة كبيرة في الخطاب الفلسفي الحديث، الأمر الذي جعل المتصوّرات السّيميائية للجماليات تتبلور في كثير من الدّراسات والأبحاث ولا سيما منها تلك المتعلّقة بجماليات الخطاب البصري، سواء أتعلق الأمر بالصّورة الفوتوغرافيّة أم بفنون العروض المسرحيّة وما اتصل بها من إضاءة وسينوغرافية وإخراج وديكور وما إلى ذلك ممّا يخرج عن فضاء العلامات اللّسانية مثل السّينما والفنون التّشكيلية والعمارة ليتّخذ تعبيرا أيقونيا تارة ورمزيّا تارة أخرى. وهو الأمر الذي جعل النقّاد يتعاملون مع كل عمل فنيّ بأنّه علامة ويتعاملون مع الخطابات الفنيّة بوصفها وقائع سيميائيّة.

يرى النّاقد أنّ سيميائيات المسرحيّة تندمج في عالم السّيميائيات الخاصّة التي تنتظم لمدارسة الخطابات المتعدّدة السّنن، لأنّ اللّغة المسرحيّة تستدعي أنساقا متباينة من العلامات المتمثّلة في

اللّسان والمحكي والمكان والحركات والضوء والدّيكور والجمهور، لذلك تعدّ سيميائيات المسرح ملتقى للعلامات[1].

وقد بدأ اهتمام السّيميائيات بالجماليات منذ أن أشار بورس إشارات عابرة إلى موضوع الجمال الذي تطوّر في بحوث موريس التي كان مدارها حول ما إذا كانت الآثار الفنيّة علامات. وهكذا بدا استثمار المفاهيم السّيميائية في مقاربة الخطابات الفنية. وعرّفها الناقد بأنّها (العلامة الجمالية) "هي قبل كل شيء علامة لشيء ما لا يأخذ صفة الواقع كعلامة إلاّ بوصفه جزءا من الدّلالة التي يسمّيها موريس السّيميوزيس"[2].

ويشير الناقد إلى أنّه قد تجلّى في خطاب ما بعد الحداثة رغبة محمومة لتمجيد الجماليات في مقابل تراجع مجد عقلانيات العصر الحديث، وقد أفرز هذا التحوّل توجّها جديدا للسّيميائيات البصرية، أدى إلى الاعتناء بخطاب الجسد. وتجدر ها هنا الإشارة إلى أنّ الناقد قد اعتنى في ممارساته التطبيقيّة بسيمياء النسق الإيمائي وبالجسد ولغاته. فقد خصّص جزءا في كتابه " يتم النص والجينالوجيا الضائعة" لسيمياء الجسد، سنتطرّق إليه في نهاية المبحث الثّاني.

هـ ـ الدّلالات المفتوحة: يقرّ أحمد يوسف أنّه لا يمكن فهم سيميائيات بورس دون العودة إلى مرتكزاته المنطقيّة والفلسفيّة، وخاصّة مفهومها المركزي (العلامة) التي تنبثق منها أغلب تصوراته

1 ينظر: السيميائيات الواصفة (منطق السيميائي وجبر العلامات)، ص 133.

2 ينظر: المصدر نفسه، ص 136.

للسيميائيات والسيميوزيس. ومن هذا المنطلق أردنا أن نبيّن في هذا المبحث أحد المصطلحات الهامّة في مشروع أحمد يوسف السيميائي.

الدلالات المفتوحة هو أحد المصطلحات السّيميائية المتميّزة في قاموس أحمد يوسف السيميائي. وقد أشرنا إلى أنّه وضع كتابا بعنوان (الدلالات المفتوحة. مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)، والدلالات المفتوحة هي مقابل للمصطلح البورسي السيميوزيس sémiosis، غير أنّ ما يلفت نظرنا هو أنّ الناقد لم يكتف باستعمال مقابل محدّد للمصطلح البورسي سيميوزيس. فقد قدّمه تارة بمسمى **الدلالات المفتوحة**، حين اعتبر أنّ "نشاط الدّلالات المفتوحة موضوع السّيميائيات المركزية في أبحاث السّيميائيات البورسية هو وبقيّة الدّراسات التي استلهمت أفكاره في هذا الشأن فالسيميوزيس هو العمليّة الّتي يشتغل فيها الشّيء بوصفه علامة"[1].

وأيضا في معرض حديثه عن إهمال الفلسفة والعلوم الوسيط الرمزي " وقدرته الخلاّقة على إنتاج العلامات التي تصبح فيضا رمزيّا عندما يضفي عليها بعد الدلالة فتغدو ذات طبيعة نسقيّة محايثة، ولكنّها في الوقت نفسه مفتوحة، ويطلق عليها بورس السيميوزيس أو الدلالات المفتوحة"[2].

1 السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص57 .

2 المصدر نفسه، ص62.

وأورده تارة أخرى تحت مسمّى **السيرورة السيميائية** في قوله:" إنّ السيرورة السيميائية أو السيميوزيس هي عمليّة انصهار الأبعاد الثلاثة للعلامة واشتغالها على أنّها وحدة كاملة بينما"[1]. ونعته تارة ب**فعل التدليل**، في قوله:" وفعل التدليل أو السيميوزيس الذي يشكّل في كلّ استلزاماته وتصنيفاته المتعدّدة الموضوع الرّئيسي لكلّ الأبحاث البورسيّة، ينبغي أن يفهم في إطار المقولات العامّة التي توضّح اشتغال الوجود وأنماطه الخاصّين بكلّ التجربة الإنسانيّة"[2].

والسّيميوزيس هو مصطلح سيميائي يُقصد به حركيّة السّيرورة المؤدية لإنشاء علامة جديدة واهتمام بورس به يعدّ بمثابة المتنفّس البديل للنظريات البنيوية التي تحاول فهم العالم بكثافة في قوالب مغلقة. وإنّ انفتاح السّيميوزيس على ما لا نهاية من العلامات لا ينبني على العشوائية والفوضى، بل هناك حدود توقف سيرورتها. وهو التوجه الذي ارتضاه أحمد يوسف بعيدا عن الأنساق المغلقة والدّلالات القاصرة." فالعلامة لا تقوم بدور التّمثيل لشيء ما ولكن لأشياء ستظل مفتوحة"[3].

يتّضح لنا من خلال هذا العرض لأهمّ البدائل الاصطلاحية التي استعملها أحمد يوسف كمقابلات لمصطلح السيميوزيس، أنّ هذا التعدّد المصطلحي لا يشي بعدم قدرة الناقد على اصطفاء مصطلح معيّن للتعبير عن هذا المفهوم، بل إنّنا نحسب أنّ الناقد وهو في معرض التعريف

1 السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص 58.

2 المصدر نفسه، ص59.

3 الدلالات المفتوحة (مقاربة في فلسفة العلامة)، ص 153.

بالنظرية السيميائية آثر استعمال كل هذه المقابلات التي كانت شائعة آنذاك في الساحة النقدية السيميائية العربيّة ولما يستقرّ المصطلح بعد، من باب تقريب المفاهيم والمعاني خاصّة حين يتعلّق الأمر بالمصطلحات الإشكالية التي استنزفت الكثير من الجهود السيميائية.

وبما أنّ الناقد اختار لأهمّ كتبه عنوان (الدلالات المفتوحة)، وهو المصطلح المترجم للسيميوزيس، فإنّ في ذلك إشارة إلى اصطفائه له دون غيره من المصطلحات.

وفي ختام هذا المبحث يمكننا القول بأنّ الإسهامات النّقديّة لأحمد يوسف في حقل السّيميائيّات تعدّ من الدّراسات المغاربيّة الجديرة بالمتابعة. فلقد احتفت جهوده بالنّظريّة السّيميائيّة، وبالتأصيل الفلسفي لمفهوم العلامة في الخطاب النّقدي المغاربيّ والعربي.

والمطّلع على تجربة أحمد يوسف الحافلة بالبحث والمتشعّبة فيه، يجده باحثا ملمّا محيطا بالكثير من المعارف والعلوم وبكلّ المدارس السيميائية وما يطرأ عليها من تحوّلات مستمرّة، وبالتوجّهات الفكريّة والفلسفيّة والتّراثية والدينيّة...إلخ. ولكنّ طرحه الفلسفيّ ومعارفه الغزيرة التي تنساب بكلّ سهولة ويسر تكاد تغلق الفهم على القارئ المتخصّص بله غير المتخصّص حيث يصعب مجاراة أسلوبه في الطرح والكتابة، بسبب لغته المتعالية التي تشي بتعدّد روافده المعرفيّة وبتكوينه الموسوعيّ، كل هذا، أهّله لخوض غمار البحث في ماهية العلامة. فكان نتاج ذلك عدد لا يستهان به من المؤلفات المهمّة التي سبقت إلى بعضها الإشارة.

في هذا المقام تجدر بنا الإشارة إلى أنّه وعلى الرّغم من كفاءته العلميّة العالية وكتاباته النّوعيّة إلّا أنّ أحمد يوسف من المؤلّفين المقلِّين، فقد أشار في ختام مقدّمة كتابه علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب أنّه يدين بالشّكر للروائي بشير مفتي الذي اخترق الصمت الذي كان يتلبّسه، فأبطل صومه عن النشر.

كما أنّ مؤلّفاته التي طبعتها منشورات الاختلاف بالجزائر، طبعت طبعة واحدة فقط، وهو سبب انعدام وجودها في المكتبات حاليّا. ولعلّ السبب في ذلك هو إقبال الطلبة والباحثين والقرّاء على الكتب الأكاديميّة، وعزوفهم عن الكتب ذات الطابع الفلسفي.

المبحث الثاني: التمثّل الإجرائي للعلامة عند أحمد يوسف:

نحاول من خلال هذا المبحث رصد بعض أنواع العلامات السّيميائية التي اعتمد عليها أحمد يوسف في مقاربته لمختلف النصوص والمدوّنات الشعريّة. وتجدر هاهنا الإشارة إلى أنّ ناقدنا قد عزّز مساره التّأسيسي للمنهج السّيميائي بتقديمه مقاربات تحليلية لنصوص إبداعية تجسّدت في بعض المنجزات التّطبيقية على غرار كتاب "السّلالة الشعرية علامات الخفوت وسيماء اليتم" وكتاب" يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)" وهو الجزء الثاني للكتاب الأوّل، وقد حاول من خلاله الناقد رسم خريطة للمشهد الشعري الجزائري المختلف[1]. وهذا الاختلاف معناه أن يكون هذا الشعر حاملا لسمات غياب الهويّة وضياع الجينالوجية ليسم النص الشعريّ في الجزائر بميسم اليتم. وكتاب "علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب" وهو مكوّن من مجموعة مقالات وبحوث قصيرة حاول من خلالها الناقد مقاربة بعض الخطابات في ضوء النّسقية الرّمزية بوصفها أنساقا سيميائية دالّة.

وممّا ننبّه إليه في مستهلّ هذا الجزء من البحث أنّنا استعملنا المؤلَّفين الأخيرين فقط في تتبّع أنواع العلامات التي استثمرها أحمد يوسف ووظّفها باعتبارها آليات إجرائية في مقاربة مختلف

1 ينظر: سماح أسعيد، في نقد الخطاب الشعري الجزائري المعاصر من منظور الباحث أحمد يوسف – قراءة في الأصول والإجراءات– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة سطيف2، الجزائر، 2014/2013، ص 200.

النصوص الإبداعية، أمّا المؤلَّف الأوّل "السّلالة الشّعرية علامات الخفوت وسيماء اليتم" فلم نتمكّن من توفيره.

فماهي أنواع العلامات السّيميائية التي استثمرها الناقد في مقارباته التطبيقية؟ وإلى أيّ مدى استطاع تمثّل هذه العلامات في ممارساته الإجرائيّة؟

استطاع أحمد يوسف بعد اطّلاعه على العديد من التجارب الشّعرية الّتي تمثّل النص الشعري الجزائري المختلف* أن يقف على أهمّ الصفات الّتي تميّز هذا الشعر عن غيره من الألوان الشعرية الأخرى.

وممّا خلص إليه الناقد من سمات جوهريّة للشّعر المختلف هو انعدام الهوية الشعرية الّتي تقيّد ائتلافه، وتحدّد انتماءه، وتأسر لغته بردّها إلى أنساب شعريّة معيّنة، فجينالوجيا** هذا النص الشعريّ ضائعة المعالم، مجهولة الجذور، يساورها الإحساس الحادّ باليتم الّذي يدفعها إلى بناء كونها الشعريّ الذي لا تشرف عليه أيّة أبوّة متسلّطة، ولا أيّ مرجعيّة تحُدّ من جموح مغامراته

* صفة الاختلاف يقصد بها هنا الاختلاف عن الألوان والنماذج الشعرية السابقة من حيث أصولها وجذورها وهي الميزة التي وسمت شعر الحداثة في الجزائر (سنوات الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين) وبسبب تجاوزه للنماذج القديمة السائدة وخروجه عن الأصول اعلن هذا اللون من الشعر عن تفرده وتميزه واختلافه وبالتالي عن يتمه فصار يطلق على هؤلاء (شعراء اليتم) على حد تعبير احمد يوسف. وقد مضت هذه التجربة الشعرية في البحث عن الانتماء إلى زمان ومكان لها، أي إلى تاريخ وجودها لتحقق على مستواها الشعري الثقافي نموها وتطورها.

** المقصود بالجينيالوجيا في هذه المقاربة إنما هو البحث عن الأصول ومعرفة الجذور.

الإبداعيّة، كما يتّسم بقطع الأوصال بينه وبين مختلف النصوص الشعرية الجزائريّة الّتي سبقته، والنصوص العربيّة المشرقيّة والمغربيّة بل حتى الغربيّة.

إنّ هذه النتائج التي توصّل إليها أحمد يوسف جاءت بعد معاينات دقيقة وفحص عميق استعمل فيه الناقد بالإضافة إلى المنهج الموضوعاتي، حيث تمكّن بفضله من رصد تيمة اليتم التي ميّزت هذا الشعر، العديد من الأدوات المنهجية والآليات الإجرائية للمنهج السيميائي. فقد استجدى الناقد بجهاز مفاهيمي متنوّع في مقاربته لمختلف النصوص الشعرية مقاربة سيميو-تأويلية.

وممّا استثمره الناقد من أدوات إجرائية في مقاربة النصوص على اختلاف أنواعها، هو تصنيفات بورس للعلامة باعتبار علاقتها بموضوعها (**أيقونة، مؤشر، ورمز**). ولعلّ عمليّة الاستثمار هذه مردّها إلى ذلك الاطمئنان الذي وجده الناقد في هذا التّقسيم باعتباره يماثل تقسيم قدماء العرب للعلامة، فآثر الربط في ممارسته الإجرائية بين ما هو حداثي وما هو تراثي (تصنيفات بورس للعلامة هي ذاتها تصنيفات علماء العرب القدامى لها)، وإلى هنا تجدر الإشارة إلى أنّ هذا التطابق مردّه إلى وحدة الرافد المعرفي الذي نهل منه عربنا القدامى من جهة وبورس من جهة أخرى، والذي يتجلّى في المعطى الفلسفي اليوناني (أرسطو) وأفكار الرواقيّين[1]. وهذا

1 ينظر: عبد السلام مرسلي، واقع النقد السيميائي في النقد المغاربي، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016، ص 204.

ما يبرّر استئناس ناقدنا بسيميائيات بورس، ومحاولته البحث عن وشائج القربى بين التراث العربي والحداثة الغربيّة.

وانطلاقا من أنّ الشعر لعبة سيميائيّة جميلة تمارس التّسمية بالعلامات والرموز والأيقونات وكذلك بالتّأويلات الخلّاقة ممارسة إيحائيّة تفضي إلى الدّلالات المفتوحة ضمن قانون اقتصاد اللغة القائم على مبدأ الاستعارة وتقنيّات الإزاحة والتّكثيف. وفي خضّم قراءته لسيميائية الرّحيل في شعر اليتم يقول أحمد يوسف:" إنّ التحليل السّيميائي للتّرحال دون الوقوف عند العائلة اللغويّة لمفردة التّرحال والرّحيل التي تكاد تكون النسبة الغالبة في شعر" سعيد هادف" ومتناسقة مع جملة من التّيمات الّتي سيأتي ذكرها بعد حين تمثّل المستويات الثلاثة للعلامة التي حدّدها ش.بورس بـ: الممثّل والموضوع والمؤول، وسنقف على مستويات العلامة ـ الموضوع"[1]. فعلاقة العلامة بالموضوع هي إمّا أيقونيّة، أو قرينيّة أو رمزيّة.

1. المؤشر: رصد الناقد بعض التّيمات باعتبارها مؤشرات على سمة الرّحيل مثل الأوجاع، والآه، وتخوم النّقصان، والهذيان، والبدايات، واليبس ولوح نوح.

وقد استطاع الناقد أن يقف على هذه الدّلالات من خلال سياقها في النص، لأنّ المرجع الخارجي للعلامة أصبح أحد المرتكزات المعرفيّة التي لا يمكن في غيابها فهم السيرورات السيميائية

1 يتم النص والجيناوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 135.

للعلامات. كما أنّ البحوث السيميائية التّداولية قد أعطت منزلة لدور السياق في إضفاء القوانين على نشاط السيميوزيس وبيان حدود الدّلالات المفتوحة فالسّياق هو الّذي يمنح الحياة للعلامات، إذ يقول: "حيث تتجلى في سياق النص الّذي توحي بنيته برؤيا تائهة وجينالوجيا ضائعة وهوية شعريّة لا قرار لها"[1].

2 . الإيقونة: انطلاقا من رؤية بورس بأنّ "الوسيلة الوحيدة لتبليغ الأفكار تتم عن طريق الأيقونة...فكل إثبات من واجبه أن يتضمن إيقونة أو مجموعة من الأيقونات، أو عليه أن يتضمن علامات لا يمكن تأويل دلالتها إلّا بواسطة الإيقونات"[2]. ورغم إقرار أحمد يوسف بصعوبة استحضار الأيقونات التي تجسّد تيمة التّرحال والرّحيل في شعر سعيد هادف وتمثّله تمثيلا فنيّا إلّا أنه استطاع رصد بعض العلامات الأيقونية الدالّة على هذه التّيمة (برغم الغموض الكبير الذي يكتنفها وتعارضها مع المنطق المألوف وأفق توقع القارئ في كثير من الأحيان)، فاختار علامة (الشّمس) وحاول أن يبرز دلالاتها المتنوعة باعتبارها أيقونة.

3 . الرمز: يرى الناقد أن تيمة التّرحال يمكن عدّها علامة رمزية حال قراءتها في بيئتها الثّقافية وبموجب تواضعات اجتماعية محدّدة، فيصبح التّرحال رمزا للمصير الغامض، والسفر

1 المصدر السابق، ص 131.

2 يتم النص والجيناوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 131.

المضني، والانتقال من المجهول إلى المجهول وغيرها من العلامات التي تحيل على رؤية تائهة وجينالوجيا غائبة وهويّة شعريّة لا قرار لها للنص الشعري الجزائري المختلف.

4 ـ العلامة البصريّة: يعود بنا الحديث عن العلامة البصرية إلى مبحث **الشعريات البصرية** الذي تعرض له أحمد يوسف في كتابه "القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة" حين تناول بالقراءة كتاب الشعريّة العربية الحديثة " لشربل داغر" الّذي ركّز فيه على جماليات الخطاب البصري، حيث تحدّث عن الشكل الخطّي الذي تناول فيه الشعريات البصريّة التي تتجاوز إطار العلامة اللّسانية لتعالج علامات غير لسانية والتي أضحت مشهدا من مشاهد الخطاب الشعري البصري.

ويرجع أحمد يوسف الاهتمام بالخطاب البصري إلى الأبحاث التي قام بها كل من ياكبسون Jakobson الذي أقرّ بوجود علامات في الخطاب الشّعري لا يمكن أن تشملها اللّسانيات العامة. وأمّا دانييل دولا D.Delas وجاك فيليولي J.Filliolet فقد أكّدا أنّ هناك ارتباطا بين العلامات الشعريّة الخارجيّة والعلامات الشعريّة الداخليّة. أمّا غريماس Geimas فقد قدّم اقتراحا من أجل دراسة البعد البصري للخطاب الشعري الذي يتجلّى في البياض وعلامات الترقيم والهندسة الطباعيّة للنص[1].

1 ينظر: القراءة النسقيّة (سلطة البنية ووهم المحايثة)، ص 313 - 314.

واستنادا إلى نتائج هذه الأبحاث اهتمت الشعريّات العربيّة الحديثة بالعلامات غير اللّسانية، فأصبحت القصيدة الشّعرية عبارة عن "جسم طباعي، له هيئة بصريّة مظهريّة"[1] تتسرّب عبر قناتها التي تتمثّل "الإشعاعات الضوئية التي تتلقّاها الشبكة العينيّة التي تغدو ألوانا وأشكالا، وبالمثل يتعلّق الأمر بالمداخل الحسيّة الأخرى مثل اللّمس والشمّ وما يتفرّع عنهما من علامات تتّصل بالجهاز العصبي، وتتفاعل مع التّأثيرات الفيزيائيّة"[2]، وهذا يوضّح لنا التباين في الأدوار التي تؤدّيها الحواس.

استفاد أحمد يوسف من هذه الدّراسات فاهتم بالعلامات غير اللّسانية في الشعر الجزائري المختلف ليكشف عمّا يضمره من دلالات وما يحمله من معاني.

أ . المعطيات البصريّة اللغويّة:

– **هندسة الكتابة:** اهتمت القصيدة الجزائرية الحديثة بشكل الخطّ وبجماليّته، وبرسومات أغلفة الدواوين، وبالتوزيع الهندسي للوحدات اللّغوية وغيرها من الأساليب التي أهّلتها لمواكبة التغيّرات الحاصلة في مجال صناعة القصيدة الحداثية.

وقد حضي شكل النص وهندسة فضائه باهتمام بارز فصار من أهمّ عناصر بناء العمل الشعري وأولويّاته، ومن جملة ما اهتمت به القصيدة الجزائريّة من حيل إبداعية هو هندسة

1 شربل داغر، الشعرية العربية الحديثة، تحليل نصي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988، ص15.

2 سيميائيات التواصل وفعالية الحوار (المفاهيم والآليات)، ص 131.

الكتابة، بالخروج عن نمطية الكتابة تارة وأحادية القالب في القصيدة ومحاولة استدعاء تشكيلات جديدة تفجيرا لمكنونات النص وشدّا لذهن المتلقّي.

تعدّ الكتابة "موضوعا سيميوطيقيّا لأنّها نسق دلائليّ يمكن تحديده وضبطه، وتمثيل علاقاته، باعتبارها نسقا، فهي دالة، ومتضمّنة في نفس الآن للكتابة والحركة، أي للأشكال الخطيّة وطريقة بناء تلك الأشكال الخطية"[1]، ومن النماذج الشعرية التي استثمرت جماليّة الخط والتي لفتت هندستها انتباه الناقد هي ديوان "شبهات المعنى يتبعها كتاب النّدى" للَخضر شودار بريشة خطّاب، وديوان " أوجاع صفصافة في موسم الإعصار" ليوسف وغليسي بريشته وريشة معاشو أقرور ورسومات فضيلة الفاروق، وديوان "شجر الكلام" لربيعة جلطي مع رسومات رشيد، وطريقة الكتابة في ديوان "ملصقات" لعزالدين ميهوبي.

إنّ الاعتناء بجمالية الخطاب البصري والتشكيل الفني يمثّل في نظر أحمد يوسف احتياجا تعبيريّا وسمة من سمات الخطاب الشّعري الحداثي.

ومن العلامات البصرية التي استثمرها النّاقد في قراءته لإحدى نصوص الشاعر نورالدين طيبي حيث "يمارس في هذا السياق نفسه نور الدين طيبي تفكيك الجسد ليس على الصعيد الدّلالي، كما هو في النّصوص الشّعرية السّابقة وإنّما يأتيه من باب تفكيك الخطاب البصري

1 محمد الماكري، الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص87.

وإلغاء وحدته في الرّسم وتماسكه في الكتابة الخطيّة فصار شبيها بالكون السّحري لسيمياء الحروف وأسرارها..."[1].

لقد عدّ الناقد هذا الجنوح إلى تفكيك ائتلاف الحروف في كلمة (ا ل ج س د) ومخالفتها للبنية الخطيّة المعهودة علامة بصريّة تستفزّ المتلقّي وتشترط حضوره في بناء النص وإنتاج معناه. وباتّكائه عليها استطاع الناقد أن يميط اللّثام عن تلك التّراكمات الدّلالية التي حملتها هذه العلامة، فاعتبرها "محاولة للبحث عن الحرية الغائبة وتفكيك ظل الأبوّة وتجاوز جدران الجينالوجية"[2].

والخطاب البصري هو أحد الخطابات التي تندرج ضمن الممارسات الثّقافية كونه يؤثث فضاءات اليومي ويُستهلك إلى جانب الخطابات الأخرى، وله إمكانات هائلة تحفّز عمليّة استقبال المتلقّي وتشحن فعله التّأويلي بإمكانات متعدّدة، ف "جماليّة الخطاب البصري للجسد في النص تعدّ وقعا في حدّ ذاته لكونه إثارة دلاليّة أملاها اللاّتوقّع واقتضتها البرهة القصيرة التي استغرقت في المسح العيني لشكل كتابة الجسد المفكَّك خطيّا"[3].

1 يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 219.

2 المصدر نفسه، ص 219.

3 المصدر السابق، ص ن.

وهكذا أدرك الناقد قوّة الطاقة التّشكيلية التي تمارس لعبة بصريّة أساسها تفكيك ائتلاف وتماسك الحروف وإلغاء وحدتها في الرّسم من جهة وما تحدثه هذه اللّعبة البصرية من مفاجأة وخيبة توقع للمتلقّي.

وتعدّ العلامة البصريّة (إلغاء الجسد) فعلا سيميائيا داخل خريطة يتم النّص الشّعري في الجزائر. هذا الجسد الذي تحوّل عند بعض الشعراء إلى ذاكرة مثخنة بالجراح والّذي حوّله الحكّام إلى نزهة استشفّ منها أحمد يوسف أنّ الاستبداد السّياسي يمارس ماسوشية عجيبة على الأبدان، لأنه مأوى للأفكار التي تقلق، ومأوى للمؤامرات في نظر العساكر. فمثل هذا الجسد خاضع للرّقابة في كل لحظة، كما أنّه يخضع للجمركة الفكرية[1].

وبهذا يكون أحمد يوسف قد اتّكأ على سيميوطيقا بورس التي تعدّ أنموذجا مناسبا تحليل " الخطابات البصرية ودراسة معطياتها الثابتة وبخاصة ذات السّمة الإيقونية الخالصة ودراسة المعطيات المتحركة (صور السينما والتلفزيون والصور المتحركة) ودراسة المعطيات البصرية اللغويّة (الخطوط، التنظيم الطّباعي للصفحة) وكذا أنظمة التعبير الاتفاقية الأخرى (نظام المرور، التمثيل البياني للمعطيات...)"[2].

1 ينظر: يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 222.

2 الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، ص09.

وتعتبر هذه النظرية "مرتكز الاتجاهات السيميوطيقية الأكثر تطورا والمتحرّرة من هيمنة النموذج اللّساني في تعريف العلامة. وتكمن قوة النظرية في طابعها العام الذي منحها قدرة وصفيّة وتأويليّة كبيرة"[1]، فمن هذا المنظور تعتبر سيميوطيقا بورس هي أنسب منهج يُستند إليه للاشتغال على الخطابات البصريّة حتى الآن.

بقيامه بمعاينة هذه العلامة البصرية (ا ل ج س د) حاول الناقد استجلاء دلالاتها اللّسانية والأيقونية، على اعتبار أنّ المعنى موجود في العلامات والعلامات وحدها هي السبيل إلى إنتاج الدّلالات وتداولها، وهكذا تمكّن من رصد ملامح غياب الهوية وضياع الجينالوجيا في شعر اليتم. ولأنّ في إلغاء الجسد طواعية علاقة وطيدة باليتم.

يتبيّن لنا أنّ إدراك الناقد لأهمية الاشتغال الفضائي في النص الشعري من خلال خرق السّنن المألوفة عبر الجديد المعروض في فضاء جديد. وانطلاقا من وعيه بأنّ لغة الفن التّشكيلي هي نظام تعبيري تلقائي لعلامات بصرية ورموز مرئية لتبادل الأفكار والمشاعر بين أعضاء الجماعة والمجتمع، كما أنها تعدّ نظاما اتّصاليا بين الفنان وجمهوره، حيث إذا عجزت اللغة اللّفظية عن التعبير فإنّ اللّغة البصرية قادرة على التعبير المتنوع والإبداع، أدرك الناقد ما تحمله هذا العلامات من حوامل وجدانية وأغوار نفسيّة.

1 المصدر السابق، ص 10.

يعد هذا الشّكل الجديد للكتابة في النص الشعري من قبيل العلامات الإيقونية التي عملت إلى جانب العلامات اللّسانية على تشكيل فضاء النص حيث تعملان معا على اختبار الطاقة البصرية للمتلقّي للكشف عن دوالهّا وعن مسالكها. ضف إلى ذلك اشتغالها كمنبّه للقارئ يحثّه على تعديل زاوية نظره إلى النّص وإمعان البصر في تشكيله الخطيّ والهندسيّ كما أنّ هذا الامتزاج يقوّي الطاقة الدّلالية للنّص فيكسبه كثافة وسمكا.

ب ـ المعطيات البصريّة غير اللغويّة:

– **سيمياء اللون:** استثمر الناقد سيميائية اللون باعتبارها أيقونة دالّة في الصورة الشعريّة التي تشكّل تيمة التّرحال مركز فضائها الشّعريّ وهي:

ـ النّقش بالدّم (لك أن تنقش بالدّم دائرة حول تخوم النقصان ذلك هو التّرحال).

ـ فاقع رحيلك كالدّم يراق على يبوسة هذا الزّمن.

ـ سأشدّ الرّحال إلى مدن الملح والبرتقال[1].

1 يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 138.

إذ" تتشاكل-هنا-الأيقونة مع علامة الشمس ولونها الأصفر الضّارب إلى الحمرة كما أنّها تتشاكل دلاليّا مع المدى الّذي عادة ما تكون التّخوم أو كثبان الرمل أو حتّى الرّحيل ذاته"[1]، تعدّ هنا تيمة الترحال المفتاح لفهم مختلف العلامات الأيقونية الواردة في هذه الصورة الشعرية.

– **الفراغ الباني**: تناول أحمد يوسف معطى الفضاء في القصيدة المعاصرة، نظرا لأهميّته في الدخول إلى عالم المعنى، فالصفحة في القصيدة المعاصرة تتوزّع بين البياض والسّواد. فيقول: "وعليه يبدو شعر عبد الله العشّي وإسطنبول ناصر مليئا بما يسمّيه إيزر بالفراغ الباني. وتندرج لغة جيلالي كورات في هذا السياقّ[2]. وعلى الرّغم من أنّ الناقد لم يسرف في الحديث عن هذه التّقنية التي تنتمي إلى حقل نظريّة القراءة والتلقّي، إلّا أنّ إشارته إليها دليل وعيه بها بوصفها معطى بصريّا له دوره في الكشف عن المعنى والإمساك بدلالات النصوص.

كما درس الناقد إيحاءات الخطاب البصري في قصائد السّخرية في ألوان أغلفتها ورسوماتها والخطوط المرافقة للملصقات المكتفية باللون الأبيض والأسود.

5 ـ العلامات اللّغوية الخارجيّة (العتبات النصية):

لقيت العتبات / المفاتيح النصيّة اعتناء بالغ الأهمية في الدّراسات النّقدية الحديثة بعدما أولاها النّص الإبداعيّ عناية وزيّنها بمختلف ألوان البهرجة الفنيّة. ومن جملة هذه العتبات:

1 المصدر السابق، ص 138.

2 المصدر نفسه، ص 151.

العناوين، الإهداء، الغلاف... " فقد تعدّدت العتبات النصيّة، أو العلامات اللّغوية الخارجية عن بنية النص الأصليّ، أو ما يسمى ب "ما بين النص" على حد تعبير جيرار جنيت في النّصوص الشعريّة الجزائريّة، وهذا التعدّد ناتج عن تعدّد التجارب بتنوّعها، ومحاولة الشعراء التقرّب من القارئ الافتراضي، وتيسير فهم النص، من جهة، وتحميله رسالة ما من جهة أخرى.

" إنّ كلّ عتبة نصيّة أو مدخل نصيّ، يستخدمه الشاعر، ...له دلالاته وأهدافه التي يتوخّاها الشاعر من كل عتبة، ليضيء طريق النص للقارئ وليوجّه فهمه، حتى لا يضيع في مجاهل اللغة، وليعطيه ظلالا يستظلّ بها، بل قد تتحوّل العتبات إلى سياقات شعريّة، ورؤى، لا يمكن الإحاطة الشاملةبها "[1].

من هذا المنطلق اهتمّ أحمد يوسف بدراسة العتبات النصيّة وأولاها العناية اللاّزمة وخصّها بالدّراسة واعتمدها كآلية من آليات تحليل الخطاب وقراءة النصوص الشعريّة وعدّها علامات سيميائية بإمكانها الكشف عن دلالات مضمرة خلف الخطابات والنصوص، فخصّص حيّزا لتناول أبعاد سيميائية العتبات النصية سواء في مقدمة الدواوين أو في مقدمة القصائد.

1 خرفي محمد صالح، سيمياء الفضاء النصي في الشعر الجزائري المعاصر، الملتقى الوطني الرابع للسيمياء والنص الأدبي، ص03 .

أ ـ العنوان: عنوان النص هو علامة لغويّة تعلوه لتحدّده من ناحية ولتغري القارئ بقراءته من ناحية أخرى. وهو أول المراحل التي يتأمّلها الناقد للكشف عن بنيته وتراكيبه ومنطوقاته الدّلالية ومقاصده التّداولية.

كما أنّه يعدّ علامة سيميائية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص، وتؤدي وظيفة تناصيّة من ناحية ثانية إذا كان يحيل إلى نصّ خارجيّ يتناسل ويتلاقح معه شكلا وفكرة[1].

ويمكن تعريف العنوان بأنّه:" مجموع العلاقات اللّسانية التي يمكن أن ترسم على نص ما من أجل تعيينه، ومن أجل أن تشير إلى المحتوى العام وأيضا من أجل جذب القارئ"[2].

ويعدّ العنوان علامة جوهريّة مصاحبة لكل نص. وهو المفتاح الأساسيّ للنص وقد يكون واضحا مفهوما دالّا على محتوى النص دلالة ظاهرة، كما قد يكون مراوغا يحمل في طياته رموزا وإشارات لا يمكن تفكيكها إلّا بالغوص في أعماق النص.

ويلعب العنوان دورا سيميولوجيا في عالم العلامات لما يؤدّيه من وظائف متعدّدة في التواصل الثقافيّ والحضاريّ.

1 ينظر: عمار شلواي، مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم، مقاربة سيميائية، محاضرات الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر،2004، ص359.

2 حلومة التيجاني، البنية السيميائية في قصة النبي إبراهيم -عليه السلام-دراسة تحليلية سيميائية في الخطاب القرآني، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص73-74.

ولأهمية العنوان باعتباره علامة لغوية خارجية تلعب دورا مهما في تأسيس جماليّة التلقّي من خلال شعريّته من جهة، وبوصفه بعدا من أبعاد استراتيجيّة القراءة لدى المتلقي في محاولة فهم النص وتفسيره وتأويله من جهة ثانية، قدّم أحمد يوسف مقاربة سيميائية لشعريّة العناوين فالحضور العنواني له ارتباط وثيق بالثقافة الكتابيّة، وهو يبرز أمام المتلقّي بوصفه شاهدا على النص.

ومن النماذج التي قاربها الناقد هو ديوان (هذه المرة)[1]، لسُليمى رحّال الذي وجد بأنّ عناوينه قد أحدثت خيبة في توقّع أفق القارئ حين قال: "إذ تبدو عناوين هذه القصائد ذات وحدات معجميّة قصيرة جدّا تصل إلى درجة أنها لا تشكّل كلاما مفيدا بتعبير النحاة العرب مثل: الاسم الموصول "الذي" فهي مليئة بالفجوات والفراغ الذي يتطلب حضور القارئ لبناء انسجامه، مثل العنوان الذي يرد في صيغة استفهام "ما الذي؟ أو في صيغة الابتداء الذي يحتاج إلى إخبار أو موصوف؛ ولا سيما تلك المصادر التي وردت نكرات مثل :انتهاك، وانخطاف، وانهمار، وسوار، ومخاتلة، وحماسة ولياقة، وطرب ومصيدة، هذه العتبات النصيّة الّتي تشكّلها شعريّة العناوين توحي لك بأن عالم "سُليمى رحال" لا يقبل التّفاصيل المملّة، ولا الزّخرفة اللّغوية المتهالكة. إنه عالم أشبه بلغة البرق المفتوح على السؤال؛ لأنه لا يعرف الأشياء ولا يقيّد الكلمات بالختم البلاغي والإيقاع الصدّاح...إنّ لغتها غريبة ...عن أفق توقّع القارئ

1 من منشورات رابطة الاختلاف، ط1، 2000.

الذي اعتاد على الصّنعة المحبوكة بالصّور الشعريّة الموغلة ـ أحيانا ـ في العماء، والتنميق في اختيار الوحدات المعجميّة ...لقد أحدث ديوان (هذه المرة) لسُليمى رحّال خيبة في أفق توقّع المتلقّين حيث تبنّت لغة الديوان الاختزال المكثّف في بناء عالمه الشعري، فكانت أغلب نصوصه قصيرة وعناوينه مكثّفة"[1].

لقد أدرك أحمد يوسف من خلال عناوين هذا الديوان أنّ لغة الكاتبة لغة متعالية في غير كبرياء، ومغايرة للمألوف والسّائد من النّظم، وغير مطابقة لتجارب نظرائها من شعراء جيل اليتم، وهو ما يؤكّد صفة المختلف في المتن الشعري الجزائري.

ومن الدّواوين التي أثارت عناوينها حفيظة الناقد وحظيت باهتمامه عناوين قصائد "لخضر بركة" الّتي رأى بأنّها تتلاءم مع البناء الفنيّ القريب للعامّية في لغته الشعريّة والتي تتألّف في الغالب من مفردة لغوية واحدة، ونادرا ما تكون مركّبة، وإذا كانت مركّبة فهي تلجأ إلى العناوين الفرعيّة المفردة.

ويعتمد "لخضر بركة" في اختيار عناوين قصائده على اللّغة البسيطة التي تمجّد النّكرات على غرار: قطط تموء، رجل، ليل، شارع، امرأتان، مقهى صغير، شرطة، مقبرة ...يرى أحمد يوسف بأنّ استعمال الشاعر لبلاغة النّكرات التي يتحوّل بعضها إلى معارف داخل أسيقة المتن الشعري وبساطة مفرداته وأساليبه يهدف إلى محاولة اشراك المتلقّي في رسم صورة عالمه الشعريّ،

1 يتم النص والجينالوجيا الضائعة، ص 152.

ورسم صورة النص رسوما متباينة من ناحية، ويصنع ملامح كتابة الشّاعر المصمّم على المضيّ في كتابة شعريّة غير منساقة لحركة التّجريب وهو التوجّه الّذي نلفيه لدى شعراء اليتم من ناحية ثانية .[1]

ويؤكد النّاقد أنّ عناوين القصائد والدّواوين في الشعر الجزائري المختلف لم تخرج عن القضايا الّتي كانوا يطرحونها وعن تصوّرهم للحياة، الكون، الأب، الغد، لتحمل ذلك الهمّ الّذي مبعثه غياب الهويّة وضياع الجينيالوجيا.

وفي أثناء تقصّيه لمختلف المعاني التي يحملها الشعر الجزائري المختلف، استخدم أحمد يوسف هذه الآلية النقدية (آلية عتبة العنوان) باعتبارها علامة سيميائية دالّة، فقارب شعريّة عنوان ديوان اللعنة والغفران، أي الخطيئة ثمّ الرحمة لعز الدين ميهوبي، فرأى أنّ الشاعر لا يحمل قتامة جيل اليتم.

ب ـ الإهداء: من العتبات النصية التي اعتمدها أحمد يوسف لاستجلاء دلالات اليتم وخفوت السّلالة الشعريّة في الشّعر الجزائريّ هي عتبة الإهداء. فقد التفت الناقد إلى هذه العتبة بوصفها علامة خارجية توسّل بها إلى معرفة أهمّ سمات شعر اليتم وأبرز دلالاته.

1 ينظر: المصدر السابق، ص 254 - 256.

تعاملت النظريّة السيميائية مع الإهداء بوصفه نصّا مصاحبا وعلامة بصريّة ووسيطا أيقونيّا يختزل حمولات دلاليّة مكثّفة تتوافق ومضمون المتن حينا وتفارقه كاسِرة أفق تلقّي القارئ حينا آخر.

إنّ حضور هذا النص والنصوص الأخرى المصاحِبة كالعنوان، وصورة الغلاف وكلمة الناشر والمقدمة والتّصدير...إلخ لم يعد حضورا عبثيّا أو لمجرّد الزخرفة الشكليّة، ولم يعد تأثيره سطحيّا يقف عند المتعة البصريّة المنبثقة من تناسق الألوان، وتمازج الأشكال فقط، بل أصبح توظيفه يستجيب لثقافة الصورة، ويحفّز في القارئ كفاءة سيميائيّة عالية، تجعله يتسلّح بأدوات المساءلة والتّأويل، والقدرة على الربط بين جزئيّات هذه النصوص على اختلاف أنواعها وبين المتن للنّفاذ إلى المعنى المقصود.

لقد انكبّ أحمد يوسف على الاشتغال على خطاب الإهداء بوصفه خطابا رمزيّا على درجة كبيرة من الحساسية المفرطة في لغته، لا بوصفه سلوكا ثقافيّا، مهتديا في ذلك بالسّيميائيات التي تبحث عن الإيديولوجي داخل مسكن العلامة في صيرورتها العامّة التي يطلق عليها السيميائيّون السيميوزيس[1]، ويصطلح عليها هو بالدّلالات اللّامتناهية. فمن هنا تتّضح لنا معالم المنهج التي اعتمده أحمد يوسف في مقاربة هذا الخطاب وهي السيميائيات التّأويليّة.

1 ينظر: أحمد يوسف، سيميائية العتبات النصيّة (مقاربة في خطاب الإهداء، شعر اليتم في الجزائر أنموذجا)، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 15، السنة 2001.

وعن تاريخيّة الإهداء يقول أحمد يوسف أنّه استراتيجيّة يقدّر أنّ عمرها قد تزامن مع ميلاد التدوين والكتابة[1].

يرى أحمد يوسف أنّ متن الإهداء في مدوّنة الشعر الجزائري الموسوم بيتم النص تتعدّد صيغه وأشكاله ومستوياته ومقاصده. فبعضها يندرج ضمن اللغة العادية التي تخلو من أيّ انزياح، وبعضها يراهن على شعريّتها وطاقاتها التعبيريّة سواء أكان ذلك على مستوى الكتابة أم على مستوى الخطاب البصري بدلالته الإيقونيّة[2].

يطرح الناقد عدّة تساؤلات بخصوص هذه المسألة منها، هل أنّ الإهداء بوصفه علامة لسانيّة يحيلنا ـ حسب سيميوطيقا بورس ـ إلى علامات متناسلة عندما نربطها بالقطب الثالث للعلامة البيرسية، ونعني به المؤول الذي يترجمها إلى دلالات لا متناهية ضمن ما يعرف بالسيميوزيس وأيّ أنواع العلامات البيرسية المهيمنة على خطاب الإهداء هل هو الرمز أم القرينة أم الإيقونة؟ أم أنّه مجرّد علامة لا تتجاوز محيط النص، ولا تعبّر عن متنه، وتبقى مجرّد هامش غير دال؟ ثم هل يمكن القبول بوجود دوال عديمة الدّلالة سواء أتمّ النظر إليها من منظور دوسوسير أو من منظور بارث حيث تكتسي العلامة وظيفة تواصليّة إبلاغيّة دلاليّة.

1 المصدر السابق، ص 169.

2 ينظر، المصدر نفسه، ص 173.

وبعد كلّ هذه التساؤلات يخلص الناقد إلى أنّ خطاب الإهداء هو مفترق لهذه العلامات، يتقاطع فيها الرمزي مع الإيقوني مع ما هو قرينة، بحيث يرتبط وجودها بالعمليّات الاستدلاليّة التي يلجأ إليها المتلقي بعامة والمهدى إليه بخاصة[1].

وقف أحمد يوسف عند خطاب الإهداء في ديوان " اصطلاح الوهم " ل " مصطفى دحيّة" حيث يهدي عمله الشعري إلى نفسه (إلى مصطفى دحية رحمه الله ...)، فرأى بأنّ تخصيص الإهداء باسم الشاعر يتلاءم مع طبيعة شعر اليتم الذي يشعر بضياع جينالوجيّته، ويدعو إلى قتل الأب.

ومن أمثلة الخطابات التي قاربها الناقد أيضا خطاب الإهداء في قصيدة آه يا وطن الأوطان! ليوسف وغليسي، فيقول: "ولعل شعريّة الإهداء في مقدمة قصيدة آه يا وطن الأوطان! ليوسف وغليسي أبلغ تعبير عن هذا الإحساس بالغربة داخل الأوطان (إلى شعب يستوطن بلاد "الواق واق"/ إلى شعب لاجئ في وطنه! إلى الشعب الجزائري العظيم المغلوب على أمره! ..."[2].

أمّا في ديوان "انشطارات الذي مات سهوا" لـ "عياش يحياوي" فقد تنبّه أحمد يوسف إلى عتبة الإهداء التي رأى فيها علامة على إدانة ظاهرة البؤس والفقر التي لحقت بأفراد الشعب الجزائري، حيث يدين صاحب الدّيوان حالة البؤس والحرمان هاته بقوله: "إلى الذين لا يملكون

1 ينظر: المصدر السابق، ص 175-176.

2 يوسف وغليسي، أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار، رابطة إبداع، ص80. من خلال كتاب يتم النص والجينالوجيا الضائعة، ص111-112.

في وطنهم إلّا مساحة الكرتون... كلّ مساء..."[1]. وتعلن عتبة الإهداء في قصيدة النهر لـ"ميلود خيزار"، "إلى الشاعر مصطفى دحية شقيقا وصديقا في اليتم"[2] عمّا يشبه بيان اليتم الذي يقدّمه هؤلاء الشّعراء للتّعبير عن رؤيا مشتركة لهذا الجيل.

استثمر الناقد هذا الآلية السيميو- تأويليّة كما يظهر من مقارباته قراءة ديوان "كتاب الشفاعة" لعبد الله الهامل، الذي وظّف الإهداء توظيفا واعيا بشعريّته وبدلالاته وجماليّته، حين أدخل في تفكيكه وتشكيله البعد البصري. فجاء على هذا النحو:

ا هـ (ت) د ا ء:

...إلى بختي

أخيرا

فبدل (إهداء) وضع عبد الله الهامل (ا هـ (ت) د ا ء)، وهو تشكيل إيقونيّ ينطلق حسب الناقد من التأثّر بالفلسفة التفكيكية، حيث ينطلق دريدا من التّلاعب الواعي باللّغة في إبداع المفاهيم الفلسفيّة. وقد ساهم استثمار هذه العتبة في استجلاء سمات شعر اليتم من تشرّد وضياع

1 ينظر: يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف) ص 162.

2 ميلود خيزار: شرق الجسد، منشورات رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2000، ص17، من خلال كتاب يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، ص145.

وفاجعة، ثم اغتيال للكلمة والحياة والبراءة التي لا ذنب لها في الاحتقان السّياسي الدموي الذي تجسّده لفظة بختي[1] (بن عودة).

وفي ختام مقاربته لخطاب الإهداء وعلى الرغم من التّفاوت الموجود في أشكاله التعبيريّة، إلّا أنّه فعلا يتضمّن بعض السّمات الدّلالية في متن شعراء اليتم، ولا يقلّ أهمية في إبراز البعد الدلالي للنسق الشعري الذي يتجاوز بعد التطريس ويستكشف أبعاده الجمالية وأفضيته الخطابية وصيغه التعبيريّة.

ج . التهجين (التناص): من الآليات الإجرائية التي استثمرها الناقد أثناء تقفّيه آثار سمة اليتم والغربة والجينالوجيا الضائعة في الشعر الجزائري المختلف، هي آلية التناص أو كما أطلق عليها هو مصطلح (التهجين للشعر الجزائري المختلف).

التناص هو أحد المفهومات الحديثة في الكتابات النقدية العربية، ظهر اعتماداً على أطروحات النقاد الغربيّين على غرار جوليا كريستيفا وميخائيل باختين وفوكو وغيرهم، مع بعض الإضافات التي وضعها النقاد العرب.

ويقصد به "تداخل نصين أو أكثر، أو تأثر نص بنصوص أخرى، كتكرار دالّة معيّنة من باب تعلّق النص بمقتضاه، وليس من باب التكرار كإحصائية مجرّدة، وغالبا ما يكون بين أجناس

1 ينظر: سيميائية العتبات النصيّة (مقاربة في خطاب الإهداء، شعر اليتم في الجزائر أنموذجا)، ص 188.

أدبيّة مختلفة"[1]. وتعرّفه جوليا كرستيفا بأنّه:" ترحال للنصوص، وتداخل نصيّ، ففي فضاء نص معيّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة ... مقتطعة من نصوص أخرى"[2].

إنّ لجوء شعراء الشعر الجزائري المختلف إلى عمليّة استيراد النصوص هذه، جعل أحمد يوسف يعتقد أنّ هذا النوع من الشعر" يقوم بتركيب ماضيه من خلال فصل المثاقفة المشوهة، ولا غرو أن يصبح هذا النص الشعريّ هجينا يمارس لعبة التشويه بلذّة مرضيّة، وبما أنّه لا يحسّ بعبء المركز سواء أكان عربيّا مشرقيّا، أم عربيّا مغاربيّا، فهو الهامش والمركز في آن واحد، وهو غير آبه بطقس الانتساب إلى تيمات الأبوة والقبَليّة والسّلالة والوطن"[3]. أطلق الناقد مصطلح " المثاقفة المشوّهة" التي لا يمكن اعتبارها سرقات شعريّة ولا تناص، بل هي عبارة عن بناء نص على نص بطريقة ساخرة، متطفّلة، مجرِّدة النص من صاحبه[4].

لقد انتبه أحمد يوسف إلى توظيف شعراء اليتم لنصوص "صلاح عبد الصبور" و"نزار قباني" و"بدر شاكر السيّاب" وغيرهم من الشعراء الحداثيين في أشعارهم. فاعتبر بأنّ هذا التناص الذي نعته بـ "المثاقفة المشوّهة"، حين وجد بأنّه بدل أن تهاجر إليه النصوص، هاجر هو إليها، محقّقا ثقافة مشوّهة، لا يمكن اعتبارها سرقات شعريّة، ولا تناصا، فالنصوص تُتَلقّى بالهجرة إليها.

1 عبد الكريم الرياري، سيميائية التناص في شعر فاطمة ناعوت، عبر الرابط: www.diwanealarab.com يوم :2021/04/04، الساعة: 11:00سا.

2 جوليا كرستيفا، علم النص، تر: فريد الزّاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، (1997)، الدار البيضاء، دار توبقال، ط2، ص21.

3 يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص 155.

4 ينظر: المصدر نفسه، ص 155.

وهكذا ربط الناقد بين تلك الثقافة المشوهة والجينالوجيا الضائعة حيث دلالات الضّياع والغربة والاختلاف.

ويقول حين مقاربته لديوان (ملصقات) لـ "عز الدين ميهوبي" الذي وجده يحاكي (لافتات) "أحمد مطر"، " والغاية التي كان يتوخّى تحقيقها، هي تخطّي عقد النسب الشعري. لأنّه لم يجد رحما شعريّا صافيا يدّعي الانتساب إليه. وإنّما تشكّل في داخل رحم شعريّ هجين وخليط، فجاء نصّا ناقصا، ليس له سلالة صافية يزهو بها أمام القبائل الإقليميّة والقطريّة"[1].

وبالاعتماد على هذه الآلية (التناص) عزّز الناقد موقفه فيما يخص خفوت سلالة الشعر الجزائري المختلف وضياع جينالوجيّته.

وأيّا كانت مسوّغات هذا الحكم الذي أطلقه أحمد يوسف، فإنّ ما يهمّنا في هذا البحث هو استجلاء الآليات النقدية التي استثمرها في مقاربته للنصوص، ومدى فعاليتها في رصد الدّلالات والمعاني.

6 . لغة الجسد: شغل موضوع الجسد بأبعاده الدّلالية حيّزا من القضايا الفكريّة الحديثة، وقد انعكست أبعادها وتجلّياتها على الأدب عامة، وعلى المسرح ومختلف الفنون التعبيريّة والتشكيليّة التي اعتمدت على مناهج التّأويل السيميائي في تفكيك الدوال الحسيّة، والوقوف على ما ينتجه الجسد من قيم اجتماعيّة تعكس قضايا الوعي لدى المجتمعات.

1 يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأملات في الشعر الجزائري المختلف)، ص156.

ولما كان المعنى هو ضالة الباحث السيميائي، فكلّ النصوص والعلامات والأشياء والأشكال اللّغوية وغير اللّغوية تتضمّن معنى ما أو معان ما، قد تبوح بها وقد تسكت عنها. وتظلّ قدرة الباحث السيميائي رهينة بمدى قدرته على استخراج هذا المعنى وإنتاجه، بل واستنظاقه وتكليمه.

وقد كان همّ أحمد يوسف وهو ينجز هذه القراءة أن يبرز العلاقة القائمة بين الإلغاء الطوعي للجسد وبين يتم النص وجينالوجيته الضائعة.

فقام أثناء مقاربته للإلغاء الإرادي للجسد برصد المستوى النحوي لتراكيب الجسد في النص الشعري وتتّبع المستوى الدلالي المنبثق عن تلك التراكيب النحوية فانتهى إلى أنّه بتضافر المستويين النحوي والدلالي على صعيد السياق العام تكوّنت دلالة الإلغاء أو النفور أو الملكية المرغوب عنها وهي القيمة المهيمنة على تلك النصوص الشعرية[1].

إنّ الدعوة لتحرير الجسد من اللغة المنسية التي تمارس على الجسد الرّقابة والتّحريف بحجّة أنّه فاكهة للمتعة جعل بعض الشعراء يميل إلى اصطناع معجم يطفح باللّغة الإيروسية ويحتفي احتفاء كبيرا بلغة الجسد في شتاتها ووحدتها وكان للمرأة فيه حضور متميز. حيث جاهر بعضهم بالفعل الإيروسي للجسد حتى لكأنه يفوق لغة الشعر (ما جدوى الشعر في حضن امرأة) وبهذا

1 المصدر السابق، ص209.

تصبح لغة الجسد تدنيسا للمقدّس وتشييئا للجميل والجليل حتى لتكاد تصبح هذه اللغة الإيروسية أكثر إحراجا للطابو[1].

ومن هنا يرى الناقد أنّ هذا الجسد المقدّس الجميل والجليل قد فقد بعده الطّبيعي والوظيفي ليدخل في حقل ثقافي وإيديولوجي تبرزهما ثنائية الرجل/ المرأة لا كمعطيين بيولوجيين بل كبعدين ثقافيين وكعلامات تسوِّق لقيم ذكورية تحكم قيم المجتمع الجزائري.

فعلى الرغم من أنّ النّاقد يعترف بأنّه يكتفي في هذه المقاربة بالظاهر من التعدّد الدّلالي للجسد "لأننا لسنا بصدد القراءة السّيميائية التطبيقية الخالصة لـ تيمة/ علامة الجسد[2]، إلّا أنّه استطاع في بعض قراءاته للجسد أن يتّخذه علامة ثقافية مكّنته من اكتشاف ما تروّج له هذه العلامة من قيم ذكورية متجذّرة تجعل العالم مذكّرا محكوما بأسننِ السجلّ الذكوري من ناحية:

...

قاموس الجسد الغارق في الهذيان

في اللذّة

في العري وفي وشوشة الأوراق

1 ينظر: يتم النص والجينالوجيا الضائعة، ص 210.

2 ينظر: المصدر نفسه، ص 209.

بأعمال الأدغال ... عبد العال[1].

وبالبعد المادي للجسد من ناحية أخرى،

ما المرأة إن لم تكن جسدا؟ [2].

ومن خلال إلغاء الجسد بوصفه فعلا سيميائيا داخل خريطة يتم النص الشعري في الجزائر وقف الناقد على البعد الأيديولوجي بوصفه نسقا مضمرا، ففي نص العربي عمّيش تحول الجسد إلى ذاكرة مثخنة بالجراح وقد حوّله الحكّام إلى نزهة نستشف منها أنّ الاستبداد السياسيّ يمارس ماسوشية عجيبة على الأبدان فالجسد مأوى للأفكار الّتي تقلق ومأوى للمؤامرات في نظر العساكر والعسَس ما يجعل الجسد خاضعا للرّقابة في كلّ لحظة ويخضع للجمركة الفكرية.

قرأ الناقد نص "أغنية لأم بلقيس" قراءة ثقافية* أبان من خلالها على معالم مقاومة نص اليتم للسطوة الذكورية والسلطة الأسرية وحتى السياسية:

يا أم بلقيس ... أريد

أريد عشر بنات

أغزو بهن ممالك الثالوث

1 ميلود خراز شرق الجسد، ص 52.

2 أبو بكر زمال، الجوزة، مجلة القصيدة، ع05، 1996، ص16.

* قراءة تفسر النص في ظل الثقافة التي انتجته.

ألغي سلطة التّذكير

أختبر الجسد

عشرا

بهن أبدّد المعنى...

علّ حضارة/ أنثى تطهّره

وتغسل صوته المدنس

وبهذا نستطيع القول أنّ السيميائيات عموما والسيميائيات الثقافية خصوصا كان لها الفضل في استكشاف تلك المناطق المسكوت عنها في الشعر الجزائري المختلف بحثا عن المعنى وكيف يتجلّى. وأنّ النص فرس أصيل لا تعطي قيادها إلّا لفارس متمرّس في عمله وذوقه، وقد ولج أحمد يوسف النص بفروسيّة علميّة محكمة الأدوات والإجراءات.

7 ـ الأشكال الرّمزية: تنتهي بنا عملية البحث والتقصّي لبعض التصوّرات السّيميائية إلى أنّها (السيميائيات) تميل لأن تكون تأمّلا فلسفيّا يضطلع بإبداع المفاهيم ومحاولة فهم العلامات ونشاطها الرّمزي على أنها علم له موضوع محدّد يتمثّل في دراسة العلامات، وأنّها تكتسي الطّابع الصّارم للعلم.

وتحت هذا الطرح تنضوي فلسفة **كاسيرر** محاولة إيلاء العناية باللّغة ومختلف الأشكال الرّمزية بهدف إضفاء الصّبغة الرّمزية على طبيعة التّفكير الإنساني انطلاقا من اعتباره "**حيوانا رامزا**"[1]، وليس حيوانا ناطقا كما كان سائدا من قبل. وذلك بعد ارتقاءه من خلال إضفاءه البعد الرّمزي على ذكائه وخياله.

تمثل اللّغة البشرية الطور المتقدّم في حياة الانسان بحيث استطاع بواسطتها الانتقال من "طور الطّبيعة إلى طور الثّقافة، أي من طور العلامات إلى طور الرّموز القابلة للتّعميم على مساحة واسعة من نشاط الفكر الإنساني"[2]. ومن خلال هذا الطرح يتأتّى لنا بأنّ الرّموز هي ما يضفي الدّلالة على حياة الإنسان وهو ما نجده في كثير من الأشكال الرّمزيّة كالدّين واللّغة والأسطورة والفن كما يرى كاسيرر.

فللإنسان قدرة خلاّقة على إنتاج العلامات الّتي تصبح فيضا رمزيّا عندما يضفي عليها بعد الدّلالة فتغدو ذات طبيعة نسقيّة محايثة ولكنها في الوقت نفسه مفتوحة وهي ما يسمّيها بورس بالسّيميوزيس أو الدلالات المفتوحة ذلك أنّ الرّموز والعلامات في نظر كاسيرر متباينتان من حيث المنطلق.

1 E, cassirer, Essai sur l. homme, éd.Minuit, paris, 1975, p44 . 45

(من خلال كتاب السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص 61.

2 السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص61.

فالعلامات تنتمي إلى عالم الطبيعة بينما تنتمي الرّموز إلى فضاء المعنى وبذخه في عالم الانسان كما أنّ اللّغة والدّين والأسطورة وكلّ الأشكال الأخرى تخضع لمبدأ الرمزيّة وهو المبدأ الذي يساعد الإنسان على عمليّة الإبداع الثّقافيّ وإنتاج الأنساق السّيميائية الدّالة[1]، كما يساعده على إضفاء الدّلالة على حياته.

في كتابه علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب عدّ أحمد يوسف بعض المواضيع كالدّين والسّياسة والحريّة وأدب المنفى والأسطورة والفلسفة وغيرها بمثابة أنساق رمزيّة دالّة، و" كأنّها كيانات تدعو العقول وملكات الفهم إلى استكشاف أنساقها، وتفسير تمثيلاتها"[2]. أنساق رمزية تضطلع بتمثّل ما يحيط بها من علامات غير متناهية وما تنتجه من علامات بدورها.

فضّل أحمد يوسف أن يدرس هذه العلامات دراسة بعيدة عن النسقيّة المحايثة (المغلقة) المخلصة للنّزعة البنوية، لإيمانه بأنّ هذه العلامات (الموضوعات) لها صلة بالإنسان والمجتمع وهو ما سيجعل إجراءات النسقية المغلقة تتعثّر بمجرد خروجها من غمد النزعة الشكلية.

ومن أجل مقاربة هذه العلامات (الحرية، أدب المنفى، السياسة، الدين ...) التي تعدّ من المنظور السّيميائي مواضيع قابلة للتفسير–الذي ركنت إليه السيميائيات المحايثة قصد الحفاظ على مقارباتها العلمية–مقاربة بعيدة عن النسقيّة المغلقة. فاستثمر الناقد آلية الفهم، وهو ما

1 ينظر: المصدر السابق، ص 65.

2 علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، ص 14.

يستدرج السّيميائيات للانتقال من مجال العلم إلى مجال الفلسفة والتّأويل. وهكذا يمكن وصف هذا الانتقال بأنّه عبور آمن من الحساب إلى الخطاب[1].

المسوغات المنهجيّة للسّيميائيات في مدارسة خطاب السّياسة والدّين:

يبسط أحمد يوسف بعض المسوّغات المنهجيّة للسّيميائيات في مدارسة الأنساق الرمزيّة بدءا من الملفوظات البسيطة وانتهاء بالخطابات العلميّة. فبما أنّ السيميائيات هي ذلك العلم الذي يضطلع بدراسة حياة العلامات داخل الوسط الاجتماعي كما تصورها دوسوسير أوّل مرة في دروسه حول اللّسانيات العامة. فإنّ السيميائيات التي تعدّ نظريّة لعلم العلامات وللخطابات والأنساق الدالّة تغدو من وجهة دراسة علمية للأنساق الدالّة جميعا.

وهو الأمر الذي جعل تيارا آخر يظهر في الاتحاد السوفياتي سابقا، اتّخذ من الثّقافة موضوعا للسيميائيات كما هو شأن مدرسة **تارتو**، ولهذا بات من اللاّزم ربط العلامات بأسيقتها الاجتماعية والثقافية والمعرفيّة، فالعلامات تعدّ جسرا للتّواصل بين الأفراد والجماعات، وبين مختلف المؤسّسات البانية لكلّ ما هو جماعي.

وانطلاقا من ذلك فإنّ السّيميائيات بوصفها علما للثّقافة تغدو في الآن نفسه علما للسياسة، بل هي علم لتطوير المجتمعات وإصلاحها وتحسين أدائها كذلك. ذلك أنّ العلامات

1 ينظر: المصدر السابق، ص 16.

لا تكسو الفكر أيّا كان عن طريق الصدفة، ولا تكفّ أن تكون مجرّد حامل لثقله وأعبائه، بل هي المسلك الوحيد للمحتويات التي تتخلّق في الأشكال، ومن ثمّ تصبح ذات دلالة وتواصل"[1].

ومن هذا المنطلق فإنّ النّسقية الرمزيّة التي يتوافر عليها خطابا الدين والسّياسة تخضع لقانون الدّلالة والتواصل، وقد نبّه أحمد يوسف إلى أنّ هذه الأنساق السيميائية تقلّ في بنائها السيميائي درجة الاعتباطيّة، وهو الأمر الذي سيخيّب نظر دوسوسير بخصوص الأنساق السيميائية غير اللسانيّة. وتأسيسا على ما سبق ذكره تهتمّ السيميائيات التّأويلية بتحديد مقصديّة الخطابين، لأنّ ذلك يتعاضل مع الحمولة الدّلاليّة التي تتضمّنها الأنساق الرمزيّة.

إنّ ميدان السيميائيات العامّة هو المعنى ونظريّة الخطاب وعوالم الثّقافة الّتي تمثّل تلك الوساطة بين ما هو فردي وما هو جماعي، لهذا السّبب تصنّف السيميائيات بوصفها علما للثّقافة وعلما للّسياسة وعلما للإيديولوجيا وهو ما يؤهّلها لمدارسة خطابي السّياسة والدّين.

بما أن الدّين والسّياسة كليهما يمثّل نشاط السّلوك الإنساني فإنّه يعدّ أرضية خصبة للدّراسات السّيميائية الّتي تدرس أنساق العلامات الدّالة، وتتقفّى آثار المعنى. يرى أحمد يوسف أنّه من الواجب الانتقال من مستوى خطابي الدّين والسّياسة كونهما سياقا معرفيّا إلى مستوى الخطاب الدّيني والخطاب السّياسي بوصفهما ممارسة إنسانية يمكن فهمها ونقدها.

1 علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، ص27 -28.

تعدّ اللّغة هي الدّعامة والرّكيزة الأساسية لهذين النّسقين الرّمزيين (الدّين والسّياسة)، كونها تحدِّد مجال حركة الخطابين ضمن قانون التّركيب السّيميائي إن على صعيد العلامات اللسانيّة (اللفظية)، فعماد الحجاج فيهما حسن الكلام وقوة الإقناع، وإن على صعيد العلامات غير اللسانيّة (غير اللّفظية)، فكلاهما يصطنع اللّباس واللّون وحركة الجسد. وبما أنّها (اللغة) عماد الثّقافة، وبها تتحدّد هويّات الشّرائع فقد ارتبط الإسلام بالعربيّة وارتبطت المسيحيّة باللاتينية وارتبطت اليهوديّة بالعبريّة. وعليه فقد ارتبطت هويّات الطوائف بطرائق رمزيّة متباينة كالختان التي كانت علامة يستدلّ فيها على تحديد هويّة المسلم للقضاء عليه لدى محاكم التّفتيش[1].

تعرّض أحمد يوسف لجملة من العلاقات التي تربط بين النّسقين الرّمزيين (الدّين والسّياسة) من حيث اكتساب خطابيهما بعدا **تطابقيا**. ويتجلّى ذلك بشكل كبير في الدّين الإسلاميّ لكونه يعدّ نظام حياة متكامل. ومن هذا المنطلق (التطابق بين الدّين والسّياسة) تصبح المؤسسات الدّينيّة طرفا مركزيّا في الحياة السّياسيّة، التي تضفي عليها أبعادا رمزيّة مقدّسة يتجسّد خطابها خاصة أثناء المواعيد الانتخابية التي تستعمل بعض الشعارات من قبيل (صوتك أمانة تسأل عنه يوم القيامة)، فيصبح الصوت الانتخابي رمزا دينيّا.

1 ينظر المصدر السابق، ص 41.

ويتجلّى التطابق بين الدّين والسّياسة في آليات التّناص الّتي يوظّفها الخطاب السّياسي، وذلك عن طريق الاستشهاد بالنّصوص الدّينيّة. وكذلك يوظف الخطاب الدّيني السّياسة في آلياته الحجاجيّة، واستعمال الأحداث والمواقف السياسية لدعم حجج ونقض أخرى[1].

ومن المظاهر التي تجسّد طبيعة **التقاطع** بين الخطابين هو ذلك المشهد الخطابي (القسم) أثناء تسلّم السلطة أو المناصب السامية في الدّولة أو الوقوف أمام العدالة أو ...الذي يعدّ فعلا كلاميّا ذو طبيعة إنجازيّة. يقتضي من النّاحية الرّمزية التزاما دينيا أمام الله ثم أمام القانون والمجتمع ثانيا بأداء الواجب الوطني وحفظ الأمانات وصون الحريّات والنظام العام و ...، كما أنّه يعبّر عن الولاء للدّين والانتماء للوطن واحترام المؤسّسات[2].

أمّا مستوى **التناظر (التوازي)** بين الخطابين فإنّه يعكس حالة من التوتّر بين النّسقين الرّمزيين للخطابين، وهنا يطفو الحديث عن العلمانية التي تدعو إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة.

يعتقد أحمد يوسف بأنّ السّيميائيات عامّة وسيميائيات الثّقافة خاصة كفيلة بتوضيح الحمولة الرّوحيّة للرّموز الدّينية التي تلتصق بالعقيدة والهوية، وإنّها ليست مجرد مظاهر خارجيّة، وإنّما هي موقف يتّخذ حينما يتمّ الإحساس بأنّ ثمة من يتربّص الدوائر بهذه النسقيّة الرمزيّة،

1 ينظر: علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، ص 43.

2 ينظر: المصدر نفسه، ص 44-45.

ويهدّد وجودها. ومن الأمثلة التي أوردها الناقد في هذه المسألة هي تحايل بعض الأشخاص على الأوامر التي فرضتها بعض الدوائر الإدارية في بعض الدول بعد قبول صور الأشخاص الشمسية باللحى في البطاقات الرسمية (بطاقة الهوية، جواز السفر وغيرها) وذلك من خلال تجريد صورهم من اللّحى بواسطة الماسح الضوئي (السكانير) تلبية لاجتهادات بعض الفتاوى الشرعية.

ومن الأمثلة التي ساقها أحمد يوسف كذلك أنّ اللّباس أصبح في بعض البلدان الإسلامية رمزا للزهد في السّلطة، ففي أندونيسيا مثلا يحمل لبس الجبّة رمز الالتزام بتطبيق تعاليم الدّين الإسلامي في سلوك المؤمن عامة ولطائفة الحجّاج الذين زاروا البقاع المقدّسة وكان لهم نصيب من التفقّه في دينهم خاصّة. وممّا يحمله لباس هؤلاء كذلك من دلالات هو عدم الخضوع لسلطة الدّولة. بل إنّ هذا اللّباس أصبح يمثّل تعبيرا عن الهويّة الطائفية فلأهل السنّة لباسهم الذي يميّزهم وللشيعة عمامتهم ولباسهم الأسود وللطائفة الدّرزيّة نمطها في اللباس واللحى والشوارب[1].

أ ـ الحريّة والسياسة: وأثناء مقاربته السّيميائية لموضوع الحرية يرى أحمد يوسف بأنّ النظر إليها على أنّها ممثل representamen فردي أو كيفي أو قانوني فقط لا يجعلها علامة دالّة مالم تتجلّ في موضوع، وعادة ما يكون هذا الموضوع هو الإنسان وإرادته الخيّرة أو العشيرة أو القبيلة

1 ينظر: علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، ص47-51.

أو المجتمع، ولإدراك موضوع الحريّة من الوجهة السّيميائية ينبغي تتبّع مستوياتها الرمزيّة والأيقونيّة والطّبيعية (المؤشرات) التي تتجسّد في المؤولات interprétants [1].

وبناء على ما تمّ بيانه في هذه الأسطر يتّضح لنا أنّ أحمد يوسف يعتبر أنّ الظواهر الثقافية هي موضوعات تواصليّة، أو أنساق تواصليّة أي علامات. فالعلاقات الاجتماعية الإنسانية لا تتأسس إلا بناء على نسيج من العلاقات التواصلية، فكل السّلوكات والنشاطات التي يقوم بها الإنسان مشبعة بالمعنى.

وانطلاقا من هذا الاعتبار فإن الثقافة باعتبارها الوعاء الشامل، الذي تدخل فيه جميع أنواع السلوكات الفردية والجماعيّة تتعلّق بإنتاج العلامات واستخدامها. وهذا هو جوهر اشتغال السيميائيات الثقافيّة التي ترى بأنّ السيميولوجيا هي العلم الذي يعنى بدراسة الظواهر الثقافية باعتبارها علامات أي عمليات تواصلية.

فالعلامة من وجهة النظر هذه هي كل ظاهرة ثقافية تؤدي وظيفة تواصلية أو إبلاغية، في ظل شروط وظروف ملائمة، وهي حسب أنصار هذه المدرسة، لا تكتسب دلالتها إلّا من خلال وضعها في إطار ثقافي محدد[2]. وعليه فإنّ العلامة في سيمياء الثقافة هي موضوع يكتسب دلالته من خلال تواجده ضمن إطار ثقافي ما.

1 المصدر السابق، ص 66-76.

2 ينظر: نصيرة عيسى مبارك، فلسفة العلامة عند رولان بارث (الأسطورة ونسق الزيّ)، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2010 ـ 2011، ص 24.

ب ـ أدب المنفى: عدّ الناقد أدب المنفى نسقا سيميائيّا دالاّ بمشمولاته المادية وإشعاعاته الرّوحية. فهو في تصوره كتابة (علامة) تتضمّن دلالات الغربة والقهر والقمع والاستبداد والنّفي، إضافة إلى دلالات الحنين إلى الأوطان والتعطّش للحرية وعوالمها الرحبة والعيش في كنف الكرامة والمواطنة.

وفي أثناء تعرّضه للغة أدب المنفى الّتي وصفها بأنّها لغة الجسد لما لها من جسارة لغوية عدّ الناقد ريشة الأديب المنفيّ بأنّها علامة ذات دلالات مفتوحة يتناسل فيها المعنى تناسلا تتحكم فيه المقتضيات التّداولية. فالريشة إيقونة دالّة على فعل الإحساس بالألم والوجع واللذّة في الوقت ذاته.

ويرى ناقدنا أنّ كتابة المنفى هو تعبير أيقوني تتجلّى آياته في الاستعارات التي نتألمّ بها داخل لغة الجسد[1]. كما تنتج الذّاكرة واللغة لدى الأديب المنفيّ دلالات رمزيّة مفتوحة تجسدها رهانات اللّغة على وجه الخصوص.

إنّ أدب المنفى بوصفه شكلا (نسقا) رمزيا يتميّز عن غيره من الإبداعات الأدبيّة والفنيّة بالأناقة اللّغوية[2]، الّتي من مظاهرها الاحتفاء بالمحكيات المطرّسة وبجماليات الاستهلال بخاصة وشعريات العتبات النصية وأبعادها الرّمزية –في نظر الناقد–وهذه علامات تحمل دلالات مفتوحة

1 ينظر: علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، ص 168.

2 المصدر نفسه، ص 180.

ذات ايحاءات سيميائية عميقة عمق الجراح الغائرة في أنفس هؤلاء الأدباء والكتّاب والفنّانين المخرَجين من ديارهم والمكرَهين على مغادرتها.

وهكذا استفاد أحمد يوسف ممّا وفرته المناهج النقدية الغربية المعاصرة من نظريات ومفاهيم وأدوات إجرائية في مقاربته للنصوص العربية وبهذا يتّضح لنا أنّ الناقد سعى بعد توطينه المناهج الغربية المشهد النقدي المغاربي صبغها أيضا بصبغة محلية عربية ومغاربية. ممّا أضفى طابع الخصوصيّة على النقد المغاربيّ.

وتجدر الإشارة إلى أنّ أحمد يوسف من النقّاد الجزائريّين الذين أثبتوا وفاءهم للتّراث النقديّ العربي القديم، ويظهر ذلك جليّا في تنظيراته السيميائية من خلال ربط الباحث للنظريّة السّيميائية الحديثة بالإرث العربيّ من خلال تصوّرات قدماء العرب حول أبعاد العلامة ووظيفتها الرمزيّة.

بسبب ما بدا له من عوار النسقية التي تنطلق من اختيار مبدا المحايثة إطارا لمشروعها الذي تريد له أن ينتظم في المجال العلمي (دراسة الأدب دراسة علميّة) ويكسب منه مشروعيّته، وهي غايات مشروعة طبعا تهدف إلى إضافة سمة العلميّة على العلوم الاجتماعية والإنسانية إلّا أنّ أمر النسقيّة المغلقة يتغيّر حينما يخرج من غمد النّزعة الشكليّة إلى رحابة الموضوعات التي لها صلة بالإنسان والمجتمع، لهذا السّبب جنح الناقد إلى مقاربة هذه الموضوعات مقاربة سيميائيّة تعتمد على مبادئ السيميائيات المحايثة (التفسير) لإضفاء صفة العلميّة عليها ممزوجة بآليات

السيميائيات التأويلية (الفهم)، بهذا يكون ناقدنا قد انتقل من زاوية العلم إلى زاوية الفلسفة والتأويل ومن مرحلة الحساب إلى مرحلة الخطاب.

من خلال ما سبق تتّضح لنا معالم المنهج الذي آثره أحمد يوسف، فهو منهج توليفيّ، مزج فيه الناقد بين مجموعة من التصوّرات السّيميائية. منها تصوّرات دوسوسير السّيميولوجية ذات النزعة الاجتماعيّة والقائمة على ثنائيّة الدال والمدلول واعتباطية العلاقة بينهما، وعلى تصوّرات بارث الّذي دعا إلى ضرورة تطبيق اللّغة على الأنساق غير اللّفظية، مادام أنّ دائرة البحث السيميولوجي تحتوي كل الأنظمة الدالّة وكلّ الوقائع تدلّ فلا ضير من تطبيق المقاييس اللّسانية على الوقائع غير اللّفظية. وعلى آليات بورس التّحليليّة التي تضمن مبدأ الدّلالات المفتوحة التي يشارك في إنتاجها المتلقّي.

من خلال المنهجيّة التي اعتمدها الناقد في أعماله التنظيريّة التّأسيسيّة (البحث في أصول النظريات وفي جذورها المعرفيّة، وفي خلفيّاتها الفلسفيّة، وفي ظروف نشأتها)، يمكننا القول بأنّه قام بقراءة النقد الغربي قراءة سياقية واعية آخذة بعين الاعتبار كل السّياقات الخارجيّة التي رافقت ميلاد النظريّة السيميائية، وهذه تعتبر عمليّة مراجعةٍ ومحاورةٍ ومساءلةٍ تكشف المسكوت عنه ومن ثمّ تحرّره من كل الترسّبات وكل ما من شأنه أن يعيق حركته وتلقّيه في العالم العربي.

وهكذا نجد أنفسنا أمام صوت مغاربيّ تبنّى النموذج الغربي واستوعبه استيعابا واعيا، تجلّى في ممارساته التطبيقيّة باعتبارها ـ كما يرى عبد المالك مرتاض ـ ثمرة من ثمرات النقد النظري الّذي يزوّدها بالأصول والمعايير والإجراءات والأدوات، ويؤسّس لها الأسس المنهجيّة التي يمكن أن يتّخذ منها سبيلا يسلكها أثناء دراسة النصوص النقدية أو تشريحها أو التعليق عليها أو تأويلها، والتي على الرغم من قلّتها إلّا أنّها أبانت عن مقدرة الناقد على توظيف النظريّات الغربية توظيفا يراعي خصوصيات النص العربي " فالنص العربي هو بالبداهة نص مغاير في روحه وفضائه ولغته للنص الغربي الذي تمتّ إليه تلك المناهج بصلات اللغة والذاكرة والتاريخ"[1]، وقد ظهر ذلك في حسن توظيف الناقد للإجراءات النقدية للمنهج السيميائي والفعل التّأويلي وحسن استثمارها وتمثّلها من خلال حسن ترجمة المصطلحات من جهة والابتعاد عن التطبيق الآلي الميكانيكي لتلك الإجراءات النقدية الغربية من جهة ثانية.

1 عبد العزيز بن عرفة، مقدمات وممارسات في النقد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط1، 1993، ص363.

الفصـــل الثالث

العلامة وتمثّلاتها عند سعيد بنكراد

المبحث الأول: المفهوم النّظري للعلامة عند سعيد بنكراد

المبحث الثاني: الاستثمار الإجرائي للعلامة عند سعيد بنكراد

تمهيد:

يعدّ بنكراد أحد الأسماء اللاّمعة في المشهد الثقافي المغاربي، فقد بدأ منذ ثمانينيّات القرن الماضي يشيّد لنفسه حيّزا خاصا به كباحث في مجال السيميائيات، وفي ميدان رصد المعنى أينما وجِد (لغوي وغير لغوي) وكيفما تمظهر (في النص، والعلامات، والصور، والأشكال ...).

وللباحث مساهمة قيّمة وملموسة، سواء في ترويج الدّرس السّيميائي والسّردي، وتكييفه مع خصوصيات النص المحلّي، أو في تطويع مفاهيمه وضبط مصطلحاته بما يحفظ للجملة العربيّة سلامتها ودقّتها... لقد تحمّل الباحث عبء تعريب وترويج مفاهيم نقديّة وكتابيّة جديدة، بالخصوص في ميدان السّيميائيات السّردية التي بدأت تبحث لها في ذلك الوقت عن موطئ قدم في الجامعة المغربيّة[1] والمغاربيّة.

أخذ بنكراد –على غرار ثلّة من نظرائه ممّن تصدّوا للنظريات النّقدية الغربية–على عاتقه مهمّة نقل أطروحات بورس السّيميائيّة إلى السّاحة النّقديّة المغاربيّة على الرّغم من عسر وصعوبة استيعاب هذه النظريّة المستحدثة، ممّا يستدعي استحضار مرجعيّات فكريّة متنوّعة لفهم المقاصد العميقة لكلّ مقترح نظريّ[2].

1 ينظر: إدريس جبري، في سيمياء الشخصية والجسد (مدخل لقراءة أعمال سعيد بنكراد)، مجلة علامات، العدد 20 ـ 2003، ص 02.

2 ينظر: السيميائيات والتّأويل (مدخل لسيميائيات ش.س. بورس)، المقدّمة.

إنّ الفراغ الذي لمسه بنكراد في ميدان البحث السيميائي وما تعلّق بفلسفة العلامة، جعله يبمّم وجهه شطر المدرسة الأنجلوساكسونيّة، لاستدراك ما تعاني منه السّاحة النّقديّة المغاربيّة خاصة والعربيّة عامة في هذا المجال من نقص. فتناول تصورات بورس للعلامة ترجمة وتأليفا.

يلفي الباحث المتصفّح لأعمال بنكراد تحوّلا نوعيّا في طريقة تعامله مع النظريّة السيميائية، فقد انتقل فيها من مرحلة الترجمة والشرح والبحث في موضوع السيميائيات ونشأتها وضبط مصطلحاتها، وكذا البحث في مفهوم العلامة ومكوناتها وتصنيفاتها، إلى مرحلة القراءة المعمّقة والبحث الدّقيق في نظرية المقولات واتصالها بمفهوم العلامة، وسيرورة اشتغالها وإنتاجها للسيميوز، ومسائل أخرى تتعلّق بتشكّل المعنى وفعل التّأويل وغيرها من المسائل التي تقوم عليها نظرية بورس السيميائيّة.

يعدّ كتاب السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها (2003)، مرجعا ثريّا جدّا بما يحمله في ثناياه من مفاهيم نظرية دقيقة ونماذج تطبيقية. وأبرز ما يميّز هذا الكتاب هو تركيزه على موضوع السيميائيات، وحدودها النظرية، ومبادئها التحليلية أكثر من تركيزه على أصولها الفلسفية وجذورها التاريخيّة.

وجّه بنكراد مؤلَّفه هذا للقارئ المتخصّص وغير المتخصّص بأسلوب بسيط لتمكينه من الاقتراب من هذا الميدان المعرفي الواسع الذي له اقتراحاته في قراءة الوقائع الإنسانية، وله موقعه المميّز في الدراسات الإنسانية الحديثة، وله رؤيته الخاصة للعالم.

وعلى الرّغم من أنّ الناقد خصّص الفصل الثاني من الكتاب للحديث عن الاتجاه الأوروبي السيميولوجي عند دوسوسير، إلّا أنّ الكتاب يُظهر التوجّه الأنجلوساكسوني للناقد نظرا لما حواه بين ثناياه من عناوين ومواضيع تدور في فلك سيميائيات بورس. فقد خصّص الفصل الثالث لسيميائيات ش س بورس، أين استعرض تصوراته لهذا العلم، وما يربطه بعلم المنطق والفينومينولوجيا ونظرية المقولات ونظريّة التّأويل، ومناقشته لمفهوم العلامة البورسيّة ومكوّناتها.

وفي بقيّة فصول الكتاب مواضيع تصبّ كلّها في هذا الاتجاه، من قبيل: سيميولوجيا الأنساق البصريّة، الذي حدّد فيه المقترحات التي جاءت بها السيميولوجيا في مجال الصورة، قراءة سيميائية في ألبوم فوتوغرافي، وهو عبارة عن تطبيق إجرائي استثمر فيه الناقد الآليات التي تتيحها السيميائيات في ميدان تحليل الصورة الفوتوغرافيّة، سيميائية النسق الإيمائي (الجسد ولغاته) ومن خلاله قدّم الناقد قراءة لنسق إيمائي يتّسم بالتعقيد والتركيب، وكلّها مسائل تفرّعت من تصوّرات بورس السيميائية. أمّا الفصل الأخير المعنون ب "النص بين التعدّد التّأويلي والإحالة الأحاديّة"، ففيه اشتغل الناقد على العديد من مسائل المعنى والتّأويل.

وفي كتابه مسالك المعنى يجد الباحث أنّ بنكراد يستقي مفاهيمه من دراسات بورس حول العلامة والفكر السيميائي، وكذا نظرية العوالم الممكنة والمقولات التي أفرد لها في كتابه: "النص السردي نحو سيميائيات للأيديولوجيا" حيّزا واسعا، وتوقف عندها مليّا شرحا وتفصيلا، فقد ناقش الكتاب " جملة من القضايا الخاصة بالتّدليل كما تبلوره آلية النص السّردي عبر الأيديولوجيا والسّرد وعالم الممكنات، إنّها أبعاد مكوّنة لماهية النص السّردي ومكوّنة لأسس تأويله وسبل التفاعل معه"[1].

أمّا كتابه "السّيميائيات والتّأويل" (مدخل لسيميائيات ش س بورس)، فيعدّ كتابا تنظيريّا تأصيليّا لتصور بورس العلاماتي بامتياز. استهلّه بمقدّمة تمهيدية عن مسار حياة بورس. وخصّص ما تبقّى منه من فصول لطرح كلّ القضايا والمسائل المتعلّقة بفكر بورس العلاماتي، بدءا بنظرية المقولات بوصفها الأساس الذي ارتكزت عليه السيميائيات لصياغة تصوّراتها النظرية[2].

كما تناول قضايا العلامة والسيرورة التدليليّة، فقدّم تعريفات العلامة ومكوّناتها وعناصرها وعلاقة هذه المكوّنات فيما بينها. وممّا تناوله المؤلّف في هذا الكتاب قضايا التأويل ومبدأ السيميوزيس اللامتناهية، فالعلامة عند بورس لا يمكن لها أن تستقرّ على حال من خلال سلسلة الإحالات حيث يوجد المعنى.

1 ينظر: سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للأيديولوجيا، دار الزمان، الرباط، المغرب، 1996، ص 5.

2 سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل (مدخل لسيميائيات ش س بورس)، ص 36.

واستنادا إلى ما في هذا الكتاب وما حواه من مسائل وقضايا تدور كلّها في فلك تصوّرات بورس السيميائية ومنطلقاتها يمكننا الجزم بأنّ هذا الكتاب يعدّ مرجعا أساسيا في فهم الطرح البورسي للعلامة وأصولها وامتداداتها.

وهذا يجرّنا إلى الحديث عن مسألة الأساس الإبستيمولوجي، إذ لا يمكن الحديث عن نظريّة متكاملة إلّا من خلال الكشف عن الأسس المعرفيّة التي انبنت عليها، لأنّ هذه الأسس المعرفيّة تخفي بداخلها تصوّرات للعالم والإنسان والوجود. فالوعي بالأصول التي انبنت عليها وتشكّلت منها النظرية من شأنه أن يعين الباحث على معرفة حدودها وآليات توظيفها. لأنّ عدم امتلاك الباحث للأدوات الإجرائية النقديّة عند محاولته تبنّي نظرية ما لمقاربة ظاهرة ما، يجعله في عجز وقصور وعي واضح.

ومن الأعمال التي تعكس أيضا التوجّه البورسي لبنكراد كتابه التأويل وتجربة المعنى، السيرورة السيميائية والمقولات (قراءة في فلسفة بورس السيميائية) مقال، والعديد من الأعمال الأخرى في مجال الصورة الإشهاريّة. ومن ترجماته، كتاب: الصورة (المكوّنات والتّأويل) لـ غي غوتيي، كتاب: التّأويل بين السيميائيات والتفكيكيّة لأمبرتو إيكو.

إنّ اهتمام الباحث بالسيميائيات الأمريكيّة لم يمنعه من الاشتغال على سيميولوجيا دوسوسير، فقد زاوج في بعض أعماله التطبيقيّة بين تصورات السّيميولوجيا السّوسيرية

والسيميائيات البورسيّة، على غرار (مقال التّرميز السياسي وبناء الهويّة، التّأويل بين التناظر والتّدلال، العوالم العارية ...إلخ).

وممّا يعلي من قيمة أعمال بنكراد التي اشتغلت على نظرية بورس العلاماتية هو اعتماده على المصادر الأصول لهذه النظريّة وذلك من خلال كتابات بورس الأصليّة، وكتابات جيرار دولودال، وأمبرتو إيكو وغيرهما.

دوافع الكتابة لدى سعيد بنكراد:

كثيرة هي الأسباب التي حذت بسعيد بنكراد إلى خوض غمار المنهج السيميائي من جملتها:

– الفراغ النقدي، ومعناه استشعار الناقد غياب نقد سيميائي ناضج يساير آخر تطورات الفكر النقدي الغربي.

– افتقار المكتبة العربية لمصادر كافية تعرّف بالنظريّة السيميائيات، وعن ذلك يقرّ بنكراد قائلا: "وعلى رأس الحجج، افتقار مكتبتنا العربية إلى مصادر عن السيميائية ..."[1].

– قصور المحاولات الأولى التي سعت إلى نقل النظريّة السيميائية إلى الوطن العربي عن تمثّل منهج سيميائي مبني على أسس علميّة لا تنفصل نتائجه عن مقدّماته، وتوافق تصوّراته تصوّرات

1 سعيد بنكراد، عبر الموقع: www.saidbengrad.net/cv.htm تاريخ الزيارة: 20/ 03/ 2019.

مؤسّسي هذا العلم، على غرار دوسوسير وبورس وكريستيفا. فما كان موجودا من محاولات لم يناقش أهمّ القضايا المطروحة في عصره آنذاك ولم يِؤسّس على قواعد علميّة وأسس إبستيمولوجيّة.

– العمل على تحويل اللغة والأدب والفن من مجرّد تأمّلات وانطباعات إلى علوم لها أسس ومبادئ قارّة، من شأنها التوصّل إلى مستوى من التجرّد الذي يسهل معه تصنيف مادّة الظاهرة ووصفها.

وانطلاقا من هذه الأسباب حدّد الناقد مجالات اشتغاله، معتمدا على بناء منهجي يجمع بين المجال النظري، من خلال البحث المعمّق فيما توصّلت إليه التطوّرات النقدية الغربية من مقولات وأفكار، والمجال التطبيقي وذلك بالبحث في تحليل النصوص النقديّة، باستثمار المفاهيم التي جادت بها النظريّة السيميائية.

المبحث الأول: المفهوم النّظري للعلامة عند بنكراد

اعتنى سعيد بنكراد في أغلب أعماله المؤلفة والمترجمة، بالسيميائيات من حيث موضوعِها وحدودِها النظرية ومبادئِها وأدواتِها الإجرائيّة وأساليبها التحليليّة، باعتبارها نشاطا معرفيّا بالغ الأهمية والخصوصية. فقدّمها إلى القارئ العربي بأسلوب سهل وبسيط. فكما لا يخفى على المشتغلين في مجال السيميائيات أنّ ارتباط تصورات بورس بنظرية المقولات وبالمنطق جعلها تتميّز بالتعقيد والغموض في كثير من مسائلها.

1 . مفاهيم سيميائية نظرية:

من خلال البحث في ثنايا أعمال بنكراد، استطعنا أن نقف على قراءة الناقد للكثير من المفاهيم الأساسية التي تعدّ بمثابة حجر الأساس الذي انبنت عليه السيميائيات وتشكّلت باعتبارها نشاطا معرفيّا مستقلّا.

أ . السيميائيات المفهوم والموضوع: يرى بنكراد أنّ السيميائيات لا تنفرد بموضوع خاص بعينه، بل تهتمّ بكلّ ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية، شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءا من سيرورة دلاليّة، فلا يمكن الحديث عن سلوك سيميائي إلّا إذا تمّ النظر إلى هذا السّلوك خارج تجلّيه المباشر. فكل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعا لهذا العلم.

إنّ السيميائيات في معناها الأكثر بداهة ليست شيئا آخر سوى تساؤلات حول المعنى. إنّها دراسة للسلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافيّة منتجة للمعاني[1]. ومن هنا يتّضح أنّ الوجود الإنساني هو وجود للمعنى وفي المعنى، والتجلّيات الممكنة لهذا المعنى هي ترجمة للممارسة الإنسانية.

فالتجربة الإنسانية في عمومها نقطة انطلاق السيميائيات وغايتها في الآن نفسه. لأنّ الإنسان هو مهد العلامات، هو منتجها، وهو مستهلكها، وهو المروّج لها.

وبناء على هذا التصوّر يرى بنكراد أنّ كل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكّل موضوعا للسيميائيات، فهي لا تنفرد بموضوع واحد. وبعبارة أخرى فإنّ كلّ ما تضعه الثقافة بين أيدينا هو في الأصل والاشتغال علامات تخبر عن هذه الثقافة وتكشف عن هويّتها. فالضحك والبكاء والفرح واللباس وطريقة استقبال الضيوف وإشارات المرور والطقوس الاجتماعية والأشياء التي نتداولها فيما بيننا، وكذلك النصوص الأدبية والأعمال الفنيّة كلها علامات نستعملها في التواصل مع ما يحيط بنا، وكلّها لغات تحتاج إلى تقعيد، أي تحتاج إلى الكشف عن القواعد التي تحكم طريقتها في إنتاج معانيها.

1 ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 253 - 254.

وبالإضافة إلى اهتمامها بدراسة النسق اللّساني، الذي يعدّ أهم الأنساق وأرقاها، باعتباره أرقى ما أنتجته التجربة الإنسانية من وسائل الاتصال، ونقل المعارف وتبادل الخبرات الإنسانية من جهة وباعتباره أداة فهم وتأويل مختلف الأنساق الأخرى ووجهها اللّفظي من جهة ثانية.

لقد وسّعت السيميائيات من دائرة اهتماماتها لتجعل من الأنساق التواصلية التي يستعين بها الإنسان في خلق حوار مع الآخر موضوعا لدراستها[1]، فهناك أنساق أخرى كثيرة لها دور رئيسي في إنتاج المضامين الدّلالية والإبلاغية. فلم يعد للسيميائيات موضوع محدّد في مجال بعينه، حيث أصبحت تهتم بكلّ مجالات الفعل الإنساني: إنّها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءا من الانفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس الاجتماعيّة وانتهاء بالأنساق الإيديولوجيّة الكبرى. فلا شيء في هذا العالم خارج عن العلامات أو بدونها ولا شيء يمكن أن يدلّ اعتمادا على نفسه دون الاستناد إلى ما توفره العلامات كقوة تمثيل. وانطلاقا من هذا فإنّ كلّ شيء في العالم يدرك بصفته علامة ويشتغل كعلامة، ويدلّ باعتباره علامة. والتجربة الإنسانيّة بكافّة أبعادها ومظاهرها تشتغل بصفتها مهدا للعلامات. فالإنسان علامة وما يحيط به علامة، وما ينتجه وما يتداوله علامة، إنّه في حدّ ذاته علامة.

1 ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط3، 2012، ص29.

وحسب بنكراد فإنّ السّيميائيات تهتمّ بمجموع ما ينتجه السلوك الإنساني ويصنّف ضمن المضاف الثقافي في حياة الناس، يدخل ضمن ذلك كلّ شيء، النصوص بكلّ أنواعها وكذا المفاهيم المعزولة والأحكام المسبقة ومرويّات التاريخ وما نسجته الذاكرة الإنسانية من حكم وأمثال وأقوال ومأثورات، وبما فيها أيضا أشكال العمران وحالات العيش والطقوس الاجتماعيّة[1].

لذلك وسّع بنكراد من دائرة اهتمامه في مجال النظريّة السيميائية التي يعدّها نظريّة قابلة لقراءة مختلف الرّموز والظواهر، ليس في النصوص الأدبيّة فحسب، بل في المجتمع أيضا وما يتحرّك فيه من إشارات قابلة للتّأويل. فاشتغل على مختلف النصوص والخطابات كالأعمال السّرديّة والصورة والإشهار (الإعلان)، وقراءة الأنساق الثقافيّة، وتحليل الدّستور المغربي، والاهتمام بكلّ ما يشغل النّاس في حياتهم من تعصّب هويّاتي أو ديني وأحداث سياسيّة واختلاف ثقافي ولذّة جنسيّة و... ومع ذلك فإنّه يعترف بقصور هذه النظريّة عن تفكيك الأنساق الثقافية العربية المتشابكة اليوم، حيث يقول بنكراد عن النظريّة السّيميائيّة أنّه " لا يمكن القول إنها كافية وحدها لتناول كل الظواهر. إنها جزئية، كما هي كل الرؤى، فلا يمكن إلغاء تصورات

1 سعيد بنكراد، سيميائيات النص (مراتب المعنى)، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2018، ص 17.

أخرى يمكن الاستعانة بها من أجل معرفة أفضل للظواهر. نحن في واقع الأمر في حاجة إلى الكثير من زوايا النظر لكي نمسك بمنطق الفوضى والعبث"[1].

وبهذا يعترف بنكراد بأنّ قراءة مختلف الخطابات والظواهر الثقافية يجب أن يتمّ من خلال تظافر مختلف المناهج السابقة، كما يفعل الفكر الغربي، الذي لا يلغي السابق وإنّما يقوم على نظريّة التطوّر (أي الربط بين المنتج السابق والممكن الآتي)[2]، ويجد بأنّها غير كافية لاستيعاب وتحليل الظواهر والمعطيات الراهنة، ولعلّ سبب ذلك – بناء على قول بنكراد– أنّ العلم يقف حائرا حين يتعلّق الأمر بمحاولة قراءة وتحليل ما أسماه بالفوضى والعبث. وإنّه لعمري اعتراف منطقيّ ومشروع لأنّنا في النهاية أمام منتج بشريّ.

ب . العلامة ومكوّناتها: يستقي بنكراد تعريفه للعلامة من تصورات كلّ من دوسوسير وبورس. ولكنّه يستفيض شرحا وتفصيلا وتقييما وإثراء لما قدّمه بورس للعلامة من تعريفات. حيث يرى بأنّ تصنيفات وتقسيمات بورس للعلامة كانت نوعيّة، فالعلامة لا يمكن أن تقف على دلالة واحدة، فالسيميوزيس لا متناهية، ولا يمكن للدّلالة أن تقف عند حدّ بعينه.

وتعقيبا على تعريف بورس للعلامة يردف بنكراد قائلا: "يضعنا هذا التعريف أمام هرم يتكون من ثلاثة عناصر تحكمها غاية واحدة، وتتوزع في التّمثيل والتّدليل وفق نفس الغاية ووفق

1 عبد الرحيم الخصار، سعيد بنكراد: نقدنا يجرّب ولا يراكم، صفحة العربي الجديد، عبر الرابط: https://www.alaraby.co.uk يوم 2021/10/31، في الساعة 20:00.

2 ينظر المصدر نفسه.

قوانينها، أي أنّ التّمثيل لشيء ما يمكن أن يتم استحضاره من خلال شكل أو أشكال رمزية. فـ"الماثول" هو الأداة التي نستعملها في التمثيل لشيء آخر يطلق عليه بورس "الموضوع" وفق ظروف خاصة في الإحالة يوفرها "المؤول" باعتباره الشرط الضروري للحديث عن بناء علامي قادر على الاكتفاء بنفسه والتخلص من مقتضيات الـ "هنا" والـ "الآن". وسيكون الماثول، تحديدا، هو شيئا يحل محل شيء آخر، وسيكون الموضوع هو ما يقوم هذا الماثول بالكشف عنه عبر الإحالة عليه، ويأتي المؤول في خاتمة المطاف باعتباره ضامن سلامة هذه الإحالة وصحتها. إن المؤول، بعبارة أخرى، هو الفكر الذي يحول التجربة الصافية المحصل عليها عبر إحالة ماثول على موضوع، إلى نموذج تجريدي تستعاد عبره كل التجارب المشابهة "[1].

والعلامة عند بورس – كما سبقت إلى ذلك الإشارة – تشتغل وفق مبادئ نظرية المقولات (مبدأ الثلاثيّة ومبدأ الإحالة). أوّل يحيل على ثان عبر ثالث، (النوعيّات أو الأحاسيس) تتجسّد في (وقائع) عبر (قانون أو قاعدة). فالماثول يحيل على موضوع عبر مؤول.

ومن أجل توضيح هذا التعريف الذي قدّمه بورس للعلامة يقدّم بنكراد مثالا لذلك هو كلمة سيارة. فهذه الكلمة كما يقول بنكراد علامة تتكوّن من **ماثول** هو سلسلة من الأصوات/ س ي ا ر ة /، ومن **موضوع** وهوما تحيل عليه السيارة باعتباره في ذاته قاعدة للإحالة، وتحتوي

1 سعيد بنكراد، المؤول والعلامة والتّأويل، موقع سعيد بنكراد، عبر الرابط http://www.aljabriabed.net/n16_05benkarrad.htm، تاريخ الزّيارة: 2023/07/20.

ثالثا على ما يبرّر العلاقة القائمة بين المتوالية الصوتية وهذا الموضوع. وهذا الثالث هو ما يمثّل القانون، والقانون هو أن نجعل من الربط بين المتوالية الصوتية (سيارة) وبين السيارة كموضوع ربطا دائما حتى وإن انتفى الوجود العيني للسيارة، إلّا أنّه يظلّ حاضرا كنموذج إدراكي دائم في الذهن. وعليه فما يقوم بالتوسّط بين كيانين هو ما يطلق عليه بورس **المؤول**. وهذه السيرورة التي تم وصفها هنا هي ما يسمّى السّيميوز (السّيرورة التي تؤدي إلى إنتاج دلالة ما)[1]. وهي تستدعي الماثول كأداة للتمثيل، وتستدعي الموضوع كشيء للتمثيل، وتستدعي مؤوّلا يقوم بالربط بين العنصرين، أي ما يوفّر للماثول إمكانيّة تمثيل الموضوع بشكل تامّ داخل الواقعة الإبلاغيّة.

يعرّف بنكراد العلامة بأنّها " أداة رمزيّة موجّهة لتنظيم تجربة فعليّة لا أفق لها خارج اللغة، إنّها دال يحيل على مدلول، في انفصال عمّا تقوم اللغة بتمثيله، أو هي مثال مرتبط بموضوع، استنادا إلى صيغة رمزيّة هي ما يجعل الإحالة قابلة للاستمرار في الذاكرة، بعيدا عن قاعدة التمثيل المباشر، إنّ العلامة في الحالتين معا لا تقوم بالكشف عن موضوعها، من خلال تقديم نسخة موازية له هي صورة لما يمكن أن يدركه المتلقّي، بل تعيد صياغته ضمن سيرورات الرمز"[2]، وذلك لأنّ التمثيل الرمزي ليس استنساخا حرفيّا للعالم، بل هو في الأصل تقليص لكل أشكال الحشو والتعدّد والتنوع، فتصبح لدينا صورة ذهنية واحدة يمكنها أن تستوعب كلّ النسخ الممكنة.

1 ينظر: السيميائيات والتّأويل (مدخل لسيميائيات ش س بورس)، ص 75 – 76.

2 سيميائيات النص (مراتب المعنى)، ص 19.

من خلال هذا التعريف يتبيّن لنا أنّ بنكراد استعار في تعريفه للعلامة مصطلحات تعود لدوسوسير (الدال والمدلول)، وأخرى تعود لبورس (ماثول، موضوع)، وهذا ما يدفعنا إلى القول أنّ بنكراد لم يقوقع ذاته في مدرسة سيميائة واحدة وإنّما نهل من مختلف ينابيع المعرفة وكلّ ما من شأنه أن يسعفه في دراسة الفكر العربي وتنويره من زاوية السّيميائيات التي جعلها الخلفية الوحيدة التي تجمع الكمّ الهائل من المعارف والأفكار التي ينبني عليها مشروعه السيميائي.

وقد تطرّق بنكراد أيضا إلى العلامة من خلال إعطاء مفاهيم لمكوّناتها وعناصرها الثلاث التي حدّدها بورس (الماثول، الموضوع، المؤول)، على النحو التّالي:

. الماثول: يقول بنكراد أنّه الأداة التي نستعملها في التّمثيل لشيء آخر، إنّه لا يقوم إلّا بالتمثيل، فهو يعرّفنا على الشيء ولا يزيدنا معرفة به. وبعبارة أخرى فالماثول هو ما يمكّن الموضوع من الخروج من دائرة الوجود الطبيعي، إلى ما يشكّل الوجود الثّاني في حياة الأشياء. فخارج التمثيل لا يمكن للموضوع أن يكون موضوعا، فحياته رهينة بالموقع الذي يحتلّه داخل سيرورة السيميوز، كيفما كانت الأداة المستعملة في التّمثيل.

ومن مميّزاته أنّه:

- ليس واقعة لسانيّة بالضرورة.
- يحلّ محلّ شيء آخر.
- أداة للتمثيل.

- لا يوجد إلّا من خلال تحيينه داخل موضوع ما.
- لا يستطيع الإحالة على موضوعه إلّا من خلال وجود مؤوّل يمنح العلامة صحّتها[1].

. الموضوع: الموضوع هو ما يتجلّى من خلال العلامة بشكل مباشر وهو ما توحي به العلامة من خلال فعل التمثيل ذاته.

ويعرّفه بنكراد بأنّه هو ما يقوم الماثول بتمثيله، سواء كان هذا الشيء الممثّل واقعيّا، أو متخيّلا أو قابلا للتّخيّل أو لا يمكن تخيّله على الإطلاق. فموضوع العلامة هو المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع. ويرى بأنّه أغنى من التّمثيل، لذلك فهناك دوما حاجة إلى تمثيل جديد لعلّه يستوعب بقيّة العناصر المنفلتة من التمثيل الأول[2].

والموضوع في تصورات بورس لا يمكن أن يشتغل إلّا إذا نظر إليه باعتباره علامة. " والأمر هنا يتعلّق بموضوعات تتحرّك خارج دائرة فعل السّيميوز. بل يتعلّق الأمر بعنصر يعدّ جزءا من العلامة وقابلا للاشتغال كعلامة"[3]. وعليه فإنّ موضوع العلامة هو علامة أخرى كما يوضّحه شرح بنكراد.

1 ينظر: السيميائيات والتّأويل (مدخل لسيميائيات ش س بورس)، ص 78 . 81.
2 ينظر، المصدر نفسه، ص 32.
3 السيميائيات والتّأويل (مدخل لسيميائيات ش س بورس)، ص39.

. المؤول: فعل التّأويل في فكر بورس مرتبط أشدّ الارتباط بعنصر المؤوّل. فهذا الأخير هو الذي يتوسّط بين أداة التمثيل وموضوعاته. والعلامة في نظر بيرس لا يمكن أن تكتمل ماهيتها دون هذا الرابط القانوني (المؤوّل) بين الأول والثاني (الممثل والموضوع).

ويضيف بنكراد بشأن هذه المسألة أنّ التأويل ينبثق في متصورات بورس من حركة الإحالات التي تولّدها العلامة، غير أنّ سيرورة الدلالات هذه وإن كان يحكمها مبدأ اللانهائية إلّا أنّها محكومة بغايات محدّدة تتحكم في كل فعل للقراءة، فتوجّه التّأويل نحو مدلولات وتقصي أخرى.

إنّ السيميوز لا نهائية احتمالا فقط، ولكنّ الحاجات الإنسانية هي من يقوم بالتقليص من حجمها، وفرض حدود عليها. ومن هنا كانت الحاجة إلى مؤولات وليس إلى مؤول واحد. وانطلاقا من هذه التصوّرات يرى بنكراد أنّ " السيميائيات عند بورس يمكن النظر إليها باعتبارها نظريّة في التّأويل"[1]، ومن هنا يتّضح لنا جليّا أنّ السيميوزيس ليس خزانا لكلّ التّأويلات الممكنة، والتّأويل " ليس معطى خارج حدود الذات التي تقرأ وتؤوِّل، فهو ليس وليد ما تختزنه هذه الذّات من معاني بشكل سابق عن الولوج إلى عالم النص"[2]، فما تخبر به العلامة في حالة التمثيل الأولى ليس سوى عملية تحفيز للتأويل ويستحيل في نظر بورس أنّ يكون هو خزّان كلّ التّأويلات الممكنة.

1 السيميائيات والتأويل (مدخل لسيميائيات ش س بورس)، ص 31.
2 المصدر نفسه، ص 168.

ومن الضروريّ هنا أن نشير إلى مسألة هامة أشار إليها الناقد بخصوص هذا المركب الأخير من مركّبات العلامة عند بورس (المؤول). فالمؤول (interprétant) ليس المؤوِّل (interprète). إنّ المؤول ليس ذاتا أو فاعلا يتحدّث، يقول بنكراد: "وإذا كان المؤول يشير إلى عمليّة التأويل تسمح للمتلقّي بإدراك العلامة، فإنّه لا يتطابق مع الشخص الشارح (l'interprète). ذلك أنّ المؤول لا يشترط وجود الشخص الشارح، إنّه يشكّل فقط الوسيلة التي يستعملها الشخص المؤول من أجل إنجاز تأويله. وهكذا يمكن أن يعطي شارحون كثيرون تأويلات مختلفة لنفس الشيء/ العلامة إذا كانوا ينطلقون من مؤولات مختلفة"[1].

ومن خلال هذه الفقرة يمكننا أن ستشفّ وجهة نظر بنكراد فيما يخص هذه النقطة التي تركّزت حولها النقود ودار حول مفهومها جدل كبير، حيث يحتلّ المؤوّل (Interprète) في نظريّة موريس مكانة خاصة، إذ يضيفه إلى مكوّنات السّيميوزيس الثلاثة كعنصر رابع، وقد ميّز بين المؤول الأول الذي يشير إلى وعي بالمعرفة أو العمليّة أو الفعل Acte بينما يشير الثاني إلى الفاعل أو القائم بعمليّة التّأويل. وإلى رأي بنكراد يذهب عبد القادر فهيم الشيباني في قوله: فالمؤول ليس هو الإنسان أو الذهن أو الذهن المؤول، إنّه العلامة"[2].

1 السيميائيات والتأويل (مدخل لسيميائيات ش س بورس)، ص89.

2 عبد القادر فهيم الشيباني، معالم السيميائية العامة (أسسها ومفاهيمها)، بلعباس، الجزائر، ط1، 2008، ص98.

ج . السّيميوز: إنّ موضوع السيميائيات هو السّيرورة المؤدية إلى إنتاج الدّلالة ونمط في تداولها واستهلاكها، وهو ما يصطلح عليه في الأدبيات السّيميائية بالسّيميوزيس (sémiosis).

ويعدّ بورس أول من أدخل هذا المفهوم إلى الدّراسات السّيميائية الحديثة، وجعل منه الركيزة الأساسية التي تنبني عليها التّصنيفات السّيميائية للعلامة كما ورد في كتاباته المتعدّدة.

"والسّيميوزيس في التصوّر الدّلالي الغربي هو الفعل المؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها، إنّها سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما باعتباره علامة"[1]. وعلى هذا الأساس فهي المبدأ الذي يتحكّم في إنتاج الدّلالات وتداولها وليست جوهرا مضمونيّا، ولذلك فهي لا تكترث لمادة الدلالة.

وحين يقرّ بنكراد بأنّ السّيميائيات ما هي إلّا تساؤل عن المعنى وتساؤل عن شروط إنتاجه وأشكال تجلّيه. يقدّم تساؤلاته حول السّيميوز قائلا: فماذا تعني السّيميوز، إن لم تكن لهاثا وراء معنى لا يستقرّ على حال. إنّها خزّان لا ينتهي من الدّلالات. كما لا يمكن البحث عن المعنى خارج العلامات، ولا يمكن أن نفكّر دون علامات، فالمعنى موجود في العلامات، والعلامات وحدها هي السّبيل إلى إنتاج الدلالات وتداولها[2].

1 المصدر السابق، ص33.

2 ينظر: السيميائيات والتّأويل (مدخل لسيميائيات ش.س.بورس)، ص 30.

والسيميوز واحدة من حيث الطبيعة والجوهر، لكنّها تختلف من حيث الاشتغال والتحقّق باختلاف الوقائع النصيّة، فكلّ ظاهرة نصيّة لها قواعدها التي تحكمها وتستند إليها في إنتاج دلالاتها، كما أنّها لا تقتصر على الوقائع اللفظيّة، فكل الوقائع محكومة بقانون السيميوز.

يعدّ مصطلح Sémiosis من المصطلحات الإشكالية في الميدان، فقد حار الدّارسون العرب المعاصرون، فعلاً، في ترجمته إلى لغتهم، لذا ألفَيْناهم كثيرِي التخبُّط في هذا المضمار؛ الأمر الذي حَدا بأكثرهم إلى الاكتفاء بتعريبه أو إدخاله إلى العربيّة دون إجراء أيّ تحوير في بنيته انسجاماً مع نظام اللّغة العربية الصوتي والصرفي (عند سعيد علوش ورشيد بن مالك وأغلب النقاد المغاربة- السّيميوزيس أو السّيميوزة). بينما قام آخرون بترجمته، أو إثباته بحروفه اللاتينيّة أو ترجمته بتعبير وصفي (أحمد يوسف- الدلالات المفتوحة، أنور مرتجي -كل ما هو سيميائي، حسين خمري- الوظيفة السّيميائية، محمد العناني- عملية الرمز أو التمثيل، بشير القمري- التّأشير، عبد المالك مرتاض - سميوزة بإسقاط إحدى ياءاته أو مواسم بضمّ الميم).

أمّا بنكراد فلم يستقرّ على مصطلح واحد للسيميوزيس، فأطلق عليه مصطلح السيرورة المنتجة للدّلالة[1]، وأحيانا السيرورة اللامتناهية[2] ، وأخرى التدليل[3].

1 ينظر: السيميائيات والتأويل (مدخل لسيميائيات ش س بورس)، ص 75.

2 ينظر المصدر نفسه، ص78.

3 ينظر: سعيد بنكراد، سيرورات التّأويل (من الهرمسيّة إلى السيميائيات)، دار الأمان، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1 ،2012، ص376.

د ـ الرمز (الترميز): الرمز في متصورات بورس هو صورة دالة تستعمل للإحالة على مدلول يقابلها عن طريق العرف والتواضع. فالعلاقة القائمة بين الماثول الرمزي وموضوعه لا تستند إلى التشابه أو التجاور، بل تستند على العرف الذي يعدّ قانونا أو قاعدة.

تختلف الإحالة على المعاني من علامة لأخرى، فالأيقون يستند في إنتاج علامته على التشابه، وتستند الأمارة على علاقة التجاور، بينما تحيل العلامة اللّسانيّة على مدلولها بواسطة الاعتباطية. إنّ هذا الاختلاف في إنتاج الدلالات هو ما جعل دوسوسير يتردّد بين استعمال مصطلح "الرمز" أو "العلامة ".

فتبنّى كلمة "علامة"، لأنّ الرمز في نظره ليس فارغا، فهو يشير إلى بقايا تعليليّة تجعل من إحالة الدال على المدلول إحالة محكوم بمبدأ التعليل، في حين أنّ اللّسان في جوهره ظاهرة اعتباطيّة. فالميزان الذي هو رمز للعدالة لا يمكن أن نعوّضه بأيّ شيء آخر، دبابة مثلا"[1].

وقدّم عدد من المهتمّين بالدّرس السّيميائي تعريفات للرمز باعتباره شكلا من أشكال التواصل، فهذا **جورج مونان** يعرّف الرمزية انطلاقا ممّا جاء به دوسوسير فيرى بأنّها العلم العام الذي يدرس كلّ أنظمة الرموز اللغوية وغير اللغوية التي بفضلها يتمّ التواصل بين البشر. أمّا **مولينو** فيعتبر الرمزية مرتبطة بوظيفة عضويّة مكوّنة للإنسان مثل: وظائف التغذية والتناسل هي الوظيفة الرمزية، ويربط عضوياّ بين أهميّة استخدام الإنسان كوسيلة للاستقراء بها والفعل على

1 Voir : Ferdinand De Saussure :Coures de L'inguistique générale,ep Paote,1072,p101 .

تصنيف معارفه وتنظيمها وتطويرها بواسطة الرموز[1]. لقد ذهب إلى اعتبار الرمز علما يعنى بدراسة الأنظمة اللغوية وغير اللغوية، متأثّرا في ذلك بأفكار دوسوسير وتصوّراته. أمّا مولينو فقد اعتبر أنّ الترميز حالة تواصل يستخدمها الإنسان في حياته اليوميّة الاجتماعيّة.

أمّا بنكراد فيرى بأنّ ظهور الرمز في حياة الإنسان كان حاسما، فبواسطته استطاعت الكائنات البشريّة أن تنظّم مجمل تجاربها الحياتيّة في انفصال عن العالم. وهو الأمر الذي جنّب الإنسان التّيه في اللحظة وحماه من الانغماس داخل عالم بلا أفق ولا ماض ولا مستقبل، تائها ضمن الأبعاد المباشرة ل " الهنا" و"الآن"... ذلك أنّ الترميز هو أيضا صياغة للسّلوك الإنساني بعيدا عن إكراهات التوجيهات الأولية للوظائف البيولوجية داخل الجسد الإنساني ذاته، فالعين تبصر وستظل تبصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولكنها لن تنتج أبدا سلوكا سيميائيا، فهي من خلال هذا السلوك المباشر لا تقوم سوى بأداء وظيفة بيولوجية مشتركة بين كل الكائنات الحية، ولكنّها حين تغمز، تنزاح عن هذا المعطى البيولوجي المشترك لكي تنتج فعلا دلاليّا يحتاج إلى معرفة لا علاقة لها بفعل البصر. لذلك لا يمكن البتّة فهم هذه الحركة البسيطة واستيعاب دلالاتها إلّا من خلال استحضار السقف الثقافي الذي جعل من تحريك خاص للعين دالا على معنى بعينه، وبهذه الحركة نلج حيّز السلوك السيميائي، وحينها تتحرّر العين من وظيفتها النفعية...، وليست الرمزية هذه مقتصرة على لغة الإنسان فحسب، لكنّها تشمل أيضا ثقافته

1 ينظر: مجلة عالم الفكر، م 24، ع 3، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، مارس 1986، ص207ـ 208.

كلّها. فالمواقع الأثريّة والمؤسسات والعلاقات الاجتماعيّة، والملابس هي أشكال رمزيّة أودعها الإنسان تجربته لتصبح قابلة للإبلاغ والتداول[1]. وهكذا أهميّة الرمز وأشكال تجلّيه في حياة الإنسان باعتباره حالة تواصليّة بين البشر، وأنّ الإنسان وحده كائن رامز، وأنّ سلوكاته السّيميائية هي نتاج عوالم الرمز.

وقد اكتفى الناقد بترجمة هذا المصطلح إلى اللّغة العربية، دونما إحداث أيّ تغيير عليها لا من حيث شكله أو مضمونه.

ـ الاعتباطية: سبق القول أنّ العلاقة بين الدال والمدلول عند دوسوسير هي من طبيعة اعتباطيّة. وعنها يقول بنكراد أنّها "في مفهومها الأدنى هي غياب منطق عقلي يبرّر الإحالة من دال إلى مدلول"[2]. فلا رباط عقلي بين المتوالية الصوتية والمدلول الذي نملكه عن شيء ما. وعلى هذا الأساس فإنّ الرابط بين هذين الكيانين يخضع للتواضع الاجتماعي والتعاقد كما قرّر ذلك دوسوسير.

ومهما تكن هذه العلاقة غير مبرّرة وغير ضروريّة فليس معنى ذلك الوقوع في الفوضى والتسيّب. وليس معناها – في نظر دوسوسير– أنّ المتكلّم حرّ في انتقاء الدوال ورفض بعضها

1 ينظر: سعيد بنكراد، مسالك المعنى (دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية)، دار الحوار، سورية، ط1، 2006، ص 11.8.

2 السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 78.

واستبدالها بسواها " إنّها في نظره تقوم بحماية اللسان من الوقوع في الرمزيّة الصوتيّة من جهة، كما تحميه من التغيير من جهة ثانية "[1].

وحسب بنكراد فإنّ الاعتباطيّة ليست مبدأ خاصا بالعلامات اللسانية فحسب، بل هو مفهوم شامل تدخل في حيّزه العديد من الظواهر الاجتماعيّة وليدة العرف والتعاقد المنبثق عن الممارسة الإنسانيّة.

ويقف بنكراد من هذا المبدأ موقف المنصف لسوسير في ظلّ الانتقادات الحادّة التي وجّهت إليه بسبب تصوّره للاعتباطيّة، قائلا: " فإنّ قيمته المعرفيّة ومردوديّته التّحليليّة لا يمكن إنكارهما. فسواء تحدّثنا عن مبدأ الضرورة أو تحدّثنا عن الاعتباطيّة النسبيّة أو التعليل النّسبي، فإنّ التكوّن اللاحق غير المعطى بشكل سابق على التجربة الإنسانيّة سيظلّ هو الركيزة التي استندت إليها كلّ الألسنة في تشكّلها وفي نموّها واشتغالها"[2].

هـ. التّأويل: ألهمت سيميائية بورس التّأويلية سعيد بنكراد بسبب ما قدّمته من إسهامات رائدة في قراءة النصوص وتأويلها. فلم يخفِ بنكراد تأثّره بالتصور السيميائي للتّأويل، وهو الذي يعدّ عمليّة التّدليل عمليّة مثبتة في مؤوِّل نهائيّ يرسو بالمعنى في نقطة محدّدة. فأهمّ ما يميّز هذه الإسهامات هو ربطها لعمليّة التّأويل بالحاجات النفعية للمؤوِّل، وذلك من خلال تفعيل

1 المصدر السابق، ص 78.

2 السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 79 . 80.

الانتقاءات السياقية في قراءة النصوص، "فنحن نؤوّل وفق متطلبات حاجاتنا بجميع أنواعها"[1].

وعلى هذا الأساس فإنّ المعنى محكوم بالسياق.

وممّا حذا ببنكراد إلى تبنّي السيميائيّات التأويليّة في مختلف مقارباته خاصّة السرديّة منها، أنّها المنهج الوحيد الذي فتح النص على آفاق جديدة، فجعلت من التّأويل غاية قصوى لكلّ تحليل، إلّا أنها لا تستنبت المعطيات الخارجيّة داخل النص، إنّما تبحث عن المعرفة الدالة عليها، من خلال البناء اللغوي ذاته، كما أنّها لا تبحث عن مركز في النص، بل تشقّ إليه طريقا تلعب فيه لحظة التلقّي دورا مركزيّا، والمعنى فيها ليس كمّا، إنّه سيرورة تبنى في فرضيّات القراءة[2]. ففعل التّأويل الّذي يعترف بتعدّد القراءات ومحدوديّتها من حيث العدد والحجم وأشكال التّحقّق، هو ما يدعو إليه بورس ويتبنّاه. وعلى الرغم من أحقيّة النص في عدم تسليم أسراره، فلا يمكن تجاهل احتوائه على مجموعة من التعليمات الضروريّة التي توجّه قراءاته الممكنة. فنحن لا نؤوِّل خارج كل الغايات، لأنّ التّأويل مرتبط بغاية متواجدة خارج السيميوز. وهذه الغايات تدفع المؤوِّل إلى قبول بعض التّأويلات ورفض أخرى، أو القبول بها في سياق ورفضها في سياق مغاير[3].

إنّ فعل التأويل في فكر بورس مرتبط أشدّ الارتباط بمقولة المؤول، فالمؤول هو الذي يقوم بالتوسّط بين أداة التّمثيل وموضوعاته. فالعلامة كما سبقت إلى ذلك الإشارة لا يمكن أن تقوم

1 السيميائيات والتأويل (مدخل لسيميائيات ش س بورس)، ص 31.

2 ينظر: سعيد بنكراد، سيميائيات النص (مراتب المعنى)، المقدّمة.

3 ينظر: السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 269 ـ 270.

لها قائمة إذا انتفى الرّابط القانوني بين الأول والثاني، فهو وحده الذي يضمن صحّة العلامة ومعقوليّتها.

ويميّز بورس في إطار مستويات الدلالة بين مؤولين، المؤول المباشر "وهو المستوى المعنوي الّذي تقترحه العلامة بشكل مباشر، هو المعنى المباشر الذي يفهم من العلامة، أما المؤوّل الديناميكيّ فيحيل إلى المستوى الدّلالي الثاني إلى المعطيات المعرفيّة التي "ليست معطاة بشكل مباشر مع العلامة، فالمؤول الديناميكي يؤسَّس على أنقاض المؤوّل المباشر ولا يمكن أن يوجد إلّا من خلال وجود الأول، فيتخلّص من المعنى المباشر لينطلق نحو آفاق جديدة تضع الدلالة داخل سيرورة اللاّمنتهى"[1]، وتأسيسا على هذا فإنّ السيميوزيس عند بورس لا تقف عند حدود رصد المعنى الأول الذي يحيل عليه الممثل مباشر بل يتجاوز ذلك دون انقطاع إلى معاني لا نهائيّة.

والتّأويل كما يشير إلى ذلك **أمبرتو إيكو** ليس فعلاً عشوائيًّا مطلقًا " بل هو رسم لخارطة تتحكّم فيها الفرضيّات الخاصّة بالقراءة، وهي فرضيّات تسقط انطلاقا من معطيات النص، مسيرات تأويليّة تطمئن إليها الذّات المتلقّية"[2]. فهو نشاط سيميائيّ محكوم بقواعد محدّدة لأنّ

1 السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 70.

2 أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكيّة، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، 2004، ص11.

المعنى له ضوابط تسهم في عمليّة إنتاجه وفي مسيرة تأويله، وحريّة القارئ وعدم محدوديّة القراءة قد تهتك ستر النص وتقضي على وحدته وانسجامه الداخلي.

ارتبطت مسألة التّأويل عند بنكراد بالمنهج السيميائي، فأولى عناية خاصة بالسّيميائيات التّأويلية (مشروع بورس السيميائي) التي اهتمّت أيّما اهتمام بعمليّة التّأويل، "انطلاقا من أنّ المعنى في الخطاب يكون متواريا مستعصيا على الضبط، وكلّما كان متخفّيا كانت رحلة الإمساك بالدّلالة ممتعة "[1]، ولأنّ الممارسة التأويلية المنتجة للمعنى ضرورة معرفيّة وحضاريّة.

وعلى الرغم من أنّ تصوّر بورس السّيميو – تأويلي ينبني على فكرة لانهائية الإحالات، إلّا أنّ ذلك ليس معناه رفض إرساء المعنى على قيمة دلاليّة معيّنة، إنّما هو عمليّة محكومة بسنن ثقافيّة تاريخيّة. إنّ ما يضمن سلامة التّأويل ودوامه واستمراره في إنتاج الدّلالات المتنوّعة – في نظر بنكراد– هو وجود هذا الحد الأدنى المعنوي بتجربة حياتيّة لا تتجاوز حدود الاستجابة للبعد النفعيّ فيها.

انطلاقا من قناعته بضرورة مسايرة مختلف التحوّلات التي تحكم عملية قراءة النصوص، فرارا من سطوة المناهج البنيويّة الصلبة والمتحجّرة من ناحية، ومن الصرامة المنهجيّة التي تتّصف بها السّيميائية الغريماسيّة، توجّه بنكراد إلى تبنّي الفعل السّيميو – تأويلي بوصفه فعلا قادرا على

1 غالم عبد الصمد، النظرية التأويلية وتطبيقاتها في مشروع سعيد بنكراد، مجلة المدوّنة، المجلد 5، العدد 2، 30ديسمبر2018، ص 511.

استدعاء المعاني المضمرة في النصوص، فالمعنى في نظر بنكراد ليس كيانا جاهزا، بل سيرورة خاضعة في وجودها وفي تحقّقها لشروط، فقارب عددا من النصوص على اختلاف أنواعها (لغوية وغير لغوية)، صورا، أشكالا، وعلامات ...إلخ فبحث في مكوّنات علاماتها وطرق اشتغال هذه العلامات وعلاقاتها ببعضها وبسياقاتها الثّقافية والاجتماعيّة المختلفة.

وخلاصة القول أنّ بنكراد لم يكتف بنقل واستيراد المفاهيم النقديّة الغربيّة، وهو ما قام به في أغلب كتبه التنظيرية التي اشتغل فيها على التعريف بالنظرية السيميائية وبحدودها ومواضيعها ومصطلحاتها، على غرار كتابه السيميائيات والتأويل(مدخل لسيميائيات ش س ب)، كما يمكننا الإشارة إلى أنّ الناقد كان يضع مقدّمات نظريّة في بداية كلّ عمل تطبيقي ينتجه، تكون بمثابة التّأصيل النظري والإطار المرجعي الذي اتّكأ عليه بنكراد في دراسته لتلك المواضيع والظواهر التي كان يتطرّق إليها في نهاية المؤلَّف أو في بدايته أحيانا*، وإنّما نجد الناقد يعمل على تقديم تعاريف أخرى لمفاهيم قارّة، أو يقوم بإعادة صياغة تلك المفاهيم فيشرحها أو يفصّلها أو يضيف عليها دونما إخلال بمعانيها الأصليّة، حفاظا على هويّتها من جهة، وإظهارا لهويّته هو كناقد مستقل بشخصيته النقدية من جهة أخرى فيوطّنها ساحة النّقد العربي، ويكيّفها وفق خصوصيات الثقافة العربيّة. وهكذا يرسم بنكراد ملامح هويّته النقدية.

* كتاب السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها) وضع فيه الناقد القسم التطبيقي آخر الكتاب، أمّا كتاب مسالك المعنى (دراسات في الانساق الثقافية) فهو مؤلَّف تطبيقيّ ختمه الناقد بمجموعة من المقالات النظريّة باعتبارها تمثّل الإطار المرجعي للجزء التطبيقي من الكتاب.

المبحث الثاني: الاستثمار الإجرائي للعلامة عند سعيد بنكراد

أبانت المعالجة السيميائيّة انفتاحا في آلياتها المنهجيّة، سواء على مستوى المنهج أو المصطلح، أو على مستوى الرؤية النقديّة، وهو ما مكّنها من اقتحام مختلف مجالات النشاط الثقافي البشري. فآلياتها لا تتوقّف عند حدود الخطاب اللّغوي، بل ترمي إلى تناول مختلف مجالات الوقائع الثقافية.

ولقد أسهم بنكراد إسهاما كبيرا، في تقريب الدّرس السّيميائي من مختلف الحقول المعرفيّة كالترجمة والنقد الأدبي والسّرد وغيرها. فاستطاع أن يحقّق تراكما معرفيّا غزيرا ومميّزا، في مجال قراءة النصوص فانطلق من الأدب في شقه المتعلّق بالسّرد وانتهى إلى دراسة العلامات في أنساق بصرية شديدة التّركيب والتّعقيد.

1 . العلامة الثقافيّة:

ولج بنكراد عالم النقد السيميائي من خلال بوابة السّرد شأنه في ذلك شأن نظرائه من النقّاد العرب الذين مثّل لهم الخطاب السرديّ مادة خصبة لتطبيق المناهج النقدية. لأنّ الخطاب السّردي هو" خطاب منتج للقيم وقائم في جوهره على نظام العلامات التي تنفتح على دلالات متنوعة"[1]، من شأنه إغواء القارئ لفهم معاني هذه العلامات واستيعاب دلالاتها المتعدّدة. فالنص السردي

1 النظرية التأويلية وتطبيقاتها في مشروع سعيد بنكراد، ص 513.

هو تجسيد للمعنى عبر مكونات العالم الروائي، من شخصية وفضاء وزمان ووصف ... وكل ما يؤثِّث الكون الروائيّ.

يستطيع القارئ لأعمال بنكراد أن يتذوّق لمسته المميّزة التي يضفيها على قراءاته وممارساته النقدية من خلال تأويلاته وحضور رؤيته الخاصّة ومخياله الثّقافي والسّياسي والأيديولوجي وهي طبعا خلاصة ما تراكم في تجربته القرائيّة، وتمرّسه المعرفي والثقافي، والأيديولوجي.

إنّ قراءة بنكراد لا تستنسخ المفاهيم والنظريّات، ولا تسمح بتصنيفها ضمن تيّار أو اتجاه أو مدرسة محدّدة، إنّه هو يقرأ النصوص والعلامات، فيتذوّقها أولا، ويفجّرها ثانيا، ويبصمها ثالثا، ثم رابعا، يولّدها من جديد فيحرّرها تحريرا...[1].

توسّل بنكراد بعنصر التّأويل في ممارساته السيميائيّة، فانطلق من خصوصيّة النظرية السيميائيّة باعتبارها خطابا نظريّا وجّه فاعليّته صوب تلمّس مختلف الظواهر التأويليّة، حيث عُني بتتبّع آليات إنتاج الدّلالة داخل موضوع ثقافيّ معيّن. وانطلق من قناعة مفادها أنّ وجود النصّ " لا يستقيم إلّا إذا كان خزّانا لمعاني بعضها من المؤلِّف وبعضها من النص وبعضها الآخر هو

1 ينظر: إدريس جبري، في سيمياء الشخصية والجسد (مدخل لقراءة أعمال سعيد بنكراد)، ص 08.

حصيلة ما تأتي به الذات التي تقرأ وتؤوّل"[1]. وبهذا التصوّر يتّجه بنكراد صوب اعتماد السيميائيات التأويليّة ذات النزوع المنفتح ويتحرّر من النزعة المغلقة للسيميائيات البنوية والتي " تفرض أنّ النص مكتف بذاته وينتج معانيه استنادا فقط إلى طاقته الذاتيّة... ولا حاجة لأن يأتي القارئ بالمزيد من المعاني" [2].

إنّ المتكلّم – في نظر بنكراد– قبل أن ينتج خطابه سواء كان كتابة أو صورة أو تعبيرا جسديّا، لا يمكنه الفكاك من أسر السّنن الثقافيّ، واستنادا إلى هذا فإنّ "العلامات هي أداتنا الوحيدة في تنظيم التجربة وتبيين موقعنا داخل كون لا يرحم" [3]. وكما أنّ اللّغة محكومة بسنن ثقافيّة معيّنة في مجتمع معيّن، فإنّ الجسد هو الآخر لا يخرج عن إطار برمجة ثقافية (كونيّة أو محلية)، هي الكفيلة بمنحه معاني حركاته ودلالاتها. "واستعمال الفرد للغته، هو استعمال لعلامات لغة تستثمرها الثقافة بمضامين قبليّة، فاللغة ناقلة لقيم المجتمع الأنتروبولوجيّة والثقافية وفيها يتجسّد مخيالها القيمي" [4].

1 سعيد بنكراد، التأويل بين إكراهات التناظر وانفتاح التّدلال، مجلة بحوث سيميائيّة، مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ومركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللغة العربيّة، الجزائر، العددان السابع والثامن، 2010، 2011، ص 23.

2 سيرورات التأويل من الهرمسيّة إلى السيميائيات، ص 317.

3 السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص28.

4 جدل الذات والعلامات (قراءة في كتاب السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها لسعيد بنكراد)، ص02.

أ ـ سيميائية الشخصيّة الروائيّة: قام بنكراد بتقريب الدرس السيميائي إلى القارئ العربي من خلال أعماله التنظيريّة التي اعتمد فيها على منهج التّعريف والوصف، فإنّه قد سعى من جهة أخرى إلى عرض خبراته الموسوعيّة في قراءة بعض المتون السرديّة إقرارا منه بضرورة تفعيل مسار التحليل السيميائي ومشروع الدّلالات المفتوحة في الخطاب النقدي المغاربي.

ومن هنا انساقت دراساته وراء دوافع وحواجز خارجة عن إطار الانبهار بالمنهج أو الأنموذج، وبعيدة عن المزايدة الاستنتاجيّة والحتميّات القطعيّة الناتجة عن الخطاطات الثّابتة، فقد جاءت لتوسّع فضاء السؤال حول أبعاد المقاربة السّيميائيّة التّحليليّة وعمقها في الطرح الممكن والمحتمل في التجلّيات الدلاليّة والأنساق الثقافيّة للظاهرة الأدبيّة [1]. وبهذا يعمل بنكراد على ضرورة تجاوز النّمذجة الآلية في قراءة النصوص وتحليلها، "ويلغي قاعدة الانسياق وراء قيود المنهج وضوابط آلياته"[2] .

فقد عمل من خلال كتابه الموسوم شخصيات النص السردي (البناء الثقافي) على تجاوز التصوّر التقليديّ لمفهوم الشخصيّة، هذا التصوّر الذي يقوم على رؤية نقديّة مبنيّة على مبدأ

1 ينظر: سعاد بن سنوسي، الخطاب السردي المغاربي ومساءلة المعنى (مشروع سعيد بنكراد السيميائي أنموذجا)، مجلة التعليمية، المجلّد6، العدد 4 ديسمبر 2019، ص 112.

2 المرجع نفسه، ص 113.

تكافؤ الفرص الدّلالي المطلق بين العالم النصيّ والواقع الخارجيّ، وهي رؤية تفسّر لنا الميل الظاهر نحو تفسير الشخصيات الروائية في ضوء علاقتها بالمؤلِّف[1].

يتّجه هذا التصوّر إلى حرمان الشخصيّة من استقلاليّتها، ويجعلها صادرة عن فاعليّة المؤلِّف الخيالية، وليس عن الحقيقة الواقعيّة الخارجيّة، وأنّها ترجع إلى حقيقة النص الداخليّة لا إلى فرضيات القراءة الإسقاطية [2].

ويعدّ بعض المهتمّين بالحقل السّردي المغاربي هذا الكتاب بمثابة نقلة نوعيّة في مجال السّيميائيات السّردية لما أحدثه من قطيعة معرفيّة مع ما كان سائدا من مقاربات للنص السرديّ، وخاصّة تلك الّتي كانت تتعالى عن الواقع، وتغضّ الطرف عن أبعاده الثقافيّة وخلفيّاته الأيديولوجيّة. فانطلق في مقاربته للنص السّردي من بنائه الثقافيّ، بغية تجاوز القراءات التقليديّة السّائدة والّتي تختزل مقاربتها للشخصية في النص السّرديّ إلى بعد سيكولوجيّ أو سوسيولوجيّ...إلخ، وهو ما يجعلها تبحث لهذه الشخصية التي تتحرّك في عالم خياليّ على معادل موضوعيّ لها في العالم الواقعي[3]. وهكذا قام بنكراد بفتح مجال تطبيقيّ أرحب يمتدّ أفقه لاحتواء الخفايا الإيديولوجيّة والثّقافيّة الكامنة خلف سطور النص السردي.

1 Voir : Pastier , francois, Essais de Sémiotique discursive, Paris :Mame,1973,P186 .

2 ينظر: المصدر نفسه، ص 189.

3 ينظر: إدريس جبري، في سيمياء الشخصية والجسد (مدخل لقراءة أعمال سعيد بنكراد)، ص03.

واستنادا إلى هذا المبدأ (البناء الثقافيّ) الذي يعدّه بنكراد مرجعا له أهميّته وفعاليته الإجرائيّة قام بمقاربة الشخصية الروائيّة في النص العربيّ ودافع عنها. فقارب من خلال قراءته لرواية: **الشراع والعاصفة** للكاتب السوري "حنّا مينة" مفهوم الشخصية كعلامة سيميائية من حيث طبيعتها ووظيفتها وتكوينها واشتغالها، خاصة في إنتاج المعنى وتداوله وتصريفه واستهلاكه. وبهذا العمل يكون قد قام بإعادة " الاعتبار لمفهوم الشخصية في النص الروائيّ ليس كدال لغوي وحسب، بل وباعتبارها مدلولا ثقافيّا أيضا، وبؤرة جذب لكل القيم الثقافيّة المنتشرة في ثنايا النص السّرديّ. ذلك أنّه من المتعذّر إدراك الزمن أو الفضاء، على سبيل المثال، دون التركيز على الشخصيّة كبعد ثقافيّ تتحرّك في الفضاء وتجوب الزمن وتنشئ عوالمها الممكنة"[1]، "فالشخصية عندما تمثل أمامنا على شكل وحدات مرئية داخل النص السرديّ، لا يمكن أن تكون إلّا ثقافيّة في نمط ظهورها وثقافية في لباسها وثقافية في حركاتها وثقافيّة في نوعيّة العلاقة التي تنسجها مع الشخصيات الأخرى، وباختصار، فإنّها حصيلة تجارب جماعيّة "[2]. وانطلاقا من هذا فقد سعى بنكراد إلى خلق وتلقّي الشخصية ضمن جدليّة الثقافي/النص المتحقّق...، ومن جهة ثانية الأساليب الخاصة ببناء الشخصية عبر تحديد خصائص الشخصية الفنيّة والدّلالية[3]. وبهذه الكيفية بيّن العلاقة بين الشخصيّة الروائيّة والبيئة الثقافيّة التي تنتمي إليها هذه الشخصية.

1 المصدر السابق، ص 04.

2 سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي (البناء الثقافي)، كلية الآداب، مكناس، المغرب، ط1، 1995، ص25.

3 ينظر: المصدر نفسه، ص 101.

قام بنكراد في هذا العمل بإدماج الشخصية الرئيسية (الطّروسي) داخل النّسق العام للشّخصيات، وعلى استكناه العلاقات التي تقيمها هذه الشخصية مع غيرها من شخصيات الرواية (الأستاذ كامل، خليل العريان، أبو سمرا... وغيرهم)، بهدف الإمساك بكون دلاليّ (أو إيديولوجي) يؤطّر النص بشكل صريح أو ضمني، والتعرف عليه من خلال قراءة للسّلوك والخطاب.

وبهذا العمل يكون بنكراد قد تجاوز حدود ما هو معطى في الخطاب الميتاسردي، لكي يضع هذه الشخصيّة ضمن السّياق العام للنص الروائيّ، وضمن النّسق الدلاليّ العام الّذي يؤطّر هذا النص، وسيركّز على المواصفات المؤدّية إلى تحديد سلسلة من المحاور الدّلالية التي قد تقود إلى تحديد بنية عامة قابلة لاستيعاب كل هذه المعطيات ضمن ترسيمة تركيبيّة دلاليّة عامة.

وقام أيضا باستنطاق بعض العناصر السّردية والخطابية بهدف تحديد المواصفات والوظائف المشكِّلة لكيان الشخصية الرئيسيّة (الطروسي)، أي تحديد العناصر التي كانت في تداخلها وتظافرها وراء ميلاد "ما يسمى الآخر/شخصية"[1]...

وممّا خلص إليه بنكراد بعد تتبّعه لمسار شخصيّة الطروسي وغيرها من الشخصيّات التي شكّلت بنية النص الروائيّ قوله: " إنّ رواية الشراع والعاصفة بمجموع عناصرها، رحلة من البحر إلى البحر ومن البرّ إلى البحر. ورحلة من الجهل (جهل النفس) إلى المعرفة (معرفة النفس) ومن

1 ينظر: شخصيات النص السردي (البناء الثقافي)، ص 147. 153.

قضايا الفرد إلى قضايا هموم الجماعة. ومن الارتباط بالطبقة إلى استشراف آفاق الوطن، ومن الانعزال إلى التفتّح"[1].

وبلوغ الناقد هذه الحقيقة لم يكن ليتمّ لولا وجود قاسم مشترك ثقافي بين المؤلّف والقارئ والشخصية. "وبالتالي فبناء الشخصية في النص السرديّ ليس بناء اعتباطيا. إنّه يخضع لإرغامات ثقافيّة وأيديويوجيّة وسرديّة كذلك"[2].

وهكذا يكون بنكراد قد أسهم من خلال رؤيته المتحرّرة التي "تقع بين منارات النص الدّلاليّة في درجة أولى، وبين إشعاعات الرصيد الثّقافيّ للمحلّل في درجة ثانية"[3] في بلورة أفكار متجدّدة في الدّرس السّيميائي المغاربي. فقد تجاوزت كتاباته السّائد والمألوف في الكتابات النقديّة السّيميائية العربية من خلال إنتاجه المعرفي وإعادة قراءة الخطابات السّردية وفق أسس سيميائية جديدة.

ب ـ الدال الجسدي: إنّ تحديد دوسوسير للسّيميائيات بأنّها دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، حيث يضجّ العالم بالعلامات غير اللّسانية، الكثير منها دالٌّ وبعضها غير دالٍّ ولكن تبقى اللّغة البشريّة هي أحسن تلك العلامات لاحتوائها على نظام منسّق متميّز وفعّال في التواصل بين البشر.

1 المصدر السابق، ص 165.

2 إدريس جبري، في سيمياء الشخصية والجسد (مدخل لقراءة أعمال سعيد بنكراد)، ص07.

3 الخطاب السردي المغاربي ومساءلة المعنى (مشروع سعيد بنكراد السيميائي أنموذجا)، ص 117

وانطلاقا من هذا التحديد تحتلّ اللغة البشريّة مكانة عالية تخوّل لها القدرة على أداء العمليّة التواصلية أداء جيّدا، خاصة إذا تضافر الجانب اللّغوي اللّفظي المنطوق مع الجانب غير اللّفظي كلغة الجسد مثلا.

وهذا التّظافر وحده غير كاف لتشكيل جسر التواصل بين طرفي التلقّي إذ لا بدّ من حضور عوامل أخرى، " لأنّ البنية الإدراكية لا تدلّ من تلقاء ذاتها، فالمعنى داخلها يستدعي استحضار التجربة الثقافيّة كشرط أوّلي للامساك بممكنات الدّليل"[1]، وعليه فإنّ إدراك دلالات الصورة الجسديّة لا يمكن أن يتمّ خارج التّسنين الثقافيّ السائد في مجتمع ما.

إنّ الجسد جهاز يشتغل كسند للعيش والتواصل وإنتاج الدلالات، إنّه لغة أو هو لغات لها قوانينها ومنطقها وأسرارها[2]. فانطلاقا من مفهوم الجسد باعتباره تصور أيديولوجي ونتاج ثقافي، وباعتباره نسق تواصليّ له امتدادات في مختلف مناحي الحياة العاطفيّة والعقلية والمخياليّة، يرى بنكراد أنّ الجسد (كلّه أو أجزاء منه) محكوم بالاستعمالات العمليّة (النفعيّة)، الغريزيّة، الوظيفيّة والثقافيّة الأسطوريّة، حيث يقول: "فالجسد باعتباره بؤرة لتجلّي العملي والغريزي والوظيفي والأسطوري/الثقافي يعيش بشكل دائم تحت التّهديدات المستمرّة للاستعمالات

1 العرابي لخضر، المدارس النقدية المعاصرة، ص 155.

2 ينظر: سعيد بنكراد، سيميائيّات النسق الإيمائي (الجسد ولغاته)، عبر الموقع الإلكتروني لمنصة بالعربية، عبر الرابط https://bilarabiya.net/2897.html، تاريخ الزيارة: 23/07/ 2023.

الإيحائية (الإستعاريّة)"[1]. إذ يصدر الجسد حركات وإيماءات متنوّعة تعدّ بمثابة نصوص دالّة ومنبع لسلسة كبيرة من التّأويلات.

وللجسد امتدادات خارج نفسه (فيما ليس هو)، امتداداته في الأشياء: في الملابس والعصا والسيجارة و... وامتداداته في الفأس والمذراة والمنجل و... وامتداداته في الهمس والصراخ والعويل وكذا الابتسامة والضحك والوجه المقطّب، تشكّل هذه الامتدادات المتنوعة دلالات أصيلة تعدّ المدخل الرئيس إلى الكشف عن الهويّة الثقافيّة للجسد [2].

أنجز سعيد بنكراد قراءات عدّة للجسد، انطلاقا من التّنظيرات التي قدّمها في كتابه السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها لبعض القضايا والمسائل المتعلقة به، أهمّها هي قراءته للجسد في رواية الضوء الهارب لمحمد برادة. أين قام الناقد بمحاصرة العلامة واستنطاقها من خلال مفهوم الجسد باعتباره علامة ثقافيّة مركزية تدافع عن قيم معينة وتنبذ أخرى لهذا السبب أو لآخر.

إنّ الجسد في تصور بنكراد هو علامة سيميائيّة حبلى بالدّلالات اللاّمتناهية تحمل قيما ثقافيّة وتصورات أيديولوجية وأخلاقية حول الإنسان والعالم والحياة والموت، وليس معطى فيزيقيا يمتدّ في الفضاء والزمان فقط. والجسد في الرواية هو بؤرة البؤر، ومركز ثقلها. ولهذا نفذ من خلاله

1 السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 199.

2 ينظر: المصدر نفسه، ص 204.

الباحث فداعبه من منطلق سيميائيّ رجاء الكشف عن الطريقة التي ينتج بها هذا الجسد دلالاته، عن طريق استعمالاته الاستعارية المتنوّعة، البعيدة عن البعد النّفعي المباشر.

وإنّ ما يستهوي بنكراد في مطاردته للجسد وتمفصلاته ليس حدوده المرئيّة، بل تأليفاته المضمرة التي تستعصي على الضبط وتنفلت من بين أيدي المحلّل باستمرار.

عمل بنكراد على رصد الأبعاد الثقافيّة والرمزيّة والأيديولوجيّة واستخراجها من النص السّردي الروائي، حيث لم يعد الجسد مصدرا لحركات وإيماءات طبيعيّة ووظيفيّة، بل صار يصدر ويختزن دلالات تمرِّر أنساقا من القيم المجرّدة الكامنة فيه.

عمل بنكراد على ستقراء المسارات السرديّة التي وجّهت الشّكل الرّوائيّ من خلال المشهد الجنسيّ بوصفه المحرّك للفعل السردي، كما سعى في ضوء ذلك إلى استجلاء الواقع الإيديولوجي من خلال تسريد الجسد عبر ثنائيّة المذكر والمؤنّث.

فقام بتتبّع هذه الدّلالات واستخراجها، واستنطاقها وتكليم المسكوت عنه فيها، كقيم مجسّدة في الجسد وكأشكال محيّنة في النص الروائي، فالجسد كنص ثقافيّ كاف، في تصور بنكراد، ليجسّد قيما ثقافيّة لمجتمع من المجتمعات البشريّة، وليبرّر طبيعة الأيديولوجيا المتحكّمة فيه[1].

نقرأ المقاطع الآتية ونبرز التصوّر الذي يحكم الجسد ويحدّد أبعاده الثقافيّة، كما يراها بنكراد:

1 ينظر: في سيمياء الشخصية والجسد (مدخل لقراءة أعمال سعيد بنكراد)، ص 09.

- (جسد العيشوني): " مسترخيا كان على اللّحاف العريض، داخل الشّرفة الفسيحة"[1].

يتتبّع بنكراد جسد العيشوني ليرصد خلفياته الثقافية والأيديولوجية والأخلاقية أيضا، ففي هذه الصورة لا يمكن أن يشار إليه في بعده الجنسي، بل يمكن الإشارة إليه بوصفه علامة تدلّ على " لحظة تعب أو لحظة انتشاء أو لحظة تأمّل"[2] فقط.

- (جسد فاطمة قريطس): يصف السّارد تفاصيل جسد فاطمة قريطس وصفا جنسيّا (الوجه، العينان، والشعر) حين يقول: "كان وجهها يكتسي غلالة ناعمة ومثيرة. العينان عسليّتان مضيئتان بالتماعة ملتبسة، وقصّة شعرها الكستنائي على طريقة الغلمان..."[3].

هذه الأجزاء من الجسد عندما تنتقل إلى فضاء جديد، قد يكون سريرا أو مرقصا أو غيرهما، تفقد مباشرة بعدها الطبيعي والوظيفي لتدخل حقلا ثقافيا وأيديولوجيّا تبرزهما ثنائية الرجل/ المرأة، لا كمعطيين بيولوجيين ولكن كبعدين ثقافيين وكعلامات تسوّق لقيم ذكورية تحكم قيم المجتمع العربيّ بالخصوص.

إنّ السّارد في رواية محمد برادة هو العيشوني وهو ذكر، وانتخاب العيشوني الذّكر للقيام بتقديم هذا العالم القصصي من خلال (العين المذكّرة) على حدّ تعبير بنكراد، إنّما هو عمل يشي بتقرير مواقف ثقافيّة وقيم ذكوريّة متعدّدة، من قبيل (الهيمنة الذكورية، التسلّط، السلطة...)،

1 محمد برادة، الضوء الهارب، دار الفنك، المغرب، ط02، 1995، ص 09.

2 النص السردي (نحو سيميائيات للأيديولوجيا)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1 ،1996، ص120.

3 الضوء الهارب، ص 11.

ولذلك " فقط يصبح العالم مذكرا. فالعين التي تقدّمه محكومة بقوانين وأسنن السّجل الذكوريّ"[1]، وهكذا فإنّ استدعاء جسد فاطمة قريطس وغيرها من الشخصيات النّسائية في هذا النص الروائي لا يأتي إلّا عبر نظرة العيشوني وأحاسيسه ونزواته هو لا غير.

وبهذه المساهمة النقدية يتّضح لنا أن بنكراد اتّخذ من النص السّردي علامة ثقافية، عن طريق البحث عن المعنى في الأجساد وتمظهراتها المختلفة.

ج ـ الصّورة الإشهاريّة: انطلاقا من الوعي بقيمة الصّورة الإشهارية بوصفها نسقا دلاليّا تواصليّا له ارتباط وثيق بالنّسق الفكريّ السّائد في المجتمع وما ينتجه من قيم ودلالات، أولى بنكراد اهتماما بالغا بالصّورة الإشهارية لاستكناه دلالاتها المضمرة الكامنة خلف معانيها المعلنة، فعمد إلى قراءتها قراءة تأويليّة، منطلقا من قناعته بأنّ النص الإشهاري على الرغم من غناه بالمعاني، فإنّه فقير من الناحية القرائية، فالتعدّدية الدّلالية البادية على بنيته السطحيّة، والتي توهم القارئ بحريّة القراءة لكونها منظمة بطريقة ذكيّة من طرف المرسل، ومحدّدة سلفا لأن تتّجه في سبيل واحدة، توصل في نهاية المطاف إلى الغاية الأصليّة التي وضع لها النص، والمتمثّلة في تثمين المنتج، لأنّ الإنزياح عن هذه السّبيل لا تسمح به قصديّة النص الإشهاريّ[2].

1 النص السردي (نحو سيميائيات للأيديولوجيا)، ص 127.

2 ينظر: سعيد بنكراد، الإرساليّة الإشهاريّة (التوليد والتّأويل)، مجلة علامات، العدد 05، 1996، ص 89.

قدّم بنكراد مجموعة من الأعمال في مجال الصورة الإشهاريّة بين كتب ومقالات، منها: سيميائيات الصورة الإشهاريّة (الإشهار والتمثلات الثقافية)، والصورة الإشهارية (آليات الإقناع والدّلالة)، استراتيجيات التواصل الإشهاري (مقال)، ...ولا يكفّ الحصان عن الصهيل (مقال)، والنّجم إذا علا استراتيجية التواصل وبناء الهوية (مقال)...إلخ.

فالسّيميائيات في تصوّر بنكراد ليست علما للعلامات فحسب، بل هي دراسة للتمفصلات الممكنة للمعنى، ف (السيميوز) – كما سبقت إلى ذلك الإشارة – بما أنّها سيرورة منتجة للدلالة، لا يمكن أن تكون تدبيرا لشأن خاص بعلامة مفردة، ولا علما لعلامات معزولة. إنّ السيميائيات هي منهجيّة في رصد المعنى وتحديد بؤره ومظانّه، والكشف عن حالات تمنّعه.

كما أنّها ليست رصدا لمعنى واحد، إنّها إنتاج والإنتاج معناه الخروج من الدائرة الضيقة للوصف (الموضوعي) إلى ما يحيل على التّأويل باعتباره سلسلة من الإحالات المتتالية الخالقة لسياقاتها الخاصّة.

والسّيميائيات في نظر بنكراد هي مطاردة للمعنى لا ترحم، فبقدر تمنّع المعنى وتستّره، بقدر ما تتشعّب مسارات السّيميوز وتتعقّد وتكبر شبكتها، ويكبر معها حجم التّأويل ليستوعب دلالات لا عدّ لها ولا حصر.

تتضمّن الصورة الإشهارية للمنتوجات على اختلاف أنواعها وطبيعتها، أنماطا سلوكيّة تكرّس ممارسات ثقافية محدّدة، بل تطمح إلى " إدراج هذا المنتوج ضمن عالم ثقافي يؤكّد مجموعة

من القيم التي يزعم المنتوج الانتماء إليها أو الدفاع عنها"[1]، واستنادا إلى هذا التصور عمل بنكراد على تجاوز ما تقترحه الصورة الإشهارية في تمثّلاتها المباشرة، بوصفها علامة بصريّة، تجمع بين البعدين البصريّ واللّغوي، فقام بربط الهوية البصرية التي يبنى عليها الإشهار بالنسق الثّقافي الذي يحيل إليه.

ولن يتأتّى له ذلك إلّا من خلال القراءة التّأويلية التي تهتمّ بالكشف عن الموضوعات الثقافية المميّزة للممارسات اللّسانية، إذ " تنفتح الصورة على سجلاّت دلالية بالغة الغنى والتنوع، في حين تقوم الملفوظات اللّسانية بعملية ضبط ذاتي للتّوالد الدّلالي الذي يقلص من حجم السجلاّت ويوجّهها وفق غاية خاصة"[2]، وهكذا تقوم قراءة الوصلات الإشهارية عند بنكراد على ازدواجيّة في التّأويل، إذ تنفتح الصورة على دلالات رمزيّة متعدّدة، بينما تقوم الملفوظات المرافقة للصورة بتقييد حريّتها وتوجيهها نحو غايات محدّدة.

ومن العلامات التي تنبّه لها بنكراد في الإرساليات الإشهارية هو جسد المرأة، فقد اعتبر وجوده من الحالات التي تستثير شهوة الحس في المشاهد انطلاقا من طاقة الإغراء التي يمتلكها هذا الجسد، وذاك ما يكشف عنه الطّابع الإيروسي لبعض الوصلات الإشهاريّة، حيث يقول:

1 سعيد بنكراد، والنجم إذا علا إستراتيجية التواصل وبناء الهوية، مجلة علامات، العدد 18، 2002، ص 48.

2 سعيد بنكراد، هناك بعيدا في الأعالي، مجلة علامات، العدد 27، 2007، ص 30.

"تتخلّى اللغة فيها عن معناها التقريري، لكي تنحاز إلى الإيحائي وحده، ويتخلى البصري عن مضمونه الواقعي لكي يمجّد عريا مثاليا لا معادل له في الواقع"[1].

وهكذا فقد قام سعيد بنكراد من خلال قراءاته المتنوّعة للصّور والإرساليّات الإشهاريّة بمساءلة العلامات بوصفها كيانات دالّة من جهة، وبوصفها الأداة التي ينظّم بها الإنسان تجاربه الّتي لا أفق لها خارج اللغة.

وبما أنّ المعاني مضمرة خلف النصوص اللّغوية وغير اللّغوية، فلا يمكن اكتشافها " في انفصال عن سيرورتها الثّقافية التي يتشكّل داخلها المعنى، فالنّسق الثقافيّ المضمر في الخطاب هو من يحدّد المسارات التّأويلية، لذلك لا يمكن أبدا اعتبار الفعل التّأويلي ممارسة حرّة"[2].

د . الصورة الفوتوغرافيّة: تصنّف الصورة الفوتوغرافية بوصفها أحد أنواع الفنون البصريّة التي تخطّت حواجز المرئي إلى ما هو أبعد من ذلك فاتسمت بالعمق الذي يكمن خلفه فلسفة خاصة بثقافة ما أو مجتمع ما. وقد انتقلت الصورة الفوتوغرافية من "مجرد توثيق لحظة معيّنة في الزمن واستدعاء ذكريات الماضي إلى أنّها رسالة بصريّة تستدعي التّأويل "[3]، فالصورة الفوتوغرافية هي وعاء متعدّد الدّلالات، له سرّه البصري وينطوي على بواطن غير مرئيّة خلف الرموز الجليّة

1 سعيد بنكراد، المرأة في الإشهار بين المعيش اليومي واستيهامات الرغبة، مجلة علامات، العدد 48، 2017، ص 26.

2 النظرية التأويلية وتطبيقاتها في مشروع سعيد بنكراد، ص517.

3 نورهان طارق صلاح الدين محمد علي، سيميائية الصورة الفوتوغرافية، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد 22، العدد 02، ص274.

للعين المجرّدة، لذلك استوجب تحليلها السيميائي تطبيق البعد الرمزي والثقافي والجماهيري عليها باعتباره يعد جزءا أساسيا للكشف عن القيم الدلالية التي تحملها، كما يرى رولان بارث (Roland Barthes) وهو ما اعتمده بنكراد في قراءة للألبوم الفوتوغرافي لداوود أولاد السيّد.

وباعتبار السّيميائية منهجا في البحث عن المعنى ودراسة السّلوك الإنساني بوصفه حالة ثقافيّة تنتج المعنى، وباعتبارها منهجا يبحث في تفسير الدّلالات، يمكنها البحث في دلالة الصّورة الفوتوغرافيّة، ظهرت الإيقونولوجيا كمنهج سيميائي دقيق ومتخصّص في دراسة دلالات الصّور الفوتوغرافيّة من خلال سياقاتها البصرية (visuel contextuel) عن طريق التعريف والوصف والتفسير، بهدف الانتقال من القيم الأكسيولوجية* المجرّدة إلى القيم الأيديولوجية بالمفهوم السيميائي[1]. وبناء على ذلك تكشف الأيقونولوجيا التداخل الدلالي وتشكيل المعنى المباشر والمجازي والأنظمة الدلالية، وكيفية التعرف على الأبعاد السيميولوجيّة للتوصّل إلى المعاني والدّلالات التي يثيرها الشّكل الأيقوني.

قرأ سعيد بنكراد ألبوم المصوّر والمخرج السّينمائي المغربي داوود أولاد السيد قراءة سيميولوجيّة، باعتباره وحدة منسجمة لها امتداداتها في ذاتها من خلال عناصرها المكوّنة، التي تشتغل كنصّ يحيل على كون دلاليّ بالإمكان رسم معالمه وتحديد عمقه وامتداده. وكلّ شيء في

* الأكسيولوجية هو علم البحث في طبيعة القيم وأصنافها ومعاييرها ويرتبط بعلم المنطق والأخلاق والجمال

1 ينظر: المرجع السابق، ص 274.

الألبوم كان يدعو إلى ذلك في نظر بنكراد لأنّ الأمر في نظره " لا يتعلّق بصورة أو صور معزولة لا رابط بينها، بل هو ألبوم في صيغة كتاب يروي عبر معجزات الآلة لحظات حضارية في حياة هذا الشعب"[1]. وهذا ينبّهنا إلى ما تتبنّاه السيميائيات التّأويلية كونها تنظر إلى النص وباعتباره خطابا وعملا كليّا وككليّة رمزيّة دالّة.

إنّ عمليّة التأثير والتأثّر التي تحكم العلاقة التي تربط بين الفرد بصفة عامة ومجتمعه هي التي جعلت من هذا العمل يكون متميّزا في نظر بنكراد، وهو ما دفع بنكراد إلى القول بأنّ هذا الأخير" كان يعرف بالضبط جوهر ما هو مقبل على إنجازه، لقد كان يشتغل وفق تصور دقيق وواضح"[2]. فالفوتوغرافيا لدى داوود أولاد السيد مذكرات تكتب نفسها بالضوء، وعين فاحصة لا تتقن الكلام إلّا بتلك اللغة.

وهو ما دفعه إلى أن "يستعمل علامات مستثمرة بقيم مسكوكة في المخيال الجمعي ليتسلّل خفية عبر الكاميرا بين تلك العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول في الزمان والمكان"[3]، إنّ هذا " القول البصريّ " كما يسمّيه بنكراد ليس عفويّا ولا محايدا، إنّه يشيّد نفسه في مقول منسجم ومتماسك من خلال إحالاته الثقافيّة المباشرة منها وغير المباشرة.

1 أنظر: السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 160.

2 المصدر نفسه، ص 168.

3 جدل الذات والعلامات (قراءة في كتاب السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 04.

إنّ عناصر ومعطيات الألبوم منفردة لا يمكن لها أن تقوم بالتّدليل، إنّها تقوم بذلك من خلال العالم المتخيّل الذي توحي إليه هذه الصور وهي مجتمعة: فأشياء الألبوم المحسوسة ووجوه وأجساد النّساء والرّجال والنظرات كلّها قد تنازلت عن عمقها الفردي أي عمّا يميّزها في أفق بناء هويّة جماعيّة تمثّل حالة حضارية لأمة أو شعب[1]. ومعنى ذلك أنّ صور الألبوم فقدت قوّتها التّخصيصية بمجرّد ما تمّ جمعها إلى بعضها ووضعها مجتمعة تحت مظلّة تسمية محددة (عنوان) تمثّل مفتاح تأويلها.

يرى بنكراد أنّ داوود أولاد السيد استطاع أن يختار وفق قواعد الانتقاء علامات بلور من خلالها رؤاه الثيميّة وصاغ تصوّره لما يسميّه بالإنساني (لأنّه كان يسعى من خلال عمله إلى تصوير حالات إنسانيّة) ومحيطه. فقد انتقى في ألبومه علامات قادرة على تقديم مواقف وحالات خاصة بالمغاربة. وبواسطتها استطاع " أن يبني موضوعه ضمن اختيار لا يقبل التعدّد ولا يقود إلى تشويش اللقطة"[2].

عمل داوود أولاد السيد على اختيار علامات نموذجيّة (صور) تستحوذ على أجزاء من الحياة تؤدي إلى إنتاج مشاهد سرديّة تعتق النظرة من عقالها وتحوّل الصّورة من عناصر مخصوصة

1 ينظر: السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 162.

2 المصدر نفسه، ص 168.

إلى صورة عامة تمثّل في عمقها نموذجا تمثيليّا يمكن أن تقرأ من خلاله كلّ الوجوه وكلّ الأجساد وكلّ الأشياء المشابهة، وتتجاوز في دلالتها سيطرة لغة النموذج ف:

- صورة الخادمة هي قصة كل الخادمات.
- صورة المرأة والسّياج والرّجل تحكي قصّة العلاقة بين الرجل والمرأة.
- صورة الصحراء والضّياع تروي حياة البدو وصراعهم مع الرمال والظمأ...[1].

ومن خلال قراءته لصور الألبوم التي التقطتها عدسة الفنّان يقول بنكراد أنّها تشكّلت في وضعيات غاية في العمق والقوة والغرابة، وضعيّات تجعل المرأة والرجل وجها لوجه، وأخرى تجسّد دهشة الأهالي أمام الآلة الحديثة. إنّها وضعيات تقدّم مغاربة هذا الفنان من زاوية تركّز على الغرابة والدّهشة والبؤس. وهي زاوية ترصد قساوة الطبيعة والوجوه والنظرات، إنّها تجسّد لخجل المرأة وانكسارها النفسيّ والجسديّ. فنساء الألبوم لسن سوى عيون تطلّ من خلف شاشات لا متناهية: الخمار والقناع والشباك والّسياج وأعين الرجل التي لا تغفل[2]. وإلى هذا المعنى الأخير الذي يجسّد الصراع المستمر في الثقافة العربية بين الرجل والمرأة، تشير الصورة رقم 32 من الألبوم " فهي تعبّر بشكل فنيّ سام عن توافق استبداديّ بين المذكر والمؤنث، حيث يتمّ توزيع كل شيء في الصورة وفق موقع كل منهما داخل صرح الفضاء الاجتماعيّ[3]. وهي معانٍ لم يكن لها أن

1 ينظر: السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، ص 174.

2 ينظر: المصدر نفسه، ص 183.

3 المصدر السابق، ص 183 ـ 184.

تتحقّق لولا خضوع داوود أولاد السيّد لأعراف ثقافية محدّدة سلفا جعلته يتفنّن في خلق علاماتها باحترافية عالية واستثمارها بقيم متداولة بين أفراد المجتمع على حدّ تعبير محسن أعمار.

سعى بنكراد من خلال هذه الدّراسة إلى محاولة إدراك العلاقة بين صور الألبوم الفوتوغرافي وبين القيم الاجتماعية والثّقافية والعقائدية التي تحتويها، فهذه العلامات البصريّة رغم إحالتها على تشابه ظاهري إلّا أنّها لا تقدم للمتلقّي تمثيلا محايدا لمعطى موضوع منفصل عن التّجربة الإنسانيّة. وأنّ هذه الصيغ البصريّة في تنوعها تشكّل لغة مسنّنة أودعها الاستعمال الإنساني قيما دلاليّة أكثر عمقا.

2 . الأنساق الثقافيّة:

عمِل بنكراد على تعميق البحث في العلاقة التي تربط بين الفرد وعلامات النسق الثقافي الذي ينتمي إليه هويّة وتاريخا. وعلى ضرورة تعميق البحث في الحوار القائم بين الفرد وعلامات الجسد الاجتماعيّ.

سلّط بنكراد الضّوء على تداخل اللّغوي والثّقافي في التّجربة الإنسانيّة ليكتشف أنّ استخدام الفرد لعلامات الثقافة الّتي ينتمي إليها، هو استعمال يوجّهه التّسنين الثّقافي الذي

يستثمر العلامات بمحتوى قيم الثقافة التي ينتمي إليها. فالإنسان في استعماله للغة وفي تواصله بشكل عام محكوم بما يسمى اللاّشعور الثقافي الذي يحدّد له إمكانياته وحدوده[1].

وعلى هذا الأساس فإنّ المبدع باعتباره منتجا للموضوعات السّيميائية يفكّر داخل نظام اللاّشعور الثّقافي حيث لا يستطيع الفرد أن يخرج عن إطار اختيارات محدودة بمضامين الثقافة التي ينتمي إليها. وهذه القضايا هي من صميم مبادئ النقد الثقافي.

لقد تحوّلت النظريّات الغربيّة المعاصرة من قراءة النصوص الإبداعيّة إلى قراءة الأنساق الثقافية. وأفرز هذا التحوّل ميلاد النقد الثقافيّ باعتباره مشروعا بديلا عن النقد الأدبي. فلم يعد النص هو المقصود بالقراءة والتّأويل، إنّما الأنساق الثقافية التي يحيل بها النص.

النسق الثقافي وإنتاج النصوص:

يعرّف أحمد يوسف النّسق الثقافي بأنّه " نوع من المؤسسات ذات قاعدة اجتماعية" [2]، وهو ما يجعل للنّسق سلطة على الأفراد تتحكّم في تفكيرهم وسلوكياتهم وتوجّهها.

ينظر النقد الثقافي إلى النص كمادة خام، غير منعزلة عن الظواهر الأخرى، ولا يمكن قراءته لذاته أو لجمالياته فقط، إنّما يعامل النص في هذا الصّدد بوصفه حامل نسق، يفترض أن يكشفه

1 ينظر: محسن أعمار، جدل الذات والعلامات (قراءة في كتاب السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها لسعيد بنكراد، ص 1-2.
2 عبد الله الغذامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافة العربية) المركز الثقافي العربي، لبنان، ط2، 2001، ص72.

النقد الثقافي متوسّلا بالنص في سبيل هذا الكشف. ومن هذا المنطلق يصبح النص مجرّد وسيلة لاكتشاف حيل الثقافة في تمرير أنساقها.

وبصيغة أخرى فإنّ النقد الثقافي " يستخدم أدواته للغوص في لا وعي النص، من أجل الكشف عن المسكوت عنه من الإشكالات الأيديولوجيّة وأنساق التّمثيل وكلّ ما يمكن تجريده من النص"[1]. فالنص من هذا المنظور هو فعل إنساني يتأثّر بالمجتمع ويؤثّر فيه. فالنص يشارك في إنتاجه المجتمع، ويشارك هو في إعادة إنتاج المجتمع (القيم والسلوكيات)[2].

وبهذا يتشارك في إنتاج النص مؤلِّفين اثنين هما، مؤلِّف فرد له خصوصية فردية، ومؤلِّف آخر ذو كيان رمزي هو الثقافة التي تصوغ بأنساقها المختلفة وعي المؤلِّف الفرد ولا وعيه أيضا [3]. ومن هذا المنطلق يمكننا اعتبار كل الممارسات الإنسانية هي بمثابة نصوص تحمل دلالة ثقافية شريطة أن تحظى بالانتشار. كما أنّها تتشكّل عبر البيئة الثقافية والحضارية، وتلعب لعبة الاختفاء تحت عباءة النصوص.

1 طارق ثابت، النسق الشعري وبنياته (منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي)، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، العدد 17، ديسمبر 2016، ص21.

2 النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ص77.

3 ينظر: النسق الشعري وبنتياته (منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي)، ص 26.

عبر دراسات تطبيقية تسعى إلى تجسيد حالة دلاليّة قام بنكراد في كتابه "مسالك المعنى" بالحفر في أنساق الثقافة العربيّة، من خلال مساءلة البداهي والعادي والمألوف للبحث عن هويّة أخرى غير ما تقوله الذات عن نفسها، وغير ما هو مثبت في الانتماءات والعقائد الكبرى.

حاول الناقد الكشف عمّا يختفي وراء الواجهات لإنّ المعنى لا يسلّم نفسه طواعية أبدا، إنّه يتقمّص البداهي لكي يستتر على ما يمكن أن ينتجه السّلوك النفعي من دلالات رمزيّة[1].

قارب الناقد مجموعة من الظواهر والقضايا التي اعتبرها كيانات دالّة ومن ثمّ ثقافيّة، وقد مكّنته هذه المقاربة من استقصاء العلاقات الخفيّة بين الظواهر والقضايا التي يعتقد الحسّ المشترك أن لا علاقات موجودة بينها.

اهتم سعيد بنكراد في كتابه بالكشف عن مسالك المعنى العديدة التي كثيرا ما تغيب خلف حجب النظر الكليل وهو عمل ليس عدميا أو عملا لا طائل من ورائه إنّه يعبّر عن اهتمام يصل حدّ العشق برحلة بحث عن حقائق لا ترى وعن معان لم تكتشف مع التلذّذ بسيرورة انتاجها[2].

لقد ارتقى بنكراد بالظواهر المدروسة إلى مستوى الأنساق فقرأها من خلال ما تحمله من دلالات ومتغيّرات من جهة، ومن خلال ما تحتويه من ثوابت خفيّة تمكّن من استشفاف بعض

1 ينظر: سعيد بنكراد، مسالك المعنى (دراسة في بعض الأنساق الثقافيّة)، سلسلة شرفات، منشورات الزمن، الرباط، العدد 48، فبراير 2015المقدمة.

2 ينظر: محمد عفط، مسالك المعنى أو حذق الوعي، مجلة علامات، العدد 37، 2012، ص76.

مميّزات الثّقافة العربية فتصبح السّيميائيات في ظلّه ليس علما للعلامات بل أداة للكشف عن المعنى.

سعى بنكراد إلى إخراج السيميائيات من مجال حضور متعارف عليه ليبرز قدرتها العالية على الكشف عن السيرورات التّدليلية في مختلف الظواهر وفي كل ما ارتقى ليصبح إنجازا ثقافيا. فقارب في هذا الكتاب جملة من الظواهر أهمّها:

أ. كرة القدم (الاستيهامات الحربيّة والجنسيّة): قرأ بنكراد "لعبة كرة القدم" بوصفها حالة ثقافيّة فريدة، فربط متعة اللّعب بـ" الاستراتيجية الحربية" و"الاستيهام الجنسي". إذ تحفل هذه اللّعبة في نظر الناقد بالاستيهامات والعلامات الجنسيّة.

ففي وصف اللعبة بـ "معبودة الجماهير"، ما يثير الرّيبة والالتباس، من خلال حالة التّأنيث أوّلا (فلا يمكن ألّا تثير العبارة حالة لقاء جنسيّ بين ذكر وأنثى)، ومن خلال الهوى الجارف الذي يحيل عليه فعل العبادة ثانيا[1].

ألعاب كرة اليد وكرة السلة وكرة الطائرة لا تتوفّر على الكم الانفعالي بسبب محدوديّة فضاء اللعبة (الملعب)، وفي هذا تفسير لشعبيّة هذه اللعبة التي تتضمّن خزانا من الدّلالات: منها ما يحيل إلى الحرب باستراتيجيتها وتكتيكاتها وإحالاتها المتعدّدة على العدوانية والاقتتال والاستبسال

1 ينظر: سعيد بنكراد، مسالك المعنى (دراسات في الأنساق الثقافية)، سلسلة شرفات، منشورات الزمن، الرباط، العدد 48، فبراير 2015، ص 117.

والشهادة ومحاولة تدمير الآخر (رمزيّا) والخيانة والحذر ورد فعل الخصم والاحتياط والتربص وتسديد القذائف واستحضار عوالم الذّبح والقرصنة والمراقبة اللّصيقة والتفريغ الحضاري للشّحنات الانفعالية عبر استثارة حالات العدوانية، بما يشبه حلقات الذكر "الزار" أو البوح السريري[1].

وتتطابق- في نظر بنكراد- كرة القدم مع الفعل الحربي حيث لا يتورّع أحد الخصمين عن استعمال أبشع الوسائل من أجل تدمير الآخر. إنّها البديل الرّمزي للحرب الحقيقية هدفها الوصول إلى حالة سكينة تطمئنّ لها الذات المنهكة.

وممّا تحمله اللّعبة هو إحالاتها الّتي تتعلّق بعوالم الأنوثة والذّكورة، بما تحمله من دلالات جنسيّة، على الارتواء الجنسي (رمزيّا) أو حالات الكبت والفعل الناقص[2].

فالمشاهدة فعل استعراضي يؤدي فيه المشاهد دور المتلصّص الذي يشبع رغباته بمشاهدة الآخرين ينزعون ثيابهم استعدادا لممارسة فعل جنسيّ لا يمكن أن يتحقّق إلّا من خلال إسقاط حالات إشباع افتراضي أو لذّة منفردة[3]. فهي تستعيد بعض الطقوس البدائية التي كان الناس يتقرّبون فيها من الآلهة من خلال تنظيم حفلات جنسيّة جماعية ولذلك تهتزّ الجماهير طربا لتمرير الكرة بين رجلي الخصم وهو ما يسمى في المعجم الكروي القنطرة الصغيرة ولها إيحاءات جنسيّة إخصائية يقول بنكراد.

1 ينظر: المصدر السابق، ص 121.

2 ينظر: مسالك المعنى (دراسة في الأنساق الثقافيّة)، ص 118.

3 ينظر: المصدر نفسه، ص 123.

وتحفل كرة القدم في نظر بنكراد بالاستيهامات والعلامات الجنسيّة أيضا، بدءا من اسمها الأنثوي مرورا بمداعبة الكرة العنيدة وملامستها رغبة في فكّ تمنّعها ودلالها، من أجل معانقة الشبّاك واختراق المرمى.

إنّ حالات المراودة والتهيّؤ والتمنّع والرغبة المتأجّجة ثمّ الانكفاء على النفس في حركة يائسة تعبّر عن لذّة لم تكتمل وكلّها إحالات جنسيّة تحملها اللعبة.

لذلك تشبه بعض الأهداف حالات الاغتصاب الجنسي. فالكرة الطائشة التي تدخل دون فرجة أو مداعبة هي "قذف سريع" متعة كما تحلّل بعض أدبيات كرة القدم[1].

وهذا ما يفسّر. في تصوّر بنكراد – الطابع الذكوري للّعبة، باستثناء الكرة التي هي وحدها مؤنّثة. مبدأ الرجولة إذا هو الرابط بين الاستراتيجية الحربية والاستيهام الجنسي

وبهذا يكون الناقد قد استدرجنا من خلال كتابه مسالك المعنى إلى استشفاف بعض مميّزات الثقافة العربيّة، من خلال الارتقاء بالظواهر التي درسها إلى مستوى الأنساق الثقافية.

ب ـ الهويّة البصريّة والترميز السّياسيّ: قرأ بنكراد تحت هذا العنوان في كتابه مسالك المعنى، رموز الأحزاب السياسية المغربيّة الديماغوجيّة التي اتّخذها علامات يكشف بواسطتها ما تضمره من دلالات وإحالات ثقافية وحضارية.

1 ينظر: المصدر السابق، ص 124-125.

والرمز باعتباره هويّة بصرية لا يمكن أن يكون محايدا أو عفويّا، كما أنّه ليس مجرّد أداة تعريفيّة هشّة. إنّه على العكس من ذلك، إنّه "سلسلة من الحكايات والأوضاع والقيم، إنّه تمييز ثقافيّ "[1].

انطلاقا من فرضيّة أنّ الهوية السّياسية للحزب لا يمكن فصلها عن هوية معرفيّة وفكريّة وحضاريّة، فمنها يستمدّ الحزب تصوّره لقضايا المجتمع المتنوعة، وإليها يستند من أجل قراءة الواقع وصياغة برامجه وتصريفها في أفعال سياسية مشخّصة.

قام بنكراد من خلال مقاله الموسوم بـ " الترميز السياسي والهوية البصرية ـقراءة في رموز بعض الأحزاب السياسية "، دراسة المضامين الممكنة المعتمدة في التمييز بين الأحزاب السّياسية في المملكة المغربيّة. لرصد مدى قدرتها على التّعبير عن الهويّة الحضارية والفكريّة لكل حزب على حدة.

ومن أجل اكتشاف تلك الهويات البصريّة يفترض بنكراد التّعاطي مع الرمز للبحث عن كلّ الدّلالات الإيحائية التي تثيرها وضعيّة ما أو يشير إليها كيان ما. فالرمز تنظيم جديد لوحدات

1 سعيد بنكراد، ... ولا يكفّ الحصان عن الصهيل، مجلة علامات، العدد 07، 1997، ص2.

دلالية إضافية (سريّة) لا تسلّم نفسها إلّا من خلال النّقش في ذاكرة الرّمز واستحضار أبعاده الثقافية والمحليّة أو الكونيّة[1].

قام بنكراد بالاشتغال على رموز أحزاب سياسية والبحث في مجمل العناصر الثقافيّة/ الحضاريّة الّتي تخبّؤها التجربة الإنسانية في أشياء الكون وكائناته.

إنّ الصيغ التعبيرية الرّمزية لا يمكن أن تكون شيئا سابقا في الوجود على تداول الناس لها ـ كما سبقت إلى ذلك الإشارة في المبحث السابق ـ، " فالرمز جزء من وجودنا اليوميّ، بل هو أساس إدراك عالمنا الخارجيّ وأساس تصوراتنا حوله "[2].

وعلى عكس وحدات اللّسان التي تشترط معرفة السّنن الثقافي الذي تنتمي إليه هذه الوحدات بمعانيها المتنوعة (الصّريحة والضمنيّة)، فالرمز يشترط معرفة إضافيّة مصدرها التّاريخ والأسطورة والحكايات والإسقاطات النفسيّة كما يقول بنكراد.

لقد قادت البشريّة في مسيرتها الطويلة إلى بلورة بنيات مخياليّة كونيّة، وضمن هذه البنيات تندرج عدّة عناصر طبيعية وكائنات حيّة. وهي ما يجب التعامل معه باعتبارها رموزا لها دلالات تكاد تكون مشتركة في جميع الثقافات، ومهما يكن من اتصاف هذه العناصر بصفة العموميّة

1 ينظر: سعيد بنكراد، الترميز السياسي والهوية البصريّة (قراءة في رموز الأحزاب السياسية المغربية)، مجلة علامات، العدد 21، 2004، ص84.

2 المصدر نفسه، ص 84.

فإنّه لا ينفي استقلاليتها بخصائص ثقافيّة محليّة، تستمدّ مضمونها من المعيش اليوميّ الخاص بمجموعة بشريّة معيّنة. وعلى هذا الأساس فإنّ تأويل الرمز لا بدّ أن يستند إلى الوسط الثقافيّ الذي أنتجه، ويستدعي تحديد دوره في زمان ومكان معيّنين[1]، وهذا الأمر نفسه ينطلي على خطاب الألوان الذي يعدّ خطابا أنتروبولوجيّا بامتياز عندما يرتكز على عناصر ثقافية لمنح هذا اللون أو ذاك دلالات معيّنة.

واستنادا إلى هذا يمكن الإمساك بأوليات التّدليل داخل العلامة الرمزيّة. فالبراد (إبريق الشاي). في نظر بنكراد. لا يربطه بمجموع القيم الحزبيّة أي رابط دلالّي مفترض، فما يربطهما هو رابط واه جدّا وسطحي، وهذا ليس معناه أنّ البراد لا يمكن أن يكون رمزا. ف " لا يمكن للبراد أن يكون رمزا يشتغل وفق الميكانيزمات التي يشترطها الرّمز بإحالته الدّلالية المتنوعة، فهذا البراد محدود في الزمان وفي المكان، والقيم الدّلالية الإيحائية التي يشير إليها ضعيفة الجدا، إذ أنّه لا يمكن أن يتجاوز الإشارة إلى أداة تستعمل في تحضير الشاي أو إثارة حالة حياتيّة تشير إلى المشروب المفضل عند مجموعة بشريّة ما. وهذا الأمر نفسه ينطبق على مجموعة أخرى من المميزات الحزبية(logo) ك "الشقة" و" الباب" و" الخنجر" و" المفتاح " إلخ ...فالغاية الاستعمالية من هذه الكيانات هي التمييز البصري، لا الإيحاء بمضمون دلالي ما"[2].

1 ينظر: المصدر السابق، ص 86.

2 الترميز السياسي والهوية البصرية (قراءة في رموز الأحزاب السياسية المغربية)، ص 87.

اختارت الكثير من الأحزاب السياسية كيانات معيّنة لتدلّ عليها، ولكن هل يمكن اعتبار هذه الكيانات رموزا لها موقع في الذاكرة الحضارية للأمة، أو في الذاكرة الإنسانية كلّها؟ أم يجب التعامل معها باعتبارها كيانات مميزة شبيهة بكل المميّزات التجاريّة التي تعتمدها المؤسسات الاقتصادية الكبرى، التي تتّخذها كرافد تمييزي بصري يدعم الهوية البصرية ويقوّيها؟ هذه بعض التساؤلات التي طرحها بنكراد في هذا الشّأن.

وانطلاق من هذه التساؤلات، يقرّ بنكراد أنّ " الغاية الرمزيّة لم تكن هي المحفّز الأوّل لاختيار هذه الكيانات. فباستثناء بعض الرموز الصريحة ذات البعد الكوني كـ "الوردة" و"الميزان" و"المصباح" و"الشموع" و"الكتاب" و"راحة اليد"، فإنّ مجمل الأدوات التي تستعملها الأحزاب السياسيّة هي من صلب اليوميّ المباشر"[1]. وهذا الحكم لا يعني عدم امتلاكها لبعض الإحالات الدّلالية الإضافية، ولكنها لا ترقى إلى امتلاك وضع الرمز من جهة وليست قادرة على إضافة رافد فكريّ، كما ليس بإمكانها الكشف عن رؤية جديدة تحيل على أبعاد حضاريّة مضافة كما يرى بنكراد.

1 المصدر السابق، ص 88

ويرى بنكراد أنّه من ناحية أخرى اختارت أحزاب سياسية أخرى كيانات قامت بإفراغها من عمقها الرمزيّ شديد الغنى وحوّلتها إلى مجرّد رسم دالّ على هويّتها البصريّة بدون أيّ إحالة إضافية.

ومن الأمثلة على ذلك اختيار حزب سياسي ليبيرالي يدعو على الحداثة القيميّة واقتصاد السوق للأسد الذي يعرف برمزيّته الكونيّة الدالة على عالم الغابة والطبيعة والشجاعة الفرديّة المنفلتة من كلّ القوانين. فما الذي يجمع بين هذا وذاك يقول بنكراد؟ إنّ قراءة سطحيّة لهذا الكيان يمكن أن تشير إلى الربط بين قيم ليبيرالية متوحّشة لا تعترف سوى بالربح السريع، وبين سلوك وحشي مفترض للأسد. وبالتّالي تتحوّل هذه الأداة الرمزيّة إلى إدانة مسبقة لهذا الحزب وقيمه[1].

ومن ناحية أخرى يقرّ بنكراد أنّ بعض الكيانات لها رابط رمزيّ مباشر مع اسم الحزب وتصوراته، كرمز الغزالة مثلا للتعبير عن الارتباط بالبيئة والدّعوة إلى المحافظة عليها. فالغزالة في جميع السياقات، باستثناء السّياق الّذي تدلّ فيه على المرأة الجميلة، هي إحالة على الحريّة والبراري والهواء النقيّ. ومهما يكن من قيمة لهذا الكيان فإنّها تعتبر إحالة محدودة فعشق الطبيعة فلسفة حياتية وليس له أي ارتباط باستحقاقات انتخابية محدودة زمانيّا ومكانيّا.

1 ينظر: الترميز السياسي والهوية البصريّة (قراءة في رموز الأحزاب السياسية المغربية)، ص 88.

وخلاصة ما توصّل إليه بنكراد بعد تتبّعه لنماذج كثيرة من الكيانات الرمزيّة التي تعتمدها بعض الأحزاب السياسيّة أنّ الرمز، ليس واجهة تزيينيّة، وليس مميّزا يرتبط باستحقاقات انتخابيّة محدّدة الزّمان والمكان، إنّه أعمق من ذلك كلّه، فهو أداة قويّة من أدوات التسويق السياسي هدفها الاستحواذ على وجدان المستهلك السّياسي عبر أقرب الطرق وأيسرها.

وختام القول أنّ بنكراد قام ببناء تصوّره السيميائيّ المتفرّد من خلال رؤيته المتحرّرة التي "تقع بين منارات النص الدّلاليّة في درجة أولى، وبين إشعاعات الرصيد الثّقافي للمحلِّل في درجة ثانية" [1]. والتي استندت على آليات السيميائيات التأويليّة. وبتحوّله من ميدان تحليل النصوص السردية إلى تحليل ودراسة العلامات في أنساق بصرية شديدة التركيب والتعقيد يكون بنكراد قد أسّس لنفسه مشروعا سيميائيّا متكامل الحلقات وثيق العرى، يتّسم بالانفتاح الحداثي والامتداد التّراثيّ.

1 الخطاب السردي المغاربي ومساءلة المعنى (مشروع سعيد بنكراد السيميائي أنموذجا)، ص 117.

خاتمة

في ختام هذا البحث نخلص إلى رصد النّتائج التّالية:

– عمل أحمد يوسف من خلال منجزاته النقديّة (النظريّة والتطبيقيّة) في ميدان السّيميائيات على الاستفادة الفكريّة من جوهر العلامة السّيميائية وبيان أسسها واقتفاء مساراتها. غير مغفل في دراساته ذلك الارتباط الفكري والمنهجي لهذه القضايا بمصادرها الغربيّة، مستثمرا الخلفية الإبستيمولوجية التي أنتجتها الثقافة الغربية بما تتضمّنه من تصوّرات نظريّة ومنهجيّة ومصطلحيّة تعدّ مصدرا نقديّا مهمّا للخطاب النّقدي السّيميائي المغاربيّ.

– انطلق أحمد يوسف في أعماله من وعيه الفكري بضرورة الجمع بين العلامة السيميائيّة وخلفياتها الفلسفية والإبستيمولوجيّة، غير مغفل امتداد العلامة السّيميائية في تاريخ التفكير الفلسفي الإنساني، من أجل بناء توجّه نقديّ قويم الأسس، سليم المنطلقات والتوجّهات له خصوصياته العربية والمغاربيّة.

– استطاع أحمد يوسف أن يقدّم المفاهيم السيميائية ـ على الرغم من صعوبتها ـ إلى القارئ المتخصّص وغير المتخصّص بأسلوب خاص اعتمد فيه على الشرح والتّحليل والتّمثيل في بعض الأحيان، ولو أنّه كان يتعسّر علينا فرز آرائه الخاصة من بين ركام المفاهيم والآراء التي كان يعرضها في متن مؤلّفاته.

– على الرغم من قلّة الممارسات التطبيقية للمنهج السّيميائي عند أحمد يوسف بالمقارنة مع ما أنتجه بنكراد، إلّا أنّه استطاع فيما قدّمه من ممارسات تحليليّة أن يستثمر العلامة السّيميائية توظيفا جمع فيه بين القراءة السّيميائية والفعل التّأويلي المؤسَّس وفق منهجيّة علميّة ترتكز على قناعة مفادها الانعتاق من النسقيّة المغلقة ومن النظرة البنيوية المحايثة والتّسليم بمبدأ النسق المفتوح.

- بنكراد الباحث المتخصّص الضليع المتمرّس، شيخ السّيميائيين في الوطن العربيّ بدون منازع، استطاع بجدارة تلبية حاجة كبيرة للنقد العربي، فأغنى المكتبة العربيّة بكمّ هائل من الأعمال التي كان لها الفضل في تبسيط النظريّة السّيميائية وتقريبها من المتلقّي.

- أخذ بنكراد على عاتقه مسؤوليّة نقل وتقريب المتصوّرات الفكريّة والمعرفيّة لشارل ساندرس بورس باعتباره المؤسّس الفعلي للسيميائيات الأنجلوساكسونيّة إلى النقد العربي، هذه المتصورات والتوجّهات التي شكّلت وعي بنكراد النّقدي وهو ما وجدناه يتجلّى عمليّا في ممارساته التطبيقيّة وخطابه النّقديّ.

- تكتسي التّجربة النّقديّة لبنكراد قيمة معرفيّة عالية بفضل إسهاماته الغزيرة والثريّة تنظيرا وممارسة. ولعلّنا لا نبالغ إن قلنا بأنّها الأكثر تمثيلا للنّقد السّيميائي في المشهد النّقديّ المغاربيّ تأليفا وتنظيرا.

- وعلى الرّغم من اعتماد بنكراد على خلفيّات نظريّة واتّكائه على مرجعيّات فكريّة ومعرفية غربيّة، إلّا أنه استطاع في الكثير من أعماله التطبيقية، أن يؤسس لنفسه كتابة نقديّة جديدة نحتها وفق رؤيته الفلسفية المتفرّدة وخاصة في مجال الخطاب النّقدي السّردي.

- لم يكتف بنكراد بنقل واستيراد المفاهيم النقديّة الغربيّة، بل قام بإضفاء لمسته النقديّة الخاصة على تلك المفاهيم النقدية الغربيّة، وكيّفها وفق خصوصيات الثقافة العربيّة والمحليّة. ليرسم لنفسه ملامح هويّته النقدية.

- بتحوّل بنكراد من ميدان تحليل النصوص السردية إلى تحليل ودراسة العلامات في أنساق بصرية شديدة التركيب والتعقيد يكون بنكراد قد أسّس لنفسه مشروعا سيميائيّا متكامل الحلقات وثيق العرى، يتّسم بالانفتاح الحداثي والامتداد التّراثيّ.

- تتميّز التصوّرات النقديّة للناقدين بكونها لم تمكث أسيرة الحدود والمفاهيم والمقولات النّظرية والخلفيّات الفكريّة والمعرفيّة الغربيّة، وتستنزف طاقتها المعرفيّة في نقل وتكرار ما تمّ تقديمه في الأعمال

السابقة. فهي وخاصة –المنجزات التطبيقيّة –تتميّز بالبحث في عمق العلاقة التي تربط بين الفرد ومختلف علامات النّسق الثّقافي الذي ينتمي إليه هويّة وتاريخا.

– اهتمّ الناقدان بمسألة التّأويل ومدى ارتباطها بالمنهج السيميائي، فكلاهما يرى بأنّ نظرية بورس السّيميائية هي نظريّة في التّأويل، وأبرز ما دعت إليه هذه النظرية هو الحدّ من غلواء التّأويل وضرورة ربطه بالحاجات النفعيّة فقط.

– على الرغم من تبنّيهما لتصوّرات بورس السّيميائية إلّا أنّ انحيازهما لأفكار مدرسة الدّلالة التي تنطلق من اعتبار كلّ الوقائع والأشكال الرمزيّة والأنظمة اللغوية أنساقا دالّة، ومدرسة سيميوطيقا الثقافة التي تبحث عن المقصديّات والوظائف المباشرة وغير المباشرة بدا جليّا من خلال ممارساتهما التطبيقيّة.

– استطاع النّاقدان من خلال مساهماتهما أن يبلورا تصوّرا سيميائيا ثقافيّا، من خلال تفعيل التّواصل والحوار الثّقافي بين الفرد وعلامات النص الثّقافي في تحليل الخطابات.

– إنّ تعامل الناقدين مع العلامات باختلاف أنواعها (لغوية وغير لغويّة) على أنّها ظواهر ثقافية تؤدّي وظائف إبلاغيّة تواصليّة هو من صميم تفكير سيميائيات المدرسة الروسية (مدرسة تارتو) التي تدرج العلامة ضمن المواضيع المسمّاة بالظواهر الثقافيّة، والتي تصف الأنظمة السّيميائية بأنّها أنظمة منمذجة للعالم، بمعنى أنّها تضع عناصر العالم الخارجي في شكل تصوّر ذهنيّ يشكّل نسقا أو أنموذجا.

– وعي كامل للناقدين بالنظريّة السّيميائية وهو ما يمكن أن نستشفّه من تعدّد روافدهما المعرفيّة وتنوّعها، وهو ما أهّلهما إلى بناء تصوّر سيميائيّ خاصّ بهما مكّنهما من التعامل مع مختلف النصوص والخطابات.

– تبنّي الناقدين منهجا توليفيّا جمعا فيه بين مختلف التصوّرات السيميائية التي مكّنتهما من مقاربة النصوص مقاربة منصفة.

– على الرغم من استفادة الناقدين من تصوّرات النظريات الغربيّة ومن مناهجها الصّارمة وما تحمله من أجهزة مصطلحيّة ومفاهيم وأدوات إجرائية إلّا أنّهما لم يبقيا حبيسين لها. بل كيّفا منهج اشتغالهما حسب ما تقتضيه خصوصيّات المشهد النقديّ العربيّ عامّة والمغاربيّ خاصة. محاولين إنتاج خطاب نقديّ خاصٍ فاعلٍ منتجٍ يصبو إلى بناء تصوّرٍ نقديٍ عربيٍّ متفاعلٍ مع نظيره الغربيّ.

– زاوج النّاقدان في تعاملهما مع مختلف النصوص بين مقتضيات النظريّات الحداثية ومتطلّبات الأصالة والهويّة التّراثيّة.

انتهى

مختارية سعاش

ملحق

سيرة ذاتية (حديثة) موجزة للدكتور أحمد يوسف.

❖**البيانات الشخصية**

الاسم واللقب: أحمد يوسف

الدرجة العلمية: دكتوراه دولة

القسم: اللغة العربية

التخصص: النقد الأدبي الحديث

التخصص الدقيق: السيميايات وتحليل الخطاب

العنوان: قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس– مسقط– عمان.

البريد الإلكتروني: ahyoucef@squ.edu.com

❖**الوظائف**:

– أستاذ التعليم العالي في كل من جامعة وهران والجزائر2

– وجامعة وصل بالإمارات . أستاذ مشارك بجامعة السلطان قابوس بعمان.

❖**التعليم والدرجات العلمية**:

– دكتوراه دولة في الآداب بجامعة وهران وستراسبورغ سنة 1999.

– دكتوراه دولة في الفلسفة بجامعة وهران 2004.

– ماجستير بجامعة وهران 1979.

❖**الاهتمامات العلمية**:

– النقد الأدبي الحديث والمعاصر

– السيميائيات وتحليل الخطاب

– فلسفة اللغة

❖ **المؤلفات والكتب العلمية الحديثة:**

- النظرية السيميائية من العلامة إلى الخطاب، جامعة الملك سعود، 2018.
- راهنية سيميائيات بورس وسؤال المعنى، 2023
- علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، منشورات الاختلاف، 2013.

❖ **الأوراق العلمية:**

- متصور الموضوع في الدراسات السيميائية، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، بجاية- الجزائر، أكتوبر 2021.
- متصور الكلمة وإدراك العالم، مجلة بحوث سيميائية، تلمسان- الجزائر، 2021.
- متى تتكلم السيميائيات العربية؟ مجلة السيميائيات، وهران 2020.
- الفقد ورحلة التحرّي في همس الجسور لعلي المعمري، كتاب جماعي (جمهورية ابن سولع وأسفاره) 2020
- سيميائيات النص: مراتب المعنى، مراجعة علمية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت 2020.

❖ **المؤتمرات العلمية:**

- ندوة العلوم الإنسانية: الهوية وسوق العمل، النادي الثقافي، عمان 2021.
- القيم الإنسانية في رواية سيدات القمر لجوخة الحارثي، مؤتمر القيم الإنسانية، الإمارات 2021.
- العلامة والعالم: قراءة في المنطق والأنطولوجيا، بجاية 2021.
- الفلسفة الظاهراتية وسيميائيات العالم الطبيعي، ندوة دولية: الفلسفة والنقد ومشروع الكونية، وهران 2020.
- لِم العَمَه السيميائي، مؤتمر الفلسفة النقد ومشروع الكونية، وهران 2020.
- مصطلح التصويري في الدراسات السيميائية العربية، ملتقى علم المصطلح واللغات المتخصصة، جامعة الجزائر2019.

سيرة ذاتية (حديثة) موجزة للدكتور سعيد بنكراد.

❖ **البيانات الشخصية**

الاسم واللقب: سعيد بنكراد

الدرجة العلمية:

- دكتوراه السلك الثالث من جامعة السربون بفرنسا.
- دكتوراه دولة في السيميائيات من جامعة مولاي إسماعيل بالمغرب.

التخصص الدقيق: السيميائيات

الوظائف:

- أستاذ السيميائيات بكلية الآداب، جامعة مولاي إسماعيل في مكناس- المغرب
- المدير المسؤول عن مجلة علامات المتخصصة في الدراسات السيميائية والتي تصدر منذ 1994.

❖ **الاهتمامات العلمية:**

- السيميائيات والتأويل
- الصورة والترجمة.

❖ **المؤلفات والكتب العلمية الحديثة:**

- السيميائيات السردية مدخل نظري 2001.
- السيميائيات، مفاهيمهما وتطبيقاتها 2003.
- السيميائيات والتأويل، مدخل إلى سيميائيات شارل ساندرس بورس، 2005.
- مسالك المعنى دراسة في بعض أنساق الثقافة العربيّة، 2006.
- سيميائيات الصورة الإشهارية، الإشهار والتمثّلات الثقافيّة، 2006.
- السرد الروائي وتجربة المعنى 2008.
- الصورة الإشهارية، آليات الإقناع والدلالة، 2009.
- سيرورات التأويل من الهرموسيّة إلى السيميائيّات، 2012.

- وهج المعاني: سيميائيات الأنساق الثقافيّة، 2013.
- البحث عن المعنى 2018.
- وتحملني حيرتي وظنوني 2021.
- مدارات اللغة بين الفصيح والعامي 2022.
- السرد الدينيّ وتجربة المعنى، 2024.

❖ **الترجمات:**

- دروس في الأخلاق، أمبرتو إيكو2010.
- قول في التسامح، فولتير،2015.
- أنا أوسيلفي إذن أنا موجود، تحولات الأنا في العصر اللإفتراضي، إلزا غودار، 2019
- الكلمات والنساء، مارينا ياغيلو،2021.
- الصورة، المكونات والتأويل غي غوتيي، 2012.
- آليات الكتابة السردية، أمبرتو إيكو، 2009.
- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبرتو إيكو، 2004.
- ست نزهات في غابة السرد أمبرتو إيكو، 2005.
- تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، لميشال فوكو،2005.
- سيميائيات الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تأليف:غريماس وفونتاني، 2011.
- الإنسان العاري: الدكتاتوريّة الخفيّة للرقميّة، 2020.

❖ **المقالات والمقالات المترجمة:**

- النص صناعة للعنى، 2018.
- التأويل الصوفيّ وتجربة المعنى، 2017.
- السيميائيات وتأويل النص الدينيّ، 2016.
- الإشهار المعرّب ونماذج التّماهي، 2012.

- الزمنيّة واحتمالات السرد، 2011.
- استراتيجيات التواصل. من اللفظ إلى الإيماءة،2004.
- السرد النسائي أو الفحولة المسترجلة، 2008.
- الحجاب حاجة دينيّة أم إكراه ذكوريّ، 2007.
- السيرورة السيميائية والمقولات، قراءة في فلسفة بورس السيميائيّة، 2002.
- المرأة والكتابة، 2008.
- المثلّجات واللذة الجنسيّة، بيير فرود، 2000، مترجم.
- حول موضوعيّة المعنى: فرانسوا راستيي، 2000، مترجم.

❖ **الجوائز**: حاصل على

- جائزة الأطلس الكبير في الترجمة، فرنسا، 2006.
- جائزة المغرب في الترجمة، 2010.
- بدر عبد الحق التي تمنحها رابطة الكتاب الأردنيّين، 2014.
- القرّاء الشباب للكتاب المغربيّ في دورتها السادسة في صنف الكتاب الفكري المترجم، عن كتابه الإنسان العاري، 2021.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربية:

أحمد محمد قدور:

1- اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2001.

أحمد مومن:

2- اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 2005.

أحمد يوسف:

3- السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي جبر العلامات)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005.

4- الدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة)، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.

5- القراءة النسقيّة ومقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002.

6- علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2013.

7- النظريّة السّيميائيّة من العلامة إلى الخطاب، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 2018.

8- يتم النص والجينالوجيا الضائعة (تأمّلات في الشعر الجزائري المختلف)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002.

9- سيميائيات التواصل وفعالية الحوار (المفاهيم والآليات)، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، ط1، 2004.

آراء عابد الجرماني:

10- اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، دار الأمان، المغرب، منشورات الضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.

آمنة بلعلى:

11- تحليل الخطاب الصوفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

12- سيمياء الأنساق تشكّلات المعنى في الخطابات التّراثيّة، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

حبيبة الصافي:

13- سيميائيات إيديولوجية، -دراسة- النايا للدراسات والنشر والتوزيع، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2011.

حلومة التيجاني:

14- البنية السيميائية في قصة النبي إبراهيم -عليه السلام-دراسة تحليلية سيميائية في الخطاب القرآني، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2014.

رشيد بن مالك:

15- قاموس مصطلح التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2000.

16- السيميائيات السردية، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006.

17- مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط.

جابر عصفور:

18- نظريات معاصرة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، مصر،1998.

جميل حمداوي:

19- الاتجاهات السيميوطيفية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة العربية)، دار الألوكة، ط1، 2015.

20- مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، مكتبة المعارف، الرباط، ط 1، 2010.

جميل شاكر وسمير المرزوقي:

21- مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1985.

سعد البازعي:

22- ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000.

قائمة المصادر والمراجع:

سعيد بنكراد:

23- النص السردي (نحو سيميائيات للأيديولوجيا)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1996

24- شخصيات النص السردي (البناء الثقافي)، كلية الآداب، مكناس، المغرب، ط1.

25- مسالك المعنى (دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية)، دار الحوار، سورية، ط1، 2006.

26- سيرورات التّأويل(من الهرمسيّة إلى السيميائيات)، دار الأمان، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1 ،2012.

27- السيميائيات والتأويل (مدخل إلى سيميائيات شارل سيندرس بورس)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2005.

28- النص السردي نحو سيميائيات للأيديولوجيا، دار الزمان، الرباط، المغرب، 1996.

29- السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط3، 2012.

30- سيميائيات النص (مراتب المعنى)، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2018.

شربل داغر:

31- الشعرية العربية الحديثة، تحليل نصي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988.

عادل الفاخوري:

32- تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة النشر، بيروت (لبنان)، 1990.

عبد العزيز بن عرفة:

33- مقدمات وممارسات في النقد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط1، 1993.

عبد الفتاح أحمد يوسف:

34- العلامات والأشياء (كيف نعيد اكتشاف العالم في الخطاب؟)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، لبنان، ط1، 2016.

عبد القادر شرشار:

35- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، وهران.

عبد القادر فهيم الشيباني:

36- معالم السيميائية العامة (أسسها ومفاهيمها)، بلعباس، الجزائر، ط1، 2008.

عبد اللطيف محفوظ:

37- آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، ومنشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،2008.

عبد الله إبراهيم وآخرون:

38- معرفة الآخر. مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 1996.

عبد الله أبو هيف:

39- النقد الأدبي العربي الجديد (في القصة والرواية والسرد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط 2000.

عبد الله الغذامي:

40- النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافة العربية) المركز الثقافي العربي، لبنان، ط2، 2001.

قائمة المصادر والمراجع:

عبد الملك مرتاض:

41- بنية الخطاب الشعري دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانيّة، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط.، الجزائر.

42- ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعيّة، د.ط.، الجزائر، 1993.

43- أ، ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1992.

عبد الواحد مرابط:

44- السّيمياء العامّة وسيمياء الأدب (من أجل تصوّر شامل)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، المغرب، الجزائر، لبنان، ط1، 2010.

عبود عبدة:

45- هجرة النصوص، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995، ط1.

علي القاسمي:

46- علم المصطلح، أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2008.

الصالح نضال:

47- النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، إ الكتاب العرب، دمشق، 2001.

فاطمة الصغير:

48- المصطلح اللّساني واضطراب الترجمة، ضمن كتاب السرديات والترجمة العربية، مجموعة من الباحثين، تنسيق: سيدي محمد بن مالك، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.

فيصل الأحمر:

49- معجم السّيميائيّات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، بيروت، ط1، 2010.

قدور عبد الله الثاني:

50- سيميائية الصورة، مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران/الجزائر، د.ط، د.ت.

لخضر العرابي:

51- المدارس النقدية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، الجزائر، (د.ط.)، 2007.

مبارك حنون:

52- دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، المغرب، د.ط، 1987.

محمد التهامي العماري:

53- حقول سيميائية- السّيميائيّات الاجتماعية، سيميائيات المسرح، سيميائيات التلقي- ، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب(فاس)،2007 .

محمد صابر عبيد:

54- تجلي الخطاب النقدي، ط1، دار الأمان، منشورات الاختلاف منشورات ضفاف، الرباط، الجزائر، بيروت،2013 .

محمد عبد الحميد المالكي:

55- سلطة الكلام: إرادة الكلام مشروع بيان السيميائيات السرديّة، البيان للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ليبيا، 2005.

56- في علوم السيميائيات السرديّة، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، وهران، الجزائر، العدد4، سنة 2013.

قائمة المصادر والمراجع:

محمد الماكري:

57- الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.

محمد الناصر العجيمي:

58- في الخطاب السردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1993.

محمد ديداوي:

59- علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر (سوسة)، ط1، 1992.

محمد فليح الجبوري:

60- الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر،2013.

مختار زواوي: .

61- دوسوسير من جديد (مدخل الى اللسانيات)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، لبنان، ط1، 2018.

62- سيميائيات (ترجمة النص القرآني)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ـ ناشرون ـ، لبنان، ط1، 2015.

مفتاح محمد عبد الجليل:

63- نظرية الشعر المعاصر في المغرب العربي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007.

مصطفى غلفان:

64- اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2017.

مولاي علي بوخاتم:

65- مصطلحات النقد العربي السيميائي (الإشكالية والأصول والامتداد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2005.

66- الدرس السيميائي المغاربي (دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد المالك مرتاض ومحمد مفتاح)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2005.

يوسف وغليسي:

67- مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007.

مصطفى ناصف:

68- نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 2000.

الكتب المترجمة:

أمبرتو إيكو:

69- التأويل بين السيميائية والتفكيكيّة، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، 2004.

جوليا كرستيفا:

70- علم النص، تر: فريد الزّاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، الدار البيضاء، دار توبقال، ط2، 1997.

جون كلود كوكي:

71- السيميائية (مدرسة باريس)، ترجمة: رشيد بن مالك / دار الغرب للنشر، د.ط.

جوناثان كلر:

72- مطاردة العلامات (علم العلامات، والأدب، والتفكيك)، ترجمة: خيري دومة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2018.

جيرال دولودال:

73- السيميائيات أو نظرية العلامة، تر: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة النجاح الجديدة (البيضاء)، ط1، 2002.

74- بورس أو سوسير، تر: عبد الرحمن بوعلي، مجلة العربي والفكر العالمي، ع 3، مركز الانتماء القومي، بيروت، 1988.

دانيال تشاندلِر:

75- أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.

فرديناند دوسوسير:

76- محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب.

77- في جوهري اللغة، ترجمة: مختار زواوي، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ـ ناشرون ـ 2019.

78- محاضرات في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1985.

مارسيلو داسكال:

79- الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة: حميد لحميداني وآخرون، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، 1987.

مازن الوعر:

80- مقدمة كتاب علم الإشارة ـ السيميولوجيا ـ لبيير جيرو، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1 ،1988.

مجموعة من المؤلفين:

81- السيميائية (الأصول والقواعد والتاريخ)، تر: رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008 (مقدمة المترجم).

مجموعة من المؤلفين:

82- مفهومات في بنية النص، ترجمة: وائل بركات، دار معد للنشر، سوريا، ط1، 1996.

ميشال آريفيه وآخرون:

83- السيميائيات أصولها وقواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف.

الكتب الأجنبيّة :

84- C,s,Peirce,écrits sur signe,T:gérard Deledalle, Paris éd Seuil1978

85- Ferdinand De Saussure :Coures de 'inguistique générale,ep Paote,1072

المجلاّت والدوريّات:

أحمد يوسف:

86- متصوَّر الموضوع في الدّراسات السيميائيّة، مجلة التّأويل والخطاب، المجلّد 2، العدد 2، أكتوبر 2021.

87- السيميائيات ومرتكزاتها الإبستيمولوجية، مجلة سيميائيات، جامعة وهران، الجزائر، العدد 2، خريف 2006.

88- سيميائية العتبات النصيّة (مقاربة في خطاب الإهداء، شعر اليتم في الجزائر أنموذجا)، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 15، السنة 2001.

إدريس جبري:

89- في سيمياء الشخصية والجسد (مدخل لقراءة أعمال سعيد بنكراد)، مجلة علامات، العدد 20، 2003.

رشيد بن مالك:

90- إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة، مجلة علامات السعودية، ج 15، م 14، 1995.

سعاد بن سنوسي:

91- الخطاب السردي المغاربي ومساءلة المعنى (مشروع سعيد بنكراد السيميائي أنموذجا)، مجلة التعليمية، المجلّد 6، العدد 4 ديسمبر 2019.

سعيد بنكراد:

92- ... ولا يكفّ الحصان عن الصهيل، مجلة علامات، العدد 07، 1997.

93- الترميز السياسي والهوية البصريّة (قراءة في رموز الأحزاب السياسية المغربية)، مجلة علامات، العدد 21، 2004.

94- الإرساليّة الإشهاريّة (التوليد والتّأويل)، مجلة علامات، العدد 05، 1996.

95- والنجم إذا علا إستراتيجية التواصل وبناء الهوية، مجلة علامات، العدد 18، 2002.

96- هناك بعيدا في الأعالي، مجلة علامات، العدد 27، 2007.

97- المرأة في الإشهار بين المعيش اليومي واستيهامات الرغبة، مجلة علامات، العدد 48، 2017.

98- التأويل بين إكراهات التناظر وانفتاح التّدلال، مجلة بحوث سيميائيّة، مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ومركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللغة العربيّة، الجزائر، العددان السابع والثامن، 2010، 2011.

طارق ثابت:

99- النسق الشعري وبنياته (منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي)، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، العدد 17، ديسمبر 2016.

عباسي صالحة وعمر عيلان:

100- تمثّلات المنهج السّيميائي في كتابات آمنة بلعلى، مجلّة الموروث، المجلّد 9، عدد خاص، 2021.

قائمة المصادر والمراجع:

غالم عبد الصمد:

101-النظرية التأويلية وتطبيقاتها في مشروع سعيد بنكراد، مجلة المدوّنة، المجلد 5، العدد 2، 30 ديسمبر 2018.

محسن أعمار:

102-مدخل إلى الدراسات السيميائية بالمغرب (محاولة تركيبية)، مجلة علامات، العدد 02.

محمد التهامي العمار:

103-حقول سيميائية -السيميائيات الاجتماعية، سيميائيات المسرح، سيميائيات التلقي، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، (المغرب).

محمد عبد الحميد المالكي:

104-مجلّة سيميائيات، مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب بوهران، الجزائر، العدد4، سنة 2013.

محمد عفط:

105-مسالك المعنى أو حذق الوعي، مجلة علامات، العدد 37، 2012.

نورهان طارق صلاح الدين محمد علي:

106- سيميائية الصورة الفوتوغرافية، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد 22، العدد 02.

وفاء مناصري:

107-أثر الحمولة المرجعية للمناهج الغربية في التحديث النقدي لدى أحمد يوسف، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 12، العدد 01، التاريخ 15مارس 2020.

الملتقيات والمنتديات:

حفناوي بعلي:

108-التجربة العربية في مجال السيمياء، الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي، د.ط.

خرفي محمد صالح:

109-سيميائية الفضاء النصي في الشعر الجزائري المعاصر، الملتقى الوطني الرابع للسيمياء والنص الأدبي، 2006.

عبد الله خلخال:

110-السيميائية في البحث اللساني العربي الحديث، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، 1995.

عمار شلواي:

111-مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم، مقاربة سيميائية، محاضرات الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر،2004.

هواري بلقندوز:

112- مدخل إلى السيميائيات التداولية (إسهامات بيرس وشارل موريس)، الملتقى الثالث: السيمياء والنص الأدبي، 19/ 20 أفريل 2004. كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية . جامعة محمد خيضر، بسكرة . الجزائر.

الأطروحات والمذكّرات:

أحمد أمين بوضياف:

113-المنظومة المعرفية والنقدية للدرس السيميائي المغاربي وآليات تحديثها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف. المسيلة . الجزائر، 2016/ 2017.

ابن يخلف نفيسة:

114-السيميائيات التداولية، قراءة في سيميائيات ش س بورس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعيّة،2008 /2009.

سماح أسعيد:

115- في نقد الخطاب الشعري الجزائري المعاصر من منظور الباحث أحمد يوسف – قراءة في الأصول والإجراءات– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة سطيف2، الجزائر، 2013/ 2014.

قوتال فضيلة:

116-معالم السيميائيات المحايثة وحدودها . دراسة نقدية في نظرية غريماس السردية. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في السيميائيات وتحليل الخطاب، مخطوط بجامعة وهران، 2003/ 2004.

عبد السلام مرسلي:

117-واقع النقد السيميائي في النقد المغاربي، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016.

محمد عدلان بن جيلالي:

118- سيميائية الخطاب الفيلمي (مقاربة سيميو شعرية)، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، قسم الفنون الدرامية،2010/2009.

نصيرة عيسى مبارك:

119- فلسفة العلامة عند رولان بارث (الأسطورة ونسق الزيّ)، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2010 ـ 2011.

هامل بن عيسى:

120- إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي (دراسة في نقد النقد)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2012 2013.

المواقع الإلكترونيّة:

آمنة بلعلى:

121-النقد العربي لم يساير التحوّلات، مجلة الدوحة الإلكترونيّة عبر الرابط https:// www.dohamagazine.qa/

سعيد بنكراد:

122-السيميائيات النشأة والموضوع، (صفحة المؤلفات ـ المقالات)، عبر الرابط http://saidbengrad.free.fr/ar/art9.htm

سعيد بنكراد:

123- الرمز ـ المجالات والدّلالات ـ عبر الموقع: www. Saidbengrade.Free.fr

عبد الكريم الريباري:

124- سيميائية التناص في شعر فاطمة ناعوت، عبر الرابط: www.diwanealarab.com

سعيد بنكراد:

125- عبر الموقع: www.saidbengrad.net/cv.htm

عبد الرحيم الخصار:

126-سعيد بنكراد: نقدنا يجرّب ولا يراكم، صفحة العربي الجديد، عبر الرابط: https://www.alaraby.co.uk

سعيد بنكراد:

127- المؤول والعلامة والتّأويل، موقع سعيد بنكراد، عبر الرابط http://www.aljabriabed.net/n16_05benkarrad.

سعيد بنكراد:

128-سيميائيّات النسق الإيمائي (الجسد ولغاته)، عبر الموقع الإلكتروني لمنصة بالعربية، عبر الرابط https://bilarabiya.net/2897.html

محمد الكرافس:

129-الدراسات السيميائيّة وفلسفة المعنى في ليبيا، محمد عبد الحميد المالكي أنموذجا، صحيفة المثقّف الإلكترونيّة، نشر بتاريخ: 28 آب أغسطس2022، عبر الرابط: https://www.almothaqaf.com/readings-5/964710-

محمود عبد الغني:

130-الباحث السيميائي عبد المجيد نوسي: الرواية تزدهر في الأزمات، عبر الرابط https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/print//interviews/2016/10/5/

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

إهداء

شكر وتقدير

مقدمة: ..... أ

مدخل: التّلقي السيميائي في الثّقافة النقدية المغاربيّة

تمهيد 2

المبحث الأوّل: التّمثّل المغاربي للنّظرية السيميائيّة الغربيّة..... 4

1 . **التجربة الجزائريّة** 4

أ . رشيد بن مالك..... 4

ب . عبد المالك مرتاض..... 9

ج . آمنة بلعلى..... 12

د عبد القادر فهيم شيباني..... 15

2 . **التجربة التونسيّة**..... 17

أ . علي العشّي 17

ب . محمد ناصر العجيمي..... 18

ج . جميل شاكر وسمير المرزوقي..... 20

3 . **التجربة المغربيّة**..... 20

أ . محمد مفتاح..... 20

ب . عبد اللطيف محفوظ..... 22

ج . المصطفى شادلي..... 24

د . عبد المجيد نوسي 25

4- **التجربة الليبيّة** 29

أ – محمد عبد الحميد المالكي 29

فهرس الموضوعات:

المبحث الثاني: معيقات انتقال النظرية السيميائيّة إلى المغرب العربي..... 36
1 . إشكاليّة القارئ العربي 36
2 . إشكاليّة التقبّل 38
3 . إشكاليّة ضعف الترجمة 39
4 . إشكاليّة المصطلح 42

الفصل الأوّل: العلامة في الخطاب النّقدي الغربي المعاصر

تمهيد 50
المبحث الأوّل: التصوّر السّوسيري للعلامة..... 53
1 . العلامة اللّغوية ومكوّناتها من خلال كتاب محاضرات في اللّسانيات العامة.. 56
2 . خصائص العلامة اللسانية..... 59
3 . مبعَثُ دوسوسير (السّوسيرية الجديدة) 60
4 . جديد العلامة وموقعها من سيميائيات دوسوسير 66
5 . مجال السيميائيات..... 76
المبحث الثاني: التصوّر البورسي للعلامـة 77
1 . مفهوم العلامة عند بورس 85
2 . السيميائيات من المحايثة إلى الانفتاح (السيميائيات التّأويلية) 90
3 . العلامة والتّأويل عند بورس 93
4 . السّيميوزيس 94
5 . التّأويل وانفتاح السّيميوزيس 97
المبحث الثّالث: تصوّر الاتجاهات السيميولوجيّة للعلامة..... 100
1 . العلامة في سيمياء التّواصل 100
2 . العلامة في سيميولوجيا الدّلالة 101
3 . العلامة في سيمياء الثقافة 102

فهرس الموضوعات:

الفصـل الثاني: تمثّلات العلامة في أعمال أحمد يوسف

تمهيـــــــد: 106

الرّؤية المنهجيّة لدى أحمد يوسف..... 108

المبحث الأوّل: تمثّلات العلامة عند أحمد يوسف تنظيرا..... 119

1 ـ التوجّه السيميائي للنّاقد 119

2 ـ مفاهيم نظرية في السيميائيات عند أحمد يوسف 122

أ ـ مفهوم السيميائيات 122

ب ـ موضوع السيميائيات 125

ج ـ العلامة وسؤال الحدّ 127

د ـ العلامة الجماليّة وأبعادها السّيميائية 139

هـ ـ الدلالات المفتوحة 140

المبحث الثاني: التمثّل الإجرائي للعلامة عند أحمد يوسف 145

1 ـ المؤشر 148

2 ـ الإيقونة 149

3 ـ الرمز 149

4 ـ العلامة البصريّة 150

5 ـ العلامات اللغويّة الخارجيّة (العتبات النصيّة) 157

6 ـ لغة الجسد 169

7 ـ الأشكال الرمزيّة 173

أ – الحرية والسياسة 180

ب ـ أدب المنفى 182

فهرس الموضوعات:

الفصل الثالث: العلامة وتمثّلاتها عند سعيد بنكراد

تمهيد 187

دوافع الكتابة لدى سعيد بنكراد..... 192

المبحث الأول: المفهوم النّظري للعلامة عند بنكراد 194

1. مفاهيم سيميائية نظرية 194

أ. السيميائيات المفهوم والموضوع 194

ب. العلامة ومكوّناتها 198

ج. السّيميوز 205

د. الرمز 207

هـ التأويل 210

المبحث الثاني: الاستثمار الإجرائي للعلامة عند سعيد بنكراد..... 215

1. العلامة الثقافيّة 215

أ. سيميائية الشخصيّة الروائيّة 218

ب. الدال الجسدي 222

ج. الصّورة الإشهاريّة 227

د. الصورة الفوتوغرافيّة 230

2. الأنساق الثقافية 235

أ. كرة القدم (الاستيهامات الحربيّة والجنسيّة) 239

ب. الهويّة البصريّة والترميز السّياسيّ 241

خاتمة..... ص

ملحق

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

الملخص

الملخص:

نسعى من خلال هذا العمل إلى تسليط الضوء على أهمّ أنواع العلامات السيميائيّة ـ باعتبارها أدوات إجرائيّة ـ الّتي توسّل بها أحمد يوسف وسعيد بنكراد في مقاربة مختلف النصوص والخطابات، باعتبار أنّ الممارسة الإجرائيّة تعدّ ركنا أساسيّا من أركان المشروع النقدي للباحثين. كما تعدّ هذه القراءة بمثابة محاولة لضبط أهمّ المرجعيّات الفكريّة والخلفيّات المعرفيّة والرؤى والتصوّرات النقديّة التي تؤسّس الخطاب النقدي للباحثين، والوقوف على مدى تمثّلهما النظري والممارساتي للعلامة السيميائيّة.

الكلمات المفتاحيّة:

العلامة، تمثلات، النظريّة السيميائيّة، الخطاب النقدي، الرؤية النقديّة.

Abstract :

Through this work, we seek to shed light on the most important types of semiotic signs - as procedural tools - used by Ahmed Youssef and Saeed Benkarad in approaching various texts and discourses, considering that procedural practice is an essential pillar of the researchers' critical project. This reading is also an attempt to control the most important intellectual references, cognitive backgrounds, visions and critical perceptions that establish the critical discourse of researchers, and to determine the extent of their theoretical and practical representation of the semiotic sign.

Keywords:

The sign, **representations**, **semiotic theory**, **critical discourse**, **critical vision**.